١٨٩٢ - ١٩٣٢

الهلال

فى اربعين سنة

١ - تاريخ مجلة الهلال ومؤسسها وبعض ما قيل فيهما

٢ - تطور العالم في ٤٠ سنة ونظرات الى المستقبل

٣ - مختارات من مجلدات الهلال في اربعين سنة

عنيت بنشره

ادارة الهلال بمصر

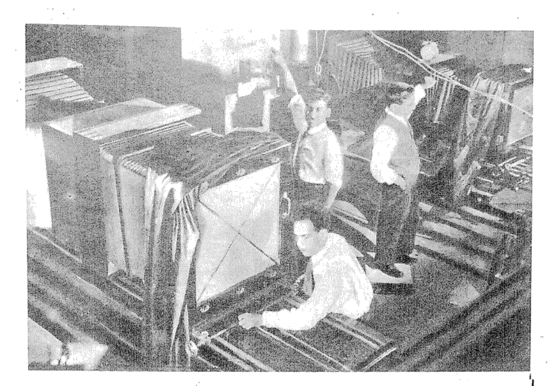
سنة ١٩٣٢



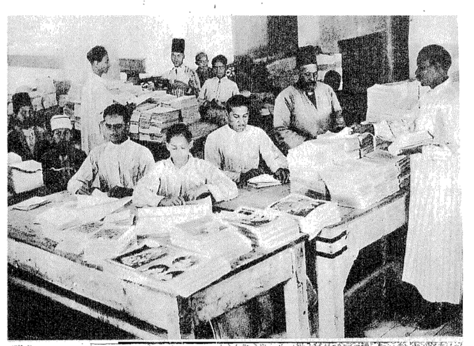
حضرة صاحب الجلالة الملك



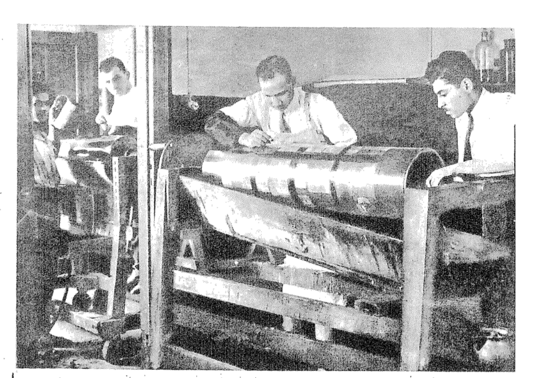
بعض العظماء والكبراء والادباء
الذين أتحفوا الهلال بنفثات اقلامهم
او تحدثوا اليه في سنواته الاخيرة



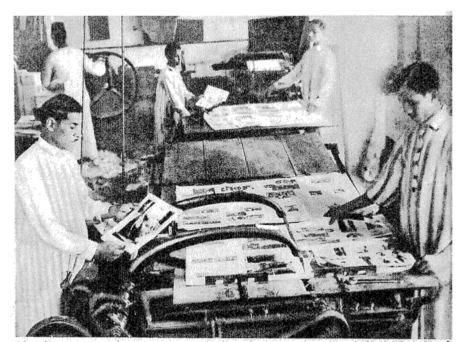
تمثل هذه الصورة كيفية نقل الصور لحفرها بطريقة الروتوغرافور التي كانت دار الهلال أول دار صحفية في الشرق استعملتها في طبع مجلاتها . وكانت مجلة « المصور » هي أولى المجلات العربية التي طبعت بهذه الطريقة



أخذت هذه الصورة في قسم التجليد بدار الهلال ، وهي تمثل بعض عمال هـذا القسم وهم يقومو بتجليد الكميات المطبوعة من مجلات دار الهلال



يرى القارىء في هذه الصورة اثنين من عمال قسم الحفر بدار الهلال وهما يقومان بمعالجة اسطوانة نحاسية ببعض التركيبات الكيمياوية لحفر الصور والكتابة فوقها



رة أخرى أخذت في قسم التجليد ، وهي تمثل الآلة الاوتوماتيكية التي تقوم بطي المجلات لاعدادها للتوزيع على باعة الصحف


المصور
كل شيء والدنيا
الهلال
الكواكب
الابطال
Images
CE NUMÉRO EST VENDU
EXCEPTIONNELLEMENT à 5 mills.
تقويم الهلال ١٩٣٣
Ciné Images
الفكاهة
المجلات
التي تصدر عن دار الهلال



فاتحة الهلال

الهلال

الجزء الاول من السنة الاولى

اول سبتمبر سنة ١٨٩٢ الموافق ١٠ صفر

رأى جرىء — مطروح للمناقشة

خير لمصر أن تبيع آثارها

الادب

لشاعر القطرين الاستاذ خليل مطران

الخلافة العباسية ببغداد ثم بمصر

بقلم الاستاذ ابرهيم بك جلال

جوته شاعر الالمان الاكبر

احاديث مع مديري البنوك الكبرى

عن الازمة الاقتصادية في العالم وفي مصر

طريقي الى النجاح

مع احمد بك عبد الوهاب وكيل المالية

مشاهداتي في مناجاة الارواح

أهي ارواح تتحدث الينا — ام ماذا؟

بقلم الاستاذ اميل زيدان

في مضارب العرب

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

ساعة مع الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي

اسرار النجاح

استفتاء طائفة من كبار الناجحين

نهضة المرأة وتعليمها

الفتاة المصرية في المدارس العليا

ملكة سبأ: هل كانت حبشية أو عربية؟

موقف الشرق من حضارة الغرب

رحلتي

الى أعلى نقطة فوق المسجد الاقصى

بقلم شيخ العروبة الاستاذ احمد زكي باشا

الحياة النيابية في عهد اسماعيل

بقلم الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

يوم نلسن

(٢١ اكتوبر سنة ١٨٠٥)

بقلم الاستاذ محمد بك مسعود

أبطال ايرلندا

الخديو السابق عباس حلمي الثاني

ذكريات للاستاذ احمد حافظ عوض

حضارات القا

رءوس بعض الصفحات من اعداد الهلال



المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال

١٨٩٢ - ١٩٣٢

الهلال

في اربعين سنة

١ ـ تاريخ مجلة الهلال ومؤسسها وبعض ما قيل فيهما

٢ ـ تطور العالم في ٤٠ سنة ونظرات الى المستقبل

٣ ـ مختارات من مجلدات الهلال في اربعين سنة

عنيت بنشره

ادارة الهلال بمصر

سنة ١٩٣٢

مقـــــدمة

ختم الهلال فى هذه السنة العقد الرابع من حياته

وجدير بنا — فى هذا المقام — أن نلقى على عملنا نظرة فحص وتقدير واستلهام

فهل تقدم الهلال فى خلال السنوات الماضية ؟

والى أى مدى كان تقدمه ؟

☆☆☆

اذا قيس تقدم المجلة بحجمها ، فلا شك ان الهلال قد تقدم . فقد كان العدد الاول منه فى ٣٢ صفحة وعدد اليوم يقع فى ١٦٠ صفحة

واذا قيس تقدم المجلة بانتشارها ،فلا شك أيضاً أن الهلال قد تقدم . فان قراءه كانوا يعدون بالمئات ، وهم يعدون الآن بالآلاف فى مختلف الاقطار

واذا قيس تقدم المجلة بجمال طبعها وتنسيقها ، فلا شك كذلك ان الهلال قد تقدم تقـدماً محسوساً يكفى أن تنظر الى صفحاته وصوره ورسومه لتقتنع بصحة ذلك

أجل . اذا قسنا تقدم الهلال بأحد هذه المقاييس المادية جزمنا بتقدمه . . . ولكن هل هذا هو التقدم المنشود ؟

☆☆☆

عندما أنشىء الهلال — فى سنة ١٨٩٢ — لم يكن لمؤسسه من ذخيرة يعتمد عليها غير عزيمته الصادقة . ومع أنه اختار الصحافة مهنة يرتزق منها ، فانه — الى ذلك — كانت تدفعه الى العمل الصحفى رغبة أكيدة فى خدمة الجمهور ورفع المستوى الذهنى والخلقى

فالى جانب الآلات والمواد التى استخدمت فى اصدار الهلال ، والى جانب المكاتب والمحابر والدفاتر والمعاملات — الى جانب ذلك كله كانت هناك فكرة ، أو قل هى شعلة ما برحت ملتهبة منـذ أنشأ جرجى زيدان الهلال ، وما برح الذين جاءوا بعده وتناولوها منه يحرصون على بقائها وضاءة

تلك الشعلة هى من « دار الهلال » بمنزلة الروح من الجسد — هى علة الحياة ، ومصـدر الوحى ،

والمرجع الذى يستشار ويستلهم ... ولولاها لما زادت « دار الهلال » على كونها مجموعة من الجدران الحجرية والاجهزة والإدوات المعدنية وغير ذلك من الاشياء التى تدخل فى تشييد أى مصنع من المصانع

☆ ☆ ☆

ولقد أصدرنا اليوم هذا الكتاب وجعلناه مرآة تتجلى فيه نشأة الهلال وتطوره في خلال الاربعين سنة الماضية . فأوردنا فصولا عن تأسيسه وتاريخ مؤسسه وبعض ما قيل فيهما والخدمات التىأدياها للآداب العربية . ثم أردفنا ذلك بمباحث منوعة عن حالة العالم فى خلال هذه الحقبة ونظرات الى مستقبل الحضارة والانسانية . ثم خصصنا الجانب الاكبر لمختارات جمعناها من مجلدات الهلال الاربعين وهى ولا شك من أحسن الآثار الادبية والمباحث العمرانية التى نشرتها الصحافة العربية

☆ ☆ ☆

والآن . فلنغمض أعيننا هنيهة ولنتصور أن أربعين سنة أخرى قد انقضت على الهلال . . .

ماذا عسى أن يقوله ذلك الكاتب الذى سيتولى كتابة الفاتحة فى الجزء الاول من السنة الثمانين ؟

لعله يراجع هذه الاسطر فيسجل تطور العالم فى زمنه وتقدمه فى سبيل الشفاء الروحى

لعله يسجل — الى جانب تعدد المخترعات والمستحدثات — ارتفاع المستوى الذهنى والخلق

لعله يسجل انتشار العدل والانصاف — على اختلاف صورهما — بين الطبقات وبين الشعوب

لعله يسجل — على الخصوص — تقدم مصر فى ثقافتها ورفاهتها ، ويسجل تبوءها المقام الجدير بها وبتاريخها بين أمم الارض

ولعله — أخيراً — يختم فاتحته بترديد شعار الهلال . . . مثل ما يردده كاتب هذه المقدمة : الى الامام !

اكتوبر ١٩٣٢ — اميل زيدان

القسم الاول

---

١ ـ مؤسس الهلال
٢ ـ مقتطفات مما قيل في مؤسس الهلال
٣ ـ تاريخ مجلة الهلال
٤ ـ بعض ما قيل في الهلال
٥ ـ دار الهلال الآن ومجلاتها

مؤسس الهلال

تاريخه في صفحة

* ولد مؤسس الهلال فى بيروت فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦١
* تلقى مبادىء العلوم فى بعض مدارسها الابتدائية
* واضطر الى ترك المدرسة صغيراً لمساعدة والده
* ودرس اللغة الانكليزية فى مدرسة ليلية فى مدة لاتتجاوز خمسة أشهر
* ثم انتظم فى « جمعية شمس البر » الادبية فكان يحضر حفلاتها
* وفى سنة ١٨٨١ صمم على ترك شغله والمثابرة على طلب العلم
* دخل المدرسة الكلية ببيروت لدراسة الطب فمكث بها سنتين
* حدث اختلال فى تلك المدرسة فخرج منها بعد مانال شهادة فى العلوم الصيدلية
* جاء مصر عقب الحروب العرابية لتكملة الطب
* حول عزمه عن دراسة الطب واشتغل محرراً بجريدة الزمان
* وفى سنة ١٨٨٤ سافر فى الحملة النيلية الى السودان مترجماً بقلم المخابرات
* عاد الى مصر بعد عشرة أشهر وقد نال ثلاثة أوسمة مكافأة له على خدماته
* فى سنة ١٨٨٥ انتدبه المجمع العلمى الشرقى ببيروت ليكون عضواً عاملا به
* أقام ببيروت عشرة اشهر فدرس اللغات العبرية والسريانية واخواتهما
* فى سنة ١٨٨٦ انتدبته مجلة « المقتطف » لادارة أشغالها ، فقام بذلك نحو عامين
* انصرف بعد ذلك الى الكتابة والتأليف
* فى سنة ١٨٩٢ أصدر مجلة الهلال
* كان فى أول نشأة الهلال يتولى وحده جميع شئونه
* لما اتسع نطاق الاعمال فى الهلال عهد فى ادارته الى شقيقه واستخدم آخرين
* أكب على التأليف والتحرير ، فكتب بعد نشأة الهلال مؤلفات جمة
* قام بعدة رحلات أهمها رحلاته الى الآستانة والى أوربا وفلسطين
* فى ٢١ يوليه سنة ١٩١٤ وافته المنية فجأة ففاضت روحه الى خالقها

آثاره

* محور آثاره كلها « الهلال » وقد اصدر منه ٢٢ مجلداً
* أهم مؤلفاته ما يأتي :

تاريخ مصر الحديث ـ جزءان
تاريخ التمدن الاسلامي ـ خمسة اجزاء
تاريخ العرب قبل الاسلام ـ جزء واحد
تاريخ آداب اللغة العربية ـ ٤ اجزاء
تراجم مشاهير الشرق ـ جزءان
الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ـ جزء واحد
تاريخ الماسونية العام » »
تاريخ اللغة العربية » »
أنساب العرب القدماء » »
علم الفراسة الحديث » »
طبقات الامم » »
عجائب الخلق » »

* نقل تاريخ التمدن الاسلامي الى خمس لغات هي : الاوردية ، والتركية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والفارسية . وترجم كتاب الفلسفة اللغوية الى التركية
* الف عدة روايات تاريخية جعلها متسلسلة منذ ظهور الاسلام
* ظهر من سلسلة روايات تاريخ الاسلام ١٨ حلقة اليك أسماءها :

١ ـ فتاة غسان ـ جزءان	٧ ـ فتح الاندلس	١٣ ـ احمد بن طولون
٢ ـ أرمانوسة المصرية	٨ ـ شارل وعبد الرحمن	١٤ ـ عبد الرحمن الناصر
٣ ـ عذراء قريش	٩ ـ ابو مسلم الخراساني	١٥ ـ فتاة القيروان
٤ ـ ١٧ رمضان	١٠ ـ العباسة أخت الرشيد	١٦ ـ صلاح الدين
٥ ـ غادة كربلاء	١١ ـ الامين والمأمون	١٧ ـ شجرة الدر
٦ ـ الحجاج بن يوسف	١٢ ـ عروس فرغانة	١٨ ـ الانقلاب العثماني

* له اربع روايات خارجة عن السلسلة هي :

١ ـ المملوك الشارد ٢ ـ أسير المتمهدي ٣ ـ استبداد المماليك ٤ ـ جهاد المحبين

وقد نقلت هذه الروايات الى أهم اللغات الشرقية وبعض اللغات الاوربية

مقتطفات مما قيل في مؤسس الهلال

مقال للمرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

لا اعلم أين تذهب نفس الانسان بعد موته ، ولا اين مكانها الذى تستقر فيه بعد فراق جسدها ، ولا ماهى الصلة التى تبقى بين المرء والحياة الدنيا بعد رحيله عنها . فان كان صحيحاً مايقولون من ان ساكن القبور يستطيع ان يجد مابين صخورها ورجامها منفذاً يشرف منه على هذه الدار فيسره ماترك وراءه فيها من ذكر جميل وثناء عاطر وسيرة صالحة ومجد باق ، فان نصيب جرجى زيدان اليوم من الهناء والغبطة بما ترك فى هذه الحياة من جليل الآثار وصالح الاعمال أوفر الأنصبة واوفاها

ما انعم الله على عبده نعمة اسنى قيمة ولا اغلى جوهراً ولا احسن اثراً من نعمة اعتقاد الجزاء الصالح على العمل الطيب . فهو يعتقد انه مجزى على عمله مكافأ به مؤمناً كان أم ملحداً ، معترفاً بنعيم الآخرة أم منكراً اياه . فان كان الاول ساقه الى العمل الصالح شغفه بجنة الخلد وحورها وولدانها ، ولؤلؤها ومرجانها ، وروحها وريحانها . وان كان الثانى ساقه اليه شغفه بالذكر الجميل ، والسيرة الصالحة والحياة الباقية فى ألسنة الاجيال وبطون التواريخ . ولولا هاتان الجنتان ـ جنة المؤمنين وجنة الملحدين ـ ماجد فى هذه الحياة جاد ولا عمل فيها عامل

ان ميدان الحياة الدنيا اضيق من أن يسع بين غايتيه العمل الصالح والجزاء عليه معاً . وكيف يسعهما جميعاً والمرء لايكاد يفرغ فى حياته من عمله الذى يتوقع عليه الجزاء حتى تنطفىء ذبالة حياته ، أو تحترق فحمة شبابه ، حيث تموت فى قلبه لذة العظمة ، وتنضب فى فؤاده شهوة المجد . فان فرغ منه قبل ذلك لا يترك له حساده ومنافسوه ساعة من ساعات فراغه يستطيع ان يسكن فيها الى نفسه ليستشعر برد الراحة ولذة الجزاء . فلا بد ان يكون للجزاء حياة اخرى غير هذه الحياة . اما حياة الاجر ، أو حياة الذكر

مات جرجى زيدان فنحن نبكيه جميعاً . أما هو فانه يبتسم لبكائنا ويرى فى تفجعنا عليه والتياعنا لفراقه منظراً من أجمل المناظر وابهاها . لانه يعلم ان هذه الدموع التى ترسلها اجفاننا وراء نعشه أو تسكبها فوق ضريحه انما هى ألسنة ناطقة بحبه واعظامه والاعتراف بفضله والثناء على عمله ، وانها المداد الالهى النورانى الذى نكتب به فى صفحة تاريخه الابيض آيات مجده الخالد وعظمته الباقية وذلك ماكان يريد ان يكون

مات جرجي زيدان فبكاه صديقه لانه كان يحمد وده واخاه ، وبكاه جليسه لانه كان يجد فى جواره لذة الانس وجمال العشرة ، وبكاه معتفيه لانه كان يحيا بماله ، وبكاه صنيعته لانه كان يعيش بجاهه ، وبكاه قارئ كتبه لانه كان يجد فيها من غزارة المادة وجمال الاسلوب وسهولة التناول مالا يجد فى غيرها ، وبكاه قارىء رواياته لانه كان يجد فى خيالها وجمال تصوراتها عوناً على هموم الحياة وارزائها . اما انا فبكيته لأمر فوق هذا كله

تطلع الشمس فى كل صباح من مشرقها على هذه الكائنات ناطقها وصامتها ، حيها وميتها، جامدها وسائلها ، فتستمد منها كل مادة حياتها التى تقومها أو صورتها التى تتشكل بها ، وتأخذ منها النباتات نماءها والازهار الوانها والنار حرارتها والاجسام صورتها والاجواء طهارتها ونقاءها والآفاق جمالها وبهاءها . وكذلك كان جرجي زيدان فى سماء هذا البلد

كان بطلا من ابطال الجد والعمل والهمة والنشاط . يكتب احسن المجلات ويؤلف أفضل الكتب وينشىء افضل الروايات ويناقش ويناضل ويبحث وينقب ويستنتج ويستنبط ويجيب السائل ويفيد الطالب فى آن واحد ، لايشغله شأن من تلك الشؤون عن شأن غيره ، ولا يشكو مللا ولاضجراً ولا يحس بخور ولا فتور . فكان القدوة الحسنة بين فريق المستنيرين من المصريين يتعلمون منه أن قليلا من العلم يتعهده صاحبه بالتربية والتنمية ثم يقوم على نشره واذاعته بين الناس انفع له ولأمته من العلم الكثير والعمل القليل . ولو شئت ان أقول لقلت ان جرجي زيدان كان رئيس البعثة العلمية السورية التى وفدت الى مصر فى اواخر القرن الماضى فغيرت وجه العالم المصرى تغييرا كلياً ، وغرست فى صحرائه القاحلة المجدبة أغراس الجد والعمل والشجاعة والاقدام والهمة والاستقلال ، وعلمت ابناءه كيف يؤلفون ويترجمون وينشئون الجرائد والمجلات وكيف يتخذون من هذا العمل الشريف صناعة يقومون بها حياتهم المادية وحياة أمتهم الادبية ويتقون بها مذلة الوقوف على أبواب الدواوين صباح مساء يتكففون رؤساءها ويسألونهم ان يتخذوهم عبيداً لهم يخدمونهم على موائد عزهم وسعادتهم التى يجلسون عليها ، فاما عطفوا عليهم فالقوا اليهم بالنزر الخسيس من فتات تلك الموائد ، وإما طردوهم عنها طرد الكلاب الجرباء

وكان شريف النفس بعيد الهمة متجملا بصفات المؤرخ الحقيقى الذى لا يتعصب ولا يتحيز ولا يداهن ولا يجامل ، ولا يترك لعقيدته الشخصية مجالا للعبث بجوهر التاريخ وحقائقه . فكتب وهو المسيحى الارثوذكسى تاريخ الاسلام فى كتبه ورواياته كتابة العالم المحقق الذى لا يكتم الحسنة اذا رآها ولا يشمت بالسيئة اذا عثر بها ، فاجتمع بين يديه فى مجلس علمه من ابناء الامة الاسلامية خاصتها وعامتها عربها وعجمها جمع لم يجلس مثله بين يدى عالم من علماء الاسلام ولا مؤرخ من مؤرخيه فى هذا العصر . فاقام بهذا العمل العظيم لهذا الدين القويم حجته أمام اولئك الذين لا يثقون فى خبر من أخباره ولا فى بحث من ابحاثه بحديث شيعته وأبنائه . وكان فى تسامحه هذا القدوة الصالحة للمؤرخ يتعلم منه كيف يكتب التاريخ بلسان التاريخ لا بلسان الدين ، والمثل الاعلى للعالم يتعلم منه كيف يستطيع ان يتجرد من عواطفه وميول نفسه وخواطر قلبه أمام الامانة للعلم والوفاء بحقه

وكان مستقيما فى عمله أميناً فى علائقه لا يكذب ولا يتلون ولا يخيس بعهده ولا ينكث بوعده ولا

يكسو بضاعته لوناً غير لونها ليزخرفها على الناس ويجملها فى عيونهم ، فتعلم منه العاملون ان الكذب فى المعاملة ليس شرطاً من شروط الربح ولا سبباً من أسباب النجاح

وكان واسع الصدر فسيح رقعة الحلم . وقف له فى طريق حياته كما وقف لغيره من قبله ومن بعده فريق المقاطعين فى هذا البلد الذين لا ينطقون ولا يسكتون عن مقاطعة الناطقين ، فلبسوا ثوب الانتقاد ليشتموه . وكمنوا وراء أكمة الدين ليرموه فيصموه . وقالوا إنه شوه وجه التاريخ الاسلامى وعبث بحقائقه ولم يسألوه من أين نقل ولا كيف استند بل سألوه لم لم يكتب كما كتبوا ولم يستنتج مثل ما استنتجوا ، كأنما لم يكفهم منه أن يروه بينهم مسيحياً متسامحاً حتى أرادوا منه أن يكون مسلماً متعصباً يكتب التاريخ بلسان الدين كما يكتبون وينهج فيه كما ينهجون ، فلم يجدوه حيث أرادوا فرموه بسوء القصد فى عمله وخبث النية فى مذهبه ، ولم يستطيعوا أن يروضوا أنفسهم الجامحة على ان يقولوا ان الرجل باحث مستنتج يخطىء مرة ويصيب أخرى ،أو يقولوا إن له فى تاريخ الاسلام حسنات تصغر بجانبها سيئاته فيه فلتغتفر هذه لتلك . وعندى ان أحداً منهم ما كان يعتقد شيئاً مما يقول ولكنهم كانوا يرون ان الدين سلعة تباع وتشرى وان سلعته ملك لهم ووقف عليهم لا يجب ان تعرض فى حانوت غير حوانيتهم ، وظنوا أن الرجل تاجر مثلهم يريد ان يفتح بجانب حوانيتهم الحانوت التى يخافونها فاستوحشوا منه وأنكروا مكانه واستثقلوا ظله ، وقالوا مرة انه مسيحى لا يؤمن على الاسلام ولا على تاريخه كأنما ظنوا أنه ينقل حوادث التاريخ ووقائعه عن العهد القديم أو العهد الجديد ، وقالوا أخرى إنه سورى دخيل وفد هذا البلد مسترزقاً أو متجراً فما هو بمخلص ولا بأمين . وفاتهم ـ عفا الله عنهم ـ أنه كان ضيفاً فليس من أدب الضيافة ولا من خلال المروءة والكرم ان يمن المضيف على ضيفه بيده عنده وان يعد عليه لقماته التى يطعمها على مائدته كلما جلس معه عليها . وان كان تاجراً فقد باعهم بهذا النزر الخسيس من متاع الدنيا وزخرفها جوهر عقله وينبوع ذكائه ومادة حياته فما كانوا من الخاسرين ولا كان من الرابحين

ووالله ما أدرى كيف تتسع صدورهم للخمار واللص والقواد الاجانب ان يفتح كل منهم فى كل موطىء قدم من مدنهم وقراهم حانة يسلب فيها عقولهم أو مقمراً يسرق فيه أموالهم أو ماخوراً يهتك فيه اعراضهم .فلا يطاردونه ولا يحاربونه ولا يسمونه دخيلا ولا واغلا . ثم يضيقون ذرعاً بالعالم المهاجر ينزل بأرضهم نزول الديمة الوطفاء بالصحراء المحرقة فيعلمهم العلم ويهذب نفوس ابنائهم ويثقف عقول نابتتهم ويبعث فى نفوس ضعاف العزائم منهم روح الهمة والنشاط والشجاعة والاقدام

ذلك هو شقاء الامم وهذا جواب السائلين عن اسباب سقوطها وانحطاطها

لم يضق الرجل ذرعاً بهذا كله بل كان شأنه معهم ان كان يعتب عليهم ولا يشتمهم ، وينبههم الى أدب المناظرة وواجباتها ولا يؤنبهم ، ويدعوهم الى اتخاذ كلمة الحق سواء بينه وبينهم ولا يمكر بهم . حتى انقلب عنهم يحمل فى يده لواء الفضيلة والحلم وان كان مخطئاً . وانقلبوا عنه يحملون فوق رءوسهم رذيلة التعصب والجهل وسوء الخلق وضيق العطن وان كانوا مصيبين

ولقد وضع بخطته هذه فى مناظرة خصومه ومجادلتهم أول حجر فى بناء الاخلاق الفاضلة فى هذه

الامة فتعلم منه كثير من ادباء هذا البلد وعلمائه كيف يستطيعون أن يتناظروا ولايتشاتموا ، وأن يتعاونوا على الحقيقة المبهمة فيكشفوا الغطاء عن وجهها دون ان يريقوا فى معاركهم قطرة واحدة من دم الفضيلة والشرف . فان تم لهذه الامة فى مستقبل حياتها حظها من شرف الاخلاق وعلو الهمة ونبالة المقصد فى جميع شؤونها واغراضها فلتذكر دائماً أن جرجى زيدان أحد الذين أسسوا فى أرضها هذه الدولة الفاضلة دولة الآداب والأخلاق

نحن لاتعوزنا المؤلفات ولا المترجمات فالمؤلفون والمترجمون والحمد لله كثير وانماالذى يعوزنا روح عالية تخفق فى سماء هذه الأمة خفوق النجم الزاهر فى سمائه وتشرق فى نفوس ابنائها اشراق الشمس فى دارتها ، فتبعث العزيمة فى نفس الضعيف والهمة فى قلب العاجز والشجاعة فى فؤاد الجبان ، وتقوم من الاخلاق معوجها ، وتصلح من الآداب فاسدها وتثبت من العقول مضطربها ، وتعلم كل صغير وكبير وقوى وضعيف ان قيمة المرء فى حياته أداء واجبه للانسانية أولا ولامته ثانيا ولنفسه أخيراً ، وان الحب سعادة الانسان والبغض شقاؤه وبلاؤه ، وان الفرق بين الدين الخالص والدين المشوب ان الاول يتسع صدره لكل شيء حتى لمخالفيه ومحاربيه ، والثانى يضيق صدره بكل شيء حتى بنفسه ، وان الله تعالى اوسع رحمة واعلى حكمة من ان يسد فى وجوه عباده كل طريق للوصول اليه الا طريق السيف والنار ، وان هذه الاضغان الدينية التى تلتهب فى صدور الناس التهابا لا تؤججها فى صدورهم الاديان بل رؤساء الأديان الذين يتجرون بها فى اسواق الغباوة والجهل ، وان الذين يقدسون هذه الاحقاد ويباركونها ويعتبرونها جزءاً من ماهية الدين ومقوماً من مقوماته انما يقولون من حيث لا يشعرون ـ ان الالحاد فى العالم والفوضى الدينية فيه وعبادة الشمس والقمر والتراب والحجر أنفع للمجتمع الانسانى وأحسن عليه عائدة من عبادة الاله المعبود

ولقد كان جرجى زيدان روحا من تلك الارواح العالية تمنيناها برهة من الزمان حتى وجدناها فلم ننعم بها الا قليلا ثم فقدناها احوج ما كنا اليها . فذلك ما يبكينا عليه ويحزننا على فراقه

قصيدة للمرحوم حافظ بك ابراهيم

دعانى رفاقى والقوافى مريضة ... وقد عقدت هوج الخطوب لسانى
فجئت وبى ما يعلم الله من اسى ... ومن كمد قد شفنى وبرانى
مللت وقوفى بينكم متلهفاً ... على راحل فارقته فشجانى
افى كل يوم يبضع الحزن بضعة ... من القلب انى قد فقدت جنانى
كفانى ما لاقيت من لوعة الاسى ... وما نابنى يوم « الامام » كفانى
تفرق احبابى واهلى واخرت ... يد الله يومى فانتظرت اوانى

فمالى صديق أن عثرت اقالنى — ومالى قريب أن قضيت بكانى
ارانى قد قصرت فى حق صحبتى — وتقصير امثالى جناية جانى
فلا تعذرونى يوم « فتحى » فاننى — لأعلم ما لا يجهل الثقلان
فقد غاب عنا يوم غاب ولم يكن — له بين هالات النوابغ ثانى
وفى ذمتى « لليازجى » وديعة — واخرى « لزيدان » وقد سبقانى
فيا ليت شعرى مايقولان فى الثرى — اذا التقيا يوماً وقد ذكرانى
وقد رميا بالطرف بين جموعكم — ولم يشهدا فى المشهدين مكانى
أيجمل بى هذا العقوق وانما — على غير هذا العهد قد عرفانى
دعانى وفائى يوم ذاك فلم اكن — ضنيناً ولكن القريض عصانى
وقد تخرس الاحزان كل مفوه — يصرف فى الانشاد كل عنان
أأنساهما والعلم فوق ثراهما — تنكس من اعلامه علمان
وكم فزت من رب « الهلال » بحكمة — وكم زنت من رب « الضياء » بيانى
أزيدان لا تبعد وتلك علالة — ينادى بها الناعون كل حسان
لك الاثر الباقى وان كنت نائياً — فأنت على رغم المنية دانى
ويا قبر زيدان طويت مؤرخاً — نجلى له ما اضمر الفتيان
وعقلا ولوعاً بالكنوز كأنه — على الدر غواص ببحر عمان
وعزماً شآمياً له اينما مضى — شبا هندوانى وحد يمانى
وكفاً اذا جالت على الطرس جولة — تمايل اعجاباً بها البلدان
اشادت بذكر الراشدين كأنما — فتى القدس ممن ينبت الحرمان
سألت حماة النثر عد خلاله — فمالى بما اعيا القريض يدان

مقال للمرحوم جبران خليل جبران

لقد مات زيدان وممات زيدان عظيم كحياته ، جليل كأعماله

لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة وحول مضجعها تحوم الآن سكينة توحى الهيبة والوقار وتترفع عن الحزن والبكاء

لقد تملصت تلك الروح الطيبة ورحلت إلى عالم نشعر به ولا ندركه ، وفى رحيلها عظة للباقين فى قبضة الايام والليالى

قد تحرر ذلك الوجدان النبيل من متاعب العمل ومشاقه ، وسار ملتفاً برداء مجده إلى حيث يتسامى

العمل عن المشاق والمتاعب ـ قد ذهب زيدان الى حيث لا تراه العين ولاتسمعه الاذن ـ ولكن اذا كان زيدان قد انتقل الى إحدى السيارات السابحة فى بحر اللانهاية فهو الآن مشغول بنفع سكانها، منهمك بجمع معارفها، مأخوذ بجمال تاريخها، منصب على درس لغاتها

هذا هو زيدان ـ فكرة متحمسة لاترتاح إلا إلى العمل، وروح ظامئة لاتنام إلا على منكبي اليقظة، وقلب كبير مفعم بالرقة والغيرة. فاذا كانت تلك الفكرة لم تزل كائنة بكيان العقل العام فهى تشتغل الآن مع العقل العام. واذا كانت تلك الروح موجودة بوجود النواميس فهى الآن تعمل مع النواميس. واذا كان ذلك القلب باقياً ببقاء الله فهو الآن ملتهب بشعلة الله

هذه هى حياة زيدان ـ ينبوع تدفق من صدر الوجود وسار نهراً صافياً يروى ما على جانبى الوادى من النبات والانصاب

وها قد بلغ النهر شاطىء البحر فأى متطفل ياترى يجسر أن يندبه أو يرثيه

أو ليس الندب والنواح خليقين بالذين يقفون أمام عرش الحياة ثم ينصرفون قبل ان يسكبوا فى راحتيها قطرة من عرق جبينهم أو دم قلوبهم ؟

او لم يصرف زيدان ثلاثين سنة مذيباً قلبه مستقطراً جبينه . وهل بيننا من لم يستق من تلك المجارى البلورية العذبة ؟

إذاً فمن شاء أن يكرم زيدان فليرفع نحو روحه ترنيمة الشكر وعرفان الجميل بدلا من ندبات الحزن والاسى

من شاء ان يكرم زيدان فليطلب قسمته من خزائن المعارف والمدارك التى جمعها زيدان وتركها إرثا للعالم العربى

لاتعطوا الرجل الكبير، بل خذوا منه، وهكذا تكرمونه

لاتعطوا زيدان ندباً ورثاء، بل خذوا من مواهبه وعطاياه، وهكذا تخلدون ذكره

كلمة للمرحوم الدكتور شبلي شميل

فقدت لغة العرب بفقد جرجى زيدان عاملا من أكابر عمالها ومؤرخاً من أكبر مؤرخيها وأديباً روائياً من أشهر روائييها. ولقد كانت الخسارة به على هذه اللغة وآدابها فادحة ولا سيما أن الطريقة التى خدمها بها ليست من الطرق المبتذلة التى يجرى عليها أكثر الكتاب والمؤرخين. فهو مبتدع وطريقته لم يسبقه اليها أحد فى هذه اللغة ، فكست كل هذه المباحث القديمة ثوباً جديداً قشيباً لفت النظر اليها وحبب للقارىء مطالعتها

والفقيد الكريم وان كان قد قضى وهو لايزال ممتلئاً قوة وكنا لانزال كثيرى الأمل بتفننه واقتداره وزيادة خبرته لو فسح له بالاجل، إلا أن حياته القصيرة كانت كثيرة البركة وكلها حياة نشاط وعمل

فأنجز فى أقل من ربع قرن مايعجز الاقران عن الاتيان بمثله فى قرن، وتمكن من تتميم فكرته فى خدمة آداب هذه اللغة، فوضع تاريخ التمدن الاسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية وغيرهما وأوشك أن يختتم حلقات روايات التاريخ الاسلامى - فى هذا الوقت القصير - فهو بطل من ابطال نهضتنا الحديثة القليلين

على ان الأثر الاعظم لهذا الرجل العظيم ليس ماتقدم بل هو «الهلال» شيخ المجلات الادبية الجامع لكل المباحث العلمية والعمرانية والسائر فيها سير الاجتماع نفسه على قدر ما يحتاج اليه المقام ويسمح به الزمان والمكان متوخياً توسيع العقول « باسفين » التؤدة واللين خوفاً من عواقب « ديناميت » العنف الذى لايعمد اليه إلا فى مواقف معلومة

قصيدة للمرحوم ولى الدين بك يكن

نادوا بألسنة الرثاء فأسمعوا — جهد الحزين تذكر وتوجع

ياساهراً والليل يعثر بالكرى — عجباً هجعت وما عهدتك تهجع

بين المحابر والدفاتر مجلس — هو للمعارف والمعالى موضع

خسف الهلال به عشية تمه — من بعد ماقد كان منه يطلع

هى ضجعة ما أعقبتها نهضة — فقضى الضجيع كما اقض المضجع

لو أمهلتك لكى تودع معشراً — سبقت قلوبهم اليك تودع

استودعوك مثابة مأمونة — لم يحسبوا فيها النفيس يضيع

وتطلبوك غداً فقابل جمعهم — هول الردى والمنزل المتخشع

ثم انثنوا واليأس ملء قلوبهم — هيهات من يمضى مضيك يرجع

* * *

زيدان فضلك ليس يحجبه الثرى — الفضل من تحت الجنادل يسطع

كالريم الوهاج إلا أنه — أمضى شعاعا فى العيون وأبدع

ولك المآثر خالدات كلها — ذكراك من أثنائها تتضوع

كتب تضمنت الزمان وشرحه — فيها فصول كالوجود وأوسع

قصص وآداب وجمع معارف — رفعت بلادك للسهى وسترفع

أحييت ذكرى السالفين اولى النهى — ان الكريم لمثله يتشيع

ليدم سليل شمائل لك حرة — يقتص اثرك للعلاء فيتبع

هو سلوة للثاكلين ومطمع — للآملين . يدوم ذاك المطمع

إنا نساجله الدموع تحسرا — حتى تجف من العيون الأدمع

وتظل فى الأكباد منا غلة — بالصبر ننقعها وليست تنقع

كلمة للمرحوم سليم سركيس

جلس مخارق ـ وهو المنشد الشهير ـ فى مجلس هرون الرشيد وكان يتخير أبياتاً يطرب بها الخليفة فأنشد :

وانى لمحتاج الى ظل صاحب   يروق ويصفو ان كدرت عليه

فطرب الرشيد وقال : « يا مخارق جئنى بهذا الصاحب ولك نصف الخلافة »

ولو أننى عاصرت الرشيد لأخذت نصف خلافته إذ أقدم اليه جرجى زيدان فقد كان ضالة الأمير . كان صديقاً كاملا فى صداقته ، كما كان كاملا فى جميع أخلاقه . عرفناه أيام كان طالب علم فى المدرسة الكلية ، الى ثورة عقلاء الطلبة ، إلى قدومه إلى القاهرة . ففى جميع أدوار حياته كان صديقاً « يروق ويصفو » إن كدر الناس عليه . وعرفته الأمة العربية فى مشارق الأرض ومغاربها نزيه القلم عفيف اللسان فى ٢٥ سنة قضاها بين المحابر والأوراق . كان فيها جميعاً بشهادة مجلدات الهلال الضخمة ومباحثه الوعرة مثلا للمبدأ الشريف « مناظرك نظيرك » . كان رحمه الله صادقاً فى صداقته لذويه وأصدقائه ومعارفه ، فهو على الاطلاق الصحافى الوحيد الذى عاش فى شرقنا وليس له عدو بدليل واضح لاحاجة الى سواه ـ انك لا تجد بين جميع الذين وفقوا إلى صداقته من انقلب عليه . وأعلم علم اليقين أنه كان مستشاراً لعشرات من الذين كانت مشوراته الصادقة سبباً لنجاحهم المالى فى التجارة والصحافة . على أنه أخطأ فى جهة واحدة فقط وهى أنه كان صديقاً للجميع ثم كان عدواً لنفسه فلم يشفق على جسمه ولا رحم قواه فظلم نفسه وذهب شهيد العمل الشاق إذ حكم على نفسه بالأشغال الشاقة ولكنها أشغال استفاد منها العالم العربى رحمه الله عدد حسناته

قصيدة للمرحوم حفني بك ناصف

بربك يا زيدان هل كنت تعلم	بان أديم الارض يصبغه الدم
وان صنوف الموت تملأ وجهها	فلا موضع الا به النار تضرم
فابغضت ظهر الارض واعتضت بطنها	الا ان بطن الارض أنجى وأسلم
وعفت قصوراً بالمصابيح زينت	وراقك قبر فى البلاقع مظلم
وما حسن قصر كل من فيه خائف	بجانب قبر فيه بيت محرم
أنست بمن تحت الثرى حامد السرى	وألهاك عنا عبد ضخم وجرهم
أزيدان ما انصفتنا اذ تركتنا	عليك بكياً بينما انت تبسم
نسيت ولم ننس الوداد واننا	عليك لفى بؤسى وانت منعم
ففارقتنا عمداً ونحن بحاجة	لمن ينصف التاريخ فينا ويحكم

تعال فأرخ للانام حوادثاً تشيب لها الولدان هولا وتهرم
وارهف يراعاً للكتابة ماضياً فقد جاء عصر بالحوادث مفعم
لئن كان ما ارخت فى زمن مضى عظيما فما نستقبل اليوم اعظم
مدافع تستك المسامع دونها وتخرج من افواههن جهنم
اذا فغرت افواهها لكريهة تدك الرواسى والحصون تحطم
وسفن تبارت فى المسير اراقماً اذا زال منها ارقم صال ارقم
اذا انساب منها بضعة نحو معقل فلا شىء مما ينفث الموت يعصم
وغواصة كالحوت تسبح خفية تطيح بمرماها سفائن عوم
وطيارة لايبلغ النسر شأوها تدل على جيش العدو وترجم
فتنقض منها كالصواعق تارة كرات واحياناً تسدد اسهم
وانبوبة تنساب منها سوائل ترد هواء الجو يعمى ويبكم
متى فارقت انبوبها صرن صرصراً اذا اشتم منها القوم فالقوم جثم
ففى الجو تصعاق وفى البحر مارج وفى البر اعضاد تطير ومعصم
وفى كل ناد رنة وتحسر وفى كل دار اينما سرت مأتم
فلم يخل هم من بكاء ويافع ولم تخل منه ذات بعل وأيم
فياويح شبان تخوض غمارها و ياويل شبان عن الموت احجموا
لك الحق فانعم حيث انت مع الاولى تحب وخيم بينهم حيث خيموا
وفاخر بدار ليس فيها تباغض ونافس بحكم ليس فيه تحكم
وان غبت عنا كان فى ابنك سلوة وان عز نطق فالهلال يترجم

من خطبة للمرحوم نعوم بك شقير

« أفى كل يوم لى خليل مودع لقد كدت ان ابقى بدون خليل
ولا بد يوماً أن تجىء منيتى ويذهب عنى صاحبى ودخيلى »

ما ارهب الموت وما احقه وما امره وما اقساه !

يتحفنا الدهر حبيباً فنحله افئدتنا ونملكه جوارحنا . ثم ينتزعه منا فجأة بلا شفقة ولا حنان . وحكمه قاطع ابدى لا يقبل شفاعة ولا فداء . فنبقى على احر من الجمر . لا رجاء لنا ولا شبه رجاء فى اللقاء الى ان ينقضى العمر !

فلينظم الشعراء المجيدون عقود المدح والثناء على فقيدنا الكريم . وليخطب الخطباء المفوهون فيه مؤلفاً ومؤرخاً وصحافياً . وليثبت المؤرخون سيرته للملأ بماء الذهب . فان سيرة العصامى « جرجى

زيدان » من افضل السير التى يقتدى بها الشبان فى كل زمان ومكان . وليسمحوا لى ان اذكر الفقيد صديقاً . وزوجاً . واباً . وابناً . وشقيقاً . واديباً . واسكب الدمع على ذكره

لعل انحدار الدمع يعقب راحة　　من الوجد أو يشفى نجى البلابل

﴿ عقل الفقيد ﴾ سادتى : نبكى فى الفقيد « عقله الراقى » نبكى علو الهمة . وحدة الذكاء . ورصانة العقل . وسداد الرأى . وبعد النظر ـ الهبات التى صرفها الى تحصيل العلم وبث انواره فى قومه وبلاده

﴿ اخلاق الفقيد ﴾ نبكى فى الفقيد على الاخص « خلقه الراقى » . نبكى الحياء . والحلم . والحنان . والاتضاع . والصبر . والبشر . وطلاقة الوجه . ورحابة الصدر . وعزة النفس . وصدق الوداد . وحب الالفة والسلام والاتحاد

نبكى هذه الصفات وهذه الهبات التى متعنا بها فى حياته وتركها قدوة للاجيال فى مماته . نبكى هذه الصفات وهذه الهبات التى اكسبته من الاصحاب والمحبين من يعدون بالمئات

﴿ الفقيد واصدقاء القلم ﴾ وهذه الصفات وهذه الهبات قد تجلت بكل بهائها فى هلاله ومؤلفاته المنتشرة بين الناطقين بالضاد انتشاراً عظيما فى الشرق والغرب . فكان اصحاب قلمه أكثر جدا من اصحابه . وكان كل بريد يحمل اليه منهم عشرات الكتب يثنون فيها عليه ويبثونه اعجابهم به وحبهم له

﴿ الفقيد صديقاً ﴾ أما أصدقاؤه فقد كان لهم به ولع شديد . لانه كان يعطف عليهم عطف الاخ الشقيق على أخيه الشقيق ، حتى كانوا معه يشعرون أنهم مع قريب صميم أو حبيب كريم . فما مرض أحد منهم الا كان أول من عاده ، ولا نكب نكبة الا أقبل عليه وهون مصابه ، ولاسر لامر الا أسرع يهنئه ويشاركه فى سروره

وكان مستودع سر الاصحاب ومستشارهم ومشكى ضيمهم . فما استشاره أحد فى أمر إلا رأى الصراحة والاخلاص ورجاحة العقل بادية فى رأيه

وقد كان رحمه الله حريصاً على الوقت لايترك برهة تذهب سدى وأحب الاشياء اليه العمل . ومع ذلك فكان اذا جاءه صديق فى ساعة العمل رحب به واقبل عليه يحدثه كأن لا شغل له سواه . وكان من أحب الأمور لديه أن يرى صديقاً له يتناول الطعام على مائدته ويحدثه . وما مر يوم لم يزره صاحب أو جماعة من الاصحاب . ولا دخلت منزله فى اليوم المخصص للزيارة إلا وجدته حافلا بالأصدقاء والخلان يتحدثون فى شؤون اجتماعية أدبية ، أو يتسلون بألعاب فكاهية فكرية . وكان اكره الالعاب عنده لعب الورق . أما القمار فكان يعده ضربة على الأسرات ولعنة على الانسانية

﴿ الفقيد زوجاً ﴾ وكان الفقيد رحمه الله مولعاً جداً بالعيشة المنزلية . وقد وفقه الله الى زوجة فاضلة كانت له أكبر عون فى جهاد الحياة . وكان يحبها محبة يضرب بها المثل ، وقد طالما سمعته يقول : « ان امرأتى أصل سعادتى وأساس نجاحى ، لانها بحكمتها وحسن تدبيرها قد أراحت بالى فى منزلى فتفرغت لشغلى بكل قواى »

« الفقيد أباً » وقد منحه الله ثلاثة أولاد صبيين وبنتاً هم غاية فى النجابة والذكاء فرباهم أجمل تربية وعودهم استقلال الفكر والحرية فى ابداء الآراء

وكان إذا أخطأ ولد له رده إلى الصواب برفق ومحبة كأنه يخاطب أخاً أو صديقاً وكان يقول : « ان الأب ليفيد أولاده بقدوته أكثر مما يفيدهم بوعظه وتوبيخه »

ومن شدة حنوه كان إذا مرض أحد من افراد عائلته لازم سريره ومرضه بنفسه بصبر واناة حتى يشفى

« الفقيد ابناً وشقيقاً » سادتى : ان التربية الراقية التى ربى بها الفقيد أولاده قد كان اساسها التربية التى نالها على يدى أبويه الصالحين

نعم كان الفقيد نابغة قومه وكان جميع آله - والداه واخوته واخواته وزوجته وأولاده وسائر اقربائه من طريق الأب والأم والزوجة - يجلونه ويتعشقون خصاله ويباهون به . ولكنه كان عصامياً بالطبع وهذا الطبع موروث عن أبويه فكان يفاخر بفضل أبيه وأمه عليه ويبالغ فى اكرامهما

وكان الفقيد أكبر اخوته والمرشد الناصح الحكيم المعين لهم . وقد لباه اخوته كلهم فقام كل منهم معه أو مستقلا عنه بعمل كبير مما دل على فضل التربية الاصلية كما دل على كرم العنصر وطيب الاصل

« الفقيد أديباً » وكان أروع خلق فى الفقيد « حب الاستقلال » ، وأحب خلق إليه « الصدق »

وكان يكره التظاهر والمباهاة ويبعد عن الخصام بعده عن الافعى . وقد عاش ثلاثاً وخمسين سنة وعرفته فى كلية بيروت الامريكية ثم فى مصر منذ خمس وثلاثين سنة وكنت له جاراً وصديقاً . فما أعلم أنه فى حياته كلها تقاضى أحداً أو نازع أحداً أو كدر صفاء انسان بل كان يسالم جميع الناس . وما حسد أحداً على نعمة ، ولا حقد على أحد فى أمر ما ، وقد قام له بعض الحساد فانتقدوا بعض ما كتب فأغفل انتقادهم أو ردهم رداً جميلا

وأهم موضوع كان يشغله فى ساعات الفراغ « اسرار الوجود والازلية » . وكثيراً ما قال جاداً : « لقد اكتفينا فى هذه الحياة علماً بعجزنا وقصورنا عن ادراك اسرار الكون فلتعجل بنا الحياة الاخرى لعلنا ندرك من تلك الاسرار ما يشفى الغليل »

ومن العجيب أنه قال مراراً : « أود أن أكون جالساً فتفارقنى الحياة فجأة » وكان ما تمناه طيب الله ثراه

وكان اعتقاد الفقيد « بوجود الله وخلود النفس » راسخاً فى وجدانه . وله فى هذا الشأن مباحث نفيسة فى هلاله . ومما قاله : « انى لاعجب كيف يستطيع امرؤ أن يجد لذة أو معنى فى الحياة اذا خلا قلبه من الايمان بالله وخلود النفس »

كلمة للمرحوم رفيق بك العظم

من السهل أن يكتب الكاتب تاريخاً يلتقط أخباره من هنا وهناك ويأتي بها مجردة عن كل محاكمة واستنتاج ويلقيها كما يلقى الببغاء كلمات يتلقنها فيتلوها على المسامع . ولكن ليس من السهل أن يكتب تاريخاً يصور لك الحوادث فى صورة من الحقيقة تكاد تلمسها باليد

ليست مهمة المؤرخ - الذى يسمى مؤرخاً بالمعنى الصحيح - بالمهمة الهينة بل هى مهمة تستنفد قوى الكاتب البصير إذا وجه اليها عنايته فى ترتيب الحوادث وانتقاء الأخبار والتفريق بين صحيحها وفاسدها وبيان الرأى الصحيح فيها وربط بعضها ببعض على وجه لا تغيب فيه عن القارىء صورة من صور الحوادث الماضية

ومن أشق الأمور على الكاتب أن يكتب تاريخاً خاصاً لموضوع من مواضيع التاريخ تبعثرت مواده فى طيات الكتب وتفرقت بين ثنايا التاريخ ، ولا سيما تاريخ العرب الذى كتب فيه أكثر من تاريخ كل أمة ، وبقدر ما كتب فيه تفرقت حوادثه وتشعبت سبل الحقائق فيه فاستعصى على الناقد البصير الوقوف على مايريد منه إلا بعد الجهد الذى مابعده جهد

ليس مرادنا الآن أن نبين هنا صعوبة مايلقاه طالب الحقائق ومريد بيانها من مؤرخى العرب اليوم . وإنما المراد أن نعترف بفضل كاتب «تاريخ التمدن الاسلامى» و «تاريخ العرب قبل الاسلام» و «تاريخ آداب اللغة العربية» المرحوم جرجى بك زيدان

إن من يطالع كتب جرجى زيدان ويطالع كتب المؤرخين قبله لا يسعه إلا الاعتراف بفضله على التاريخ والاقرار بأنه عانى من المشاق فى وضع كتبه هذه مالم يعانه مؤرخ من قبل وأنه اختط طريقاً خاصا للمؤرخين من العرب فى تقسيم التاريخ وترتيبه يشهد أنه كان من خيرة مؤرخى العرب وأطولهم باعاً فى انتقاء المواضيع الاجتماعية التى لم يسبقه الى التخصص بمثلها أحد من مؤرخينا الأقدمين

انى عانيت من تاريخ العرب مايعانيه المؤرخون وعرفت من صعوبته مالم يعرفه إلا من عانى ما عانيت من المشقة فى انتقاء الحوادث والأخبار ، فلم أر أحسن من الأسلوب الذى اتبعه فى كتبه المرحوم جرجى زيدان ، ولا أدق ترتيباً للمواضيع واختياراً للحوادث خصوصاً فيما يتعلق بالمدنية الاسلامية . فحق على كل مؤرخ أن يعترف بأن جرجى زيدان مؤرخ بالمعنى الصحيح وأن له فضلا على التاريخ العربى ببيان مالم يسبق اليه من آثار المدنية العربية وتاريخها ، ينبغى أن يذكر له ما عرف التاريخ

ولقد كان بودى أن أنبسط فى بيان فضله على التاريخ وما عاناه من الصعوبة فى استخراج الأخبار من غير مظانها بسبب فقد مزية الترتيب عند السالف من مؤرخى العرب ، ولكن رأيت أن فى هذا تطويلا يحسن إرجاؤه إلى مقال خاص

قصيدة لاحمد شوقي بك

ممالك الشرق ام ادراس اطلال — وتلك دولاته ام رسمها البالى
أصابها الدهر الا فى مآثرها — والدهر بالناس من حال الى حال
وصار ما تتغنى من محاسنها — حديث ذى محنة عن صفوه الخالى
اذا جفا الحق ارضاً هان جانبها — كأنها غابة من غير رئبال
وان تحكم فيها الجهل اسلمها — لفاتك من عوادى الذل قتال
نوابغ الشرق هزوه لعل به — من الليالى جمود اليائس السالى
ان تنفخوا فيه من روح البيان ومن — حقيقة العلم ينهض بعد اعضال
لا تجعلوا الدين باب الشر بينكمو — ولا محل مباهاة وادلال
ما الدين الا تراث الناس قبلكمو — كل امرىء لابيه تابع تال
ليس الغلو أميناً فى مشورته — مناهج الرشد قد تخفى على الغالى
لا تطلبوا حقكم بغياً ولا صلفاً — ما ابعد الحق عن باغ ومختال
ولا يضيعن بالاهمال جانبه — فرب مصلحة ضاعت باهمال
كم همة دفعت جيلا ذرى شرف — ونومة هدمت بنيان أجيال
والعلم فى فضله أو فى مفاخره — ركن الممالك صدر الدولة الحالى
اذا مشت أمة فى العالمين به — أبى لها الله أن تمشى بأغلال
يقل للعلم عند العارفين به — ما تقدر النفس من حب واجلال
فقف على اهله واطلب جواهره — كناقد ممعن فى كف لأال
فالعلم يفعل فى الارواح فاسده — ما ليس يفعل فيها طب دجال
ورب صاحب درس لو وقفت به — رأيت شبه عليم بين جهال
وساهر بين قرطاس ومحبرة — يسقى العقول بعذب منه سلسال
وتسبق الشمس فى الامصار حكمته — الى كهول وشبان واطفال
(زيدان) انى مع الدنيا كعهدك بى — رضى الصديق مقيل الحاسد القالى
لى دولة الشعر طول الدهر وائلة — مفاخرى حكمى فيها وأمثالى
ان تمش للخير أو للشر بى قدم — اشمر الذيل أو اعثر باذيال
وان لقيت ابن انثى لى عليه يد — جحدت فى جنب فضل الله افضالى
وأشكر الصنع فى سرى وفى علنى — ان الصنائع تزكو عند أمثالى
وأترك الغيب لله العليم به — ان الغيوب صناديق باقفال
كأرغن الدير اكثارى وموقعه — وكالأذان على الاسماع اقلالى
رثيت قبلك أحباباً فجعت بهم — ورحت من فرقة الاحباب يرثى لى

وما علمت رفيقاً غير مؤتمن كالموت للمرء فى حل وترحال
أرحت بالك من دنيا بلا خلق أليس فى الموت أقصى راحة البال
طالت عليك عوادى الدهر فى خشن من التراب مع الايام منهال
لم نأته بأخ فى العيش بعد أخ الا تركنا رفاتاً عند غربال
لا ينفع النفس فيه وهى حائرة الا زكاة النهى والجاه والمال
ما تصنع اليوم من خير تجده غداً الخـــير والشر مثقال بمثقال
قد اكمل الله ذياك « الهلال » لنا فلا رأى الدهر نقصاً بعد اكمال
ولا يزل فى نفوس القارئين له كرامة الصحف الاولى على التالى
فيه الروائع من علم ومن أدب ومن وقائع أيام وأحوال
وفيه همة نفس زانها خلق هما لباغى المعالى خير منوال
علمت كل نؤوم فى الرجال به ان الحياة بآمال واعمال
ماكان من دول الاسلام منصرماً صورته كل أيام بتمثال
وما عرضت على الالباب فاكهة كالعلم تبرزه فى أحسن القال
نرى به القوم فى عز وفى ضعة والملك ما بين ادبار واقبال
وضعت خير روايات الحياة فضع رواية الموت فى اسلوبها العالى
وصف لنا كيف تجفو الروح هيكلها ويستبد البلى بالهيكل الخالى
وهل تحن اليه بعد فرقته كما يحن الى اوطانه الجالى
هضاب لبنان من منعاتك اضطربت كأن لبنان مرمى بزلزال
كذلك الارض تبكى فقد عالمها كالأم تبكى ذهاب النافع الغالى

مقال لخليل مطران

يوم وفاته

اتم يومه واستراح
لا تقول إلا أنه نائم
فى محياه نضارة وصفاء
انه لراض عن نفسه وحقيق به ان يرضى عنها
قلب نظرك حوله تجد المئات من الكتب وتجد من هذه الكتب المشقق والمثقب ومسود الهوامش بالرموز . كلها عابس وفى الجو شبه انقباض . اما هو الآن فوجهه باسم

أيبسم للفراق والفراق ألم وبكاء ؟
أظنه فرحاً بعد جهد العناء بانه لقى الحقيقة
أدركها وضن ببيانها كما ضن النابغون من قبل
ماهى تلك التى تسلى الرجل الامين أهله وبنيه وتؤنسه حين وحشة المعاهد
أهى بسطة الراحة بعد انقباض التعب . أم هى الغلبة النهائية للسنة الطبيعية
الاستاذ لايحير جواباً ، ونحن فى حيرة وجزع ، والحقيقة ضالة العاقل حتى يموت

طرف من اخلاقه وآدابه

ما عرفت رجلا اجمع منه للنقيضين ـ الكبر والاتضاع
لم اشهده ولم أسمع عنه أنه شكا دنياه بمحضر من احد ولا انه تمنى على أحد شيئاً باشارة او بمصارحة
كما أننى لم أجده مرة مستفزاً للأخذ بثأره من متهجم عليه فى الصناعة التى هى مدار رزقه ومحور شهرته لاعتقاده شرف غايته وسلامة صنيعه من شبهة المشتبهين
فاذا نوقش فى محادثة واتفق أن أخذته الحدة علا صوته فأسمعك عثرات الماء الصافى بحصباء العقيق .
فاذا دفعته فى بحث مما هو عارف به فاندفع اشبع وأروى ولم يدع فى النفس حاجة
أما آدابه فمما راعنى منها أنه وازنها وهيأها بحيث يرضى الامير ويقرب الصديق ويعجب الغريب من غير تكلف حركة خصيصة لموقف من هذه المواقف
وعلى هذا كان يعرض لى ان أقول : « فى زيدان جمود من جهة الملاقاة لا أحب عليه ليونة غيره مهما رقت وراقت »

كيف اقتنى تلك البشاشة الدائمة

كان لايلفى إلا باشاً وانما كانت بشاشته تلك اشف ظواهره البسيطة الرائقة عن عفته المطوية وشممه الخفى
ذلك أنه اختط لحياته خطتين : خطة عين لنفسه منتهاها من طريق العقل وبلغها على ما سأبينه .
وخطة رسم لنفسه صراطها فى جانب الخلق
الكساء والطعام والرياش أعراض فى نظره لايعتد بها ، ومن الاعتدال فيها كان يدخر مايصون ماء وجهه . فايما حالة صار من النعمة نهض الى مستواها ولكن مع ترك فضل للدخل على الخرج
فبذلك الحطام اليسير المتبقى بين يديه كان يتقى ضياع وقته ويصون مادة عفته وجوهر شممه .
ومن ذلك الزائد الزهيد كان يقتنى تلك البشاشة الدائمة التى لايحولها اغبرار الحوادث ولا تشوبها كدورة الايام ولا يتخللها اصفرار الطلب

آيته فى جده وغايته منه

كان وهو حر طليق غير مسئول الا عند نفسه ، يعمل كأن كل دقيقة من وقته محسوبة عليه

يكد بلا انقطاع ويعتقد السعادة كل السعادة فى العمل ، ومن توفيقه أنه كان بادناً قوى الجسم فلا يشعر بالتعب ، ولكن ذلك التعب فى النهاية هو الذى قتله صعيقاً

استفاد من ذلك العناء المتصل ميسرة فى رزقه وتطهيراً لنفسه وشرفاً فى اخلاقه وكرامة على الله والناس

على أن اجمل ما أصابه من نتائج ذلك الجد هو الوصول الى الغاية التى اليها سعى واياها قصد فقد أدرك الأوج فى منازل المؤرخين ومراتب الباحثين النافعين

قصيدة لخليل مطران

أعن سبق احساس بما كان يضمر ... زمانك آثرت النوى حين تؤثر
فبنت ولما يرهق الناس دهرهم ... بنكباء لايحصى اذاها التصور
أم الاجل المحتوم حل ولم تكن ... بماطل حق يقتضى فتؤخر
فوليت لم يعصمك مدخر القوى ... ولم يتمالك حلمك المتوقر
ولم يغن منك العلم والفضل ساعة ... فيا عذر من بالعلم والفضل يكفر
الا اننى غاليت فيما شكوته ... ولكن فى نفسى اسى يتفجر
لقد ارخص الغالين موت جموعهم ... وفقدك مهما يعمم الخطب يكبر
قف الآن وانظر ماباثرك من سنا ... كذاك تشع الشهب اذ تتكور
قف الآن واسمع وقع منعاك شائعاً ... كرجع الصدى عن شامخ يتهور
لقد عثر البناء عن اوج صرحه ... لدن كاد من اعلاه بالنجم يظفر
فواراه قبر لا بعيد قراره ... ولا سقفه فوق الثرى متكبر
وكان ابر الناس بالاهل والحمى ... وبالقوم لا يجفو ولا يتغير
ونعم الاخ الوافى اذا ما تنكرت ... لصاحبه الايام لا يتنكر

* * *

لحقت بمن ارختهم فكأنكم ... لدات لعهد لم تفرقه ادهر
على الحى دون الميت تحسب احقب ... توالت وتحصى فى التعاقب اعصر
ورب عليم لم يجىء متقدماً ... انم علاه انه متأخر
لئن عاقهم عن شكرك اليوم عائق ... وتدريه فالأعقاب للفضل تشكر
لقد بت منهم فى المقام الذى به ... اذا ذكر الافراد فى الخلق تذكر
ألا فى سبيل الله حكمتك التى ... جلاها هلال مالىء الكون مقمر
وجد به رضت الصعاب فما كبا ... الى أن دهاه جدك المتعثر

وآداب نفس لو توازع حسنها عراء لاضحى وهو كالروض مزهر
واخلاق احسان وعفو ورقة روائع يخفيها اتضاع وتظهر
واشتات تخريج تحار بها النهى وآيات تدبيج تروع وتبهر
عليك سلام الله قد بت هانئاً واكبادنا من حسرة تتسعر

من خطبة للاستاذ داود بركات

رهط من أبناء هذا الشرق بل أبناء اللغة العربية كان مثله كمثل الحبة الطيبة كمنت فى تربة خصبة انقطع ريها وحرمت السقيا فلم تفقد جوهرها ولكنها لم تلق ما ينشر فيها الحياة وما يبعث قوتها الكامنة من الرقاد . فلما أصابها رشاش من العلم وقطرة من مزن التربية والتهذيب نشرت وبعثت ، بل نبتت ونمت وبسقت أغصانها وأورقت ، وأرسلت بجذورها الى مواطن الحضارة والمدنية فاستمدت ثم أثمرت ثمراً طيباً جناه الشرق ، وحنت الى ما حولها فتعهدته بالحيا والسقيا ليحيا ، فقال الشرق فى هذا الرهط من ابنائه إنه خيرهم « وخير الناس من نفع الناس »

هذا الرهط كشف عن الابصار غشاوة الجهل وروج العلم وأرسل نور مصابيحه الى قصر الامير وكوخ الحقير . والعلم اذا انتشر كنور الشمس اذا استفاض يستنير به كل حى

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

هذا الرهط الذى نبت أكثره منذ نصف قرن ونبغ بجده وجهده لهو ابكار المدنية الشرقية الناشئة الآن . ففى كل يوم نودع منه راحلا الى ربه خالداً فينا بآثاره

وفى كل يوم نقف على جدث راحل منشدين

انت احسنت فى الحياة الينا أحسن الله فى الممات اليكا

* * *

من هذا الرهط المبارك منشىء الهلال وصاحب تاريخ مصر الحديث وتاريخ التمدن الاسلامى وتاريخ العرب قبل الاسلام وتراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر وتاريخ الماسونية العام وانساب العرب القدماء وعلم الفراسة الحديث وطبقات الامم وعجائب الخلق

وصاحب فتاة غسان وأرمانوسة المصرية وعذراء قريش و١٧ رمضان وغادة كربلاء والحجاج بن يوسف وفتح الاندلس وشارل وعبد الرحمن وابو مسلم الخراسانى والعباسة اخت الرشيد والامين والمأمون وعروس فرغانة واحمد بن طولون وعبد الرحمن الناصر وفتاة القيروان وصلاح الدين ومكايد الحشاشين وشجرة الدر والانقلاب العثمانى والمملوك الشارد واسير المتمهدى واستبداد المماليك وجهاد المحبين

* * *

مؤلفات يكفى ذكرها اليوم ويكفى ذكرها غداً وبعد غد والى الابد فى ارقى الامم علماً واسماها حضارة حتى يكون اسم جرجى زيدان عنوان النشاط والجد وعنوان الادب والفضل وحتى يمثل هذا الاسم كنارة من المنائر التى قامت فى مصر وارسلت أشعتها الى العالم العربى بل الى العالم الشرقى كله . ولم يجهل الغرب جرجى زيدان وفضله فترجم بعض مؤلفاته بلغاتهم وعين عضواً فى جمعياتهم العلمية فاحسن الى أمته بترويج العلم فيها وأحسن اليها ببعث ذكرى مجدها القديم فى ذاكرة الغرب

* * *

جرجى زيدان يبتدىء فضله بأنه علم نفسه ، ويتضاعف هذا الفضل ويعظم ويفخم ويسمو بأنه كان فى مدى حياته كلها معلماً لغيره ، ويدوم هذا الفضل غير منته الى حد ولا منقطع الى مدى بهلاله ، وهو وحده مكتبة ضخمة لا ينقصها علم ولا يفوتها فن أو موضوع نافع ، حتى يصح أن يقال لكل طالب : « عد الى الهلال تلق ضالتك » وبتآليفه التى تستنفد قراءتها شطراً كبيراً من عمر القارىء اذا قرأ فكيف بعمر المؤلف اذا كتب

يدوم فضله ويخلد بكل هذا ، ويدوم ويخلد بالسنة التى سنها بنفسه للناشئة فى طلب العلم ، وبالسنة التى سنها بعد ذلك للكتاب والمؤلفين فى الكتابة والتأليف ، وبالطريقة التى انتهجها فى ترويج العلم فلم يعل عليها العالم ولم يحقر دونها المتعلم . وببر الابناء الآباء وبتنزيه العلم والادب عما ليس علماً ولا أدباً حتى يكون العالم للانسانية وحتى يكون العلم للجميع

فنحن من فضله الخالد فينا امام علم العالم وامام حياة العالم العامل

* * *

نشأ جرجى زيدان فى بيروت وأبوه بحاجة الى ذراعيه الضعيفتين فى طلب الرزق . ونفسه النابتة كبيرة فى صدره طموحة الى ما يرضيها من العلم ، والى ما يرضى والديه من العمل . فلم يهمل الواجب المفروض على الولد لوالديه ، ولم يهمل الواجب المفروض على النفس الكبيرة لصاحبها . فرأينا جرجى زيدان ابن الثانية عشرة يشتغل لعائلته نهاراً ويشتغل لنفسه ليلا ويجمع بين نبضات قلبه ودقائق حياته كلها بين الحسنيين ويجمع بقوة الارادة بين نشاط الشباب ومدارك الشيوخ فكأنه ولد شيخاً « والنبت الطيب يأتى اكله طيباً فى كل حين »

وبعد ان كان لنفسه ولأبويه فى صباه صار لأمته وللانسانية فى الشباب والكهولة وحاله تنشد فينا :
« نفس عصام سودت عصاما »

احتاج الفتى جرجى الى متنزه يروض فيه فكره ويشرح صدره . فلم يبحث عن متنزه فى الملاعب ولم تجده نفسه فى الملاهى ، بل فى جمعية ادبية علمية هى « جمعية شمس البر » فاندمج فى سلكها فزادت خطبها العلمية والادبية ومباحثها الراقية نفسه نشاطاً الى العلم وعشقا للأدب . وهكذا فعل البيآت فى الامم تطبع الناشىء بطابعها فاذا كان ذلك الطابع حسنا كان اثره فى نفس الناشىء حسناً وعن ذلك درج المثل القائل : «ارنى عشيرك ارك من أنت »

كان عشير الفتى جرجى الأدباء والعلماء فنشأ عاشق الادب والعلم إلى أن صار أديباً عالما . ومثل

جمعية شمس البر فى كل الامم . سلم الرقى والتهذيب لانها تكون حولها محيطا يهذب مافى دائرته ويرسل عرفه الطيب وشذاه الى ما حوله حتى قالوا إن معيار ترقى الامم الجمعيات الادبية والعلمية والخيرية فيها لأن هذه الجمعيات ثمرة شعور الافراد بالتساند والتعاضد والتآزر ، فكلما كان هذا الشعور قوياً كان دليلا على يقظة النفوس وكلما كان قليلا كان دليلا على الضد

إنما هذه الجمعيات التى نبتت فى سوريا بعد نهوض الرهط المبارك من أبنائها بفضل العلم لم تعش طويلا فلما حرمت على الناس الخطابة وضربت حدود ضيقة للكتابة تفرق المتعلمون أو فرقوا حتى قال العالم الشهير فانديك أحد مربي سوريا : « عجبي لسوريا كيف تحيا ودم العلم والشباب يستنزف منها »

على أن ذلك الدم المستنزف من سوريا لم يضع كله فحل بعضه فى هذا القطر المبارك فظل فى وطنه وفى أهله وذويه ولغته . والعلم فى الامم المشتركة باللغة الواحدة وبالوطن كتيار الكهرباء اذا تناول طرفاً امتدت قوته إلى سائر الأطراف ، ومصر من البلاد العربية كالقلب من الجسم فكل نبضة تنبض فى هذا القلب تتناول الامة العربية كلها . حرس الله هذا القلب وصانه

* * *

كان الشاب جرجى ممن هجروا سوريا الى مصر (سنة ٨١) فلم يقصد مصر عالماً فقط بل قصدها طالباً للعلم مع ما فى صدره منه « واثنان لايشبعان طالب علم وطالب مال »

وهب جرجى نفسه لمصر فكان باراً بها فبرت به ، ولقى عطفها عليه حتى آخر نفس من حياته

قصيدة للدكتور ابرهيم شدودي

مقامك فوق العلا صاعد	وجسمك تحت الثرى راقد
وصيتك يجتاز عرض البحا	ر وأنت طويل الكرى هامد
وجيل يبيد وجيل يجى	. وذكرك ما بينهم خالد
وفضلك بين بنى الشرق رغ	م تباين أديانهم واحد
ولست بمفتقر للشهو	د ففى كل مكتبة شاهد
وما حسدوك وأى فتى	نظيرك ليس له حاسد
ولا جحدوك وكل امرىء	أتى المعجزات له جاحد
وذاك لانك جزت الحيا	ة وما لك خصم ولا حاقد
وسالمك الكل فى ذا الورى	وصافاك حتى الردى الحاصد
كفاك الشعور بوقع القضا	فجاء وأنت ضحى هاجد
أتاك سراعاً لكيلا تسا	م عذاباً كأن الردى راشد

صرمت بجهدك حبل الحيـــا ة كذا يحدث الناقص الزائد

ولو مثل جهدك طالت سنو ك لطال بهـــا نفعك العائد

طموح الى غاية الصالحـا ت وعن غيرها راغب زاهد

غنى بعلم وعقـل رزيـ ن فذاك الطريف وذا التالد

ولست فتى فخره الوالدا ن ولكن به يفخر الوالد

فما ماجـد وارث المكرما ت ولكن كاسبها الماجد

قعدنا وسرت لنيـل العلا ولا يبلغ الذروة القاعد

ونمنا فماتت معالى الجدو د وأنت لاحيائها ساهد

ترود حقائق أحوالهم كما يطلب النجعة الرائد

وتبحث عن كنه أخبارهم فمـــا فاتك الغامض الشارد

وكالنحل تجنى لنا ما استطا ب وكالشهد ينهله الوارد

وما لك غير الدجى مؤنس ولا لك غـير الحجى عاضـد

عزاء محبيك ان فتا ك لمـــا شدته داعم عامد

فما مائت كل اصيد ينـ ـجب كابن الفقيـد ولا بائد

كلمة لاحمد بك حافظ عوض

ليس الزمان كثير السخاء فى الجود على الامم - ولا سيا البادئة فى النهوض جديدة ، والمتيقظة بعد رقدة طويلة - بكثير من الرجال الممتازين بصفات عالية واخلاق قوية كالصفات التى عرفناها فى فقيد العلم والأدب جرجى بك زيدان منشىء الهلال

وانى لا أظن أنه وجد فى العالم العربى فى العصر الأخير من ترك كمية كبيرة من العمل العلمى والادبى الجدى مثل منشىء الهلال . فان رواياته ومجلدات الهلال ومؤلفاته التاريخية واللغوية والادبية تكون فى مجموعها موسوعات كبيرة ، ولولا أننا ونحن المعاصرون له نعلم علماً لا مسرب للظن فيه أن الفقيد هو الذى كتب بقلمه كل هاتيك المنشآت ورتب ابوابها ، وابتكر موضوعاتها وراقب بنفسه طبعها ووضعها ، منفرداً لايملى على محررين مأجورين ، ولا يشترك مع طائفة من الادباء الكاتبين . كما كان يفعل سواه من كتاب الروايات مثل اسكندر ديماس الذى حذا الفقيد حذوه فى وضع رواياته التاريخية - أقول لولا مانعلمه عن يقين صحيح ان كل ماتركه الفقيد هو من عمله وحده لداخلنا الشك أو تسربت الينا بعض الظنون بانه لم يكن فيه منفرداً . ذلك لانه عمل كبير مستعظم على كاتب واحد . وانى كمشاهد

عاش فى هذا العصر وعرف الفقيد شخصيا ووقف بنفسه وبخبرة صحيحة على عمله اشهد لأهل هذا الزمن واقرر للاجيال الخالفة - حتى لايتسرب الشك اليها فى المستقبل كما تسرب اليوم الى الكثيرين فى حكمهم على المتقدمين - ان كل ماوجد فى العالم من الكتب التى تحمل اسم جرجى زيدان والتى أعتقد أن الكثير منها سيعيش فى صف الآثار الخالدة . تلك الآثار التى هى اشبه بالمنارات يهتدى بها الباحثون والتى تبقى حية مطلوبة لاتطمس معالمها ولا يغطى على فضلها ولا يحمل على تضاؤلها توسع فى المعارف او زيادة فى الرقى العقلى الانسانى - اقرر للاجيال الخالفة ان كل هاتيك الآثار التى وصفتها وسيجدونها هى من عمل ذلك الرجل القدير الجلود الصبور وحده

عرفت منشىء الهلال طيب الله ثراه بالاسم وانا بادىء حياتى الادبية كثير الشغف كالناشئين بالاطلاع على القصص التاريخية والخيالية ، فكان أول اتصالى الادبى والروحانى بالفقيد رواية المملوك الشارد ، وهى أولى رواياته على ما أظن ، ثم لا زلت وعود الشباب غض طرى وعقل الفتوة وثاب خيالى ، خال من متاعب الحياة ومشاكل هذا الوجود اتابع الفقيد فى تلاوة رواياته ومنشآته اتلذذ بها واتغذى منها واطير معها واصفق لها ، حتى اشتغلت بالصحافة منذ ستة عشر عاماً فتعارفنا وتصادقنا ودامت بيننا عشرة طويلة لم يؤثر فى صفائها انتقاد ادبى نشرته فى مجلة الموسوعات على رواية عذراء قريش ولا رسائل من هذا القبيل ظهرت من آن لآخر فى جريدتى المؤيد والمنبر ، لأنه كان كجميع العلماء العاملين رحب الصدر محباً للتمحيص والنقد . ولقد وجدت من هذه الاخلاق الفاضلة وفى تلك النفس الودود الطيبة ما حببنى اليه وستبقى ذكراه فى نفسى من اجمل التذكارات التى أكتنزها من آثار الذين عرفتهم من رجال هذا العصر

من خطبة لانطون بك الجميل

ما أبلغ هذا الخطيب الصامت وما أفصح بيانه (١) . . ! بل ما أصعب اعتلاء المنبر للكلام بعد هذا السكوت الناطق ، فقد تقف دونه بلاغة الخطباء وتقصر عن مداه قرائح الشعراء . فمن كان ياترى أقدر على تأبين الفقيد من مؤلفات الفقيد ، وحفيف كل ورقة من أوراقها يرتل آيات محامده ، ودبيب الحروف فى كل سطر من سطورها ينشد جميل مآثره . وما كنت بالذى يختار لنفسه هذا الموقف الحرج بعد ذلكم الخطيب البليغ ، لولا انى أستوحى من سكوته إلهاماً لجنانى ، وأستمد من صمته روحاً لبيانى

هذه المصنفات الجليلة - وقد تناولت بجمل مواضيع التاريخ والادب والفلسفة والاجتماع - مدار

---

(١) ذكر فى بروجرام حفلة التأبين بين اسماء الخطباء والشعراء « الخطيب الصامت » . فلما جاء دوره وقف المرحوم سليم سركيس واشار الى صورة الفقيد وقال : « هذا هو الخطيب الصامت وخطبته هى مؤلفاته المعروضة امامكم فهل بين الخطب ابلغ من هذه الخطبة »

خطابى ، فأنى لى ان أوفيها حقها من التقريظ وكل منها يتطلب درسا مستفيضاً . على اننى استعين بهذه المؤلفات ـ وقد اربت على الستين مجلداً ـ لتعداد مآثر من اجتمعنا لتكريم ذكره

* * *

أيها السادة ، اذا كان معنى التأليف جمع المسائل وتنسيقها ، وتدبر المعانى وتمحيصها لاستخراج الفوائد وادراك الحقائق وابرازها فى قالب طلى ، فما أحرى منشىء الهلال بأن يطلق عليه اسم المؤلف ـ وما كل كاتب يطلق عليه هذا اللقب

فى هذا الجمع الموقر ـ الذى التف حول الهلال ـ كثيرون هم زملاء الفقيد ورصفاؤه فى معاناة صنعة القلم ، فهم ادرى من سواهم بما يكابده المؤلف فى الشرق من العناء فى جمع مواده وتأليفها فى أى فن من فنون الكتابة . لذلك يدرون كم كانت لغتنا مدينة لجامع أشتات تاريخها وتاريخ آدابها وتاريخ شعوبها ، فيشعرون بأن وفاته هى أشبه شىء بقطع شريان حى ممتلىء دماً زكياً كان يحمل الحياة الى جسم النهضة الأدبية الحديثة ، لذلك شعرنا اننا

« لم نرزه لما رزينا وحده وإن استقل به المنون وحيدا »

بل فقدنا به أكثر من فرد . فقد كان كاتباً مؤرخاً ، ومنشئاً قصصياً ، وباحثاً اجتماعياً ، ومنقباً لغوياً ، وفيلسوفاً عمرانياً ، لأن قلمه طرق ابواب كل هذه العلوم ، فانفتحت له على مصراعيها ، ودخل حديقة كل هذه الفنون ، فجنى منها الاثمار الناضجة الشهية

أجل ، قد تختلف مؤلفات جرجى زيدان قيمة باختلاف مواضيعها ، غير أنها كلها شاهد عدل على ما اتصف به من الجلد فى التنقيب ، والثبات على العمل ، والرغبة فى الافادة والسعى وراء الحقائق ، أرضت ام اغضبت

هذه بعض مزايا هذا المؤلف الذى استحق ما أحرزه من سمعة طيبة وصيت بعيد ، وان كانت يد الموت قد عاجلته دون ان تفسح له الأجل لابراز مكنونات صدره الرحب

* * *

عمد الى التاريخ ـ والتاريخ رسول الماضى وعبرة الآتى ـ فاستطلع دخائله واستجلى غوامضه ، فلما توافرت لديه مواده ، ودانت له أشتاتها ، عمل على تعميم فوائده بين قراء العربية ، فاتحفنا بكتب « تاريخ مصر » و « تاريخ العرب قبل الاسلام » و « تراجم مشاهير الشرق » و « أنساب العرب ».. وقد جمع المستندات والحوادث من موارد مختلفة ومظان شتى يقعد عنها الا الهمة الناهضة ، ويضيع فيها إلا الفكرة النيرة . فصور تلك العصور الخوالى تصويراً جمع الى الحقيقة والأمانة الوضوح والجلاء فلم يتجاهل محامدها ـ وهى كثيرة ، ولم يغض الطرف عن عيوبها ـ وأى الشعوب خلو من العيوب ؟ فقام على هذا الوجه بواجب الوطنى يذيع مفاخر قومه الغابرين ، ليعدهم لمستقبل مجيد ، وقام كذلك بواجب المؤرخ يدون الحوادث ويردها الى اصول عامة ليستخلص منها الحقائق . عرف أن التاريخ فى عصرنا لم يبق مقتصراً على إيراد الوقائع ، بل هو يجمع الى سرد الحوادث نقدها ، والى وصف العادات

تقدير الافكار والمبادىء، والى رواية اعمال الرجال درس اخلاقهم، مبينا تأثير الرجل فى زمانه وتأثير الزمان فى الرجل . وهذه هى فلسفة التاريخ

* * *

ولم يكن نصيب لغة العرب من اهتمامه أقل من نصيب تاريخهم . فقد اتحفنا فى هذا الباب بكتاب « الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » و « تاريخ اللغة العربية » و « تاريخ آداب اللغة العربية » . وهذا الكتاب الاخير اخصه بالذكر، فاذا كان مسيس الحاجة يزيد فى قيمة مؤلفات الاستاذ زيدان، فان هذا الكتاب ذو فائدة جلى بنسبة حاجتنا القصوى اليه وبالنظر الى ماوسع من الفوائد الثمينة . اذ انه لم يكن لدينا كتاب جامع يرجع اليه فى تاريخ الأدب العربى منذ نشأته حتى يومنا ، بل كان جميع ما يتعلق بذلك مبعثرا فى مئات الكتب بين مطبوعة وخطية ، وهذه الكتب موزعة فى مكاتب الشرق والغرب

* * *

كتب زيدان فى شؤون الاجتماع والعمران، فلم يقتصر على العموميـــات ، بل درس الأصول والفروع وأضاف الى الحقائق الراهنة المشاهدات والملاحظات التى أرشده اليها البحث والاستقراء فاهدى تباعاً الى العالم العربى « تاريخ التمدن الاسلامى » فى خمسة أجزاء ، وكتاب « طبقات الامم » و « عجائب الخلق » و « علم الفراسة » وكل هذه المصنفات تنطق بسعة الاطلاع ووفرة المعارف . ولو لم يكن له إلا « تاريخ آداب اللغة العربية » و « تاريخ التمدن الاسلامى » لكفاه بهما مرقاة يصعد عليها إلى أول طبقة بين الباحثين فى الشرق

* * *

رأى أن التاريخ يصعب تعميم فوائده اذا اقتصر نشره على كتب التاريخ . فعمد الى صوغ حقائقه فى قالب روائى فكان فارس الميدان الذى لايلحق غباره فى تأليف الروايات التاريخية . وقد كتب منها اثنتين وعشرين رواية نالت شهرة واسعة ، لما وجد فيها القراء من الفائدة والفكاهة ، وكان فى نيته أن يزيد حلقات جديدة على هذه السلسلة الجميلة ، لولا أن غاله غائل المنية

* * *

أقف فى تعداد مؤلفات الفقيد عند ذكر «الهلال» فان اسم زيدان فى تاريخ الأدب لن يزال مقروناً باسم الهلال . وقد كانت هذه المجلة مبدأ حياته الكتابية ، ومجلداتها الاثنان والعشرون تؤلف اكليلا منيرا ساطعاً يضفر على جبهة صاحبها ويجعل له مقاماً ممتازاً بين المنشئين . راجعت منذ أيام العدد الاول الصادر فى شهر سبتمبر سنة ١٨٩٢ ، وقرأت فيه بيان خطة هذه المجلة ، ثم دارجتها فى سيرها فلم أجدها حادت عن الخطة التى رسمها لها منشئها بيد ثابتة منذ صدورها إلا للتدرج من الحسن الى الأحسن . وهكذا ظلت تهل مع هلال كل شهر مدة تناهز ربع قرن ، وهى حافلة بالمباحث المستوفاة فى كل فن وخبر . . .

مقال للاستاذ سامي الجريديني

للتاريخ ما كتب زيدان في التاريخ والأدب فهو أنصف الحاكمين . ولنا نحن معشر قراء الأدب ان نحكم حكماً مقصوراً على ما رأينا وقرأنا من مؤلفات زيدان . فأقول ولا اخشى في الحق لومة لائم انه كان نبراس المؤلفين في اخراجه للناس ما يفيد وينفع ، وقدوة الكتاب في الدرس والتنقيب والبحث

على أني لا أقصد ان انتقد الآن مؤلفاته فأوفيه حقه ، فهذا بحث يستغرق ما ليس عندي من الوقت ، وقد سبق لي ان ذكرت شيئاً عن ذلك في غير هذا المكان ولغير هذه الاحوال

* * *

عرفت جرجي زيدان معرفة صديق فأنا أترك المؤلف والكاتب جانباً واذكره رجلا على حد قول شكسبير ـ من قمة رأسه لاخمص قدمه ـ رجلا فذا في اخلاقه والاخلاق اندر ما عند رجالنا في هذا العصر

ابتدأ زيدان يحرر الهلال منذ عشرين سنة ونيف ، فكان في أول سنة من سني الهلال يقف الى مكتبته وقوفا يحرر فصلا ادبيا او اجتماعيا ويترجم رجلا مشهوراً ويؤلف رواية تاريخية ، ثم يراقب الطبع والتصحيح دائبا على العمل نهاراً وليلا ، ثم توفي وكان قبيل الوفاة ببعض دقائق واقفا وقفته لم يقلل ساعات العمل ولم يتضجر او يتأفف يوما من كثرته . والرجل منا اذا كتب مقالا ملأ الأرض والسماء من الشكوى من العمل ومن التعب واجهاد الفكر ، بل قليل منا من يبدأ عملا ويثابر على اتمامه أو يشرع في أمر وتظل همته تلازمه حتى انتهائه . هذا ما يسمونه داء الشرقيين داء عدم الثبات على الامور . أما زيدان فكان الثبات خلقا من أخلاقه الظاهرة فحق أن يكون فيه قدوة حسنة لكل الرجال العاملين

* * *

حياة ملؤها الجهاد والعمل ولكنها حياة ما أساء فيها الى أحد قط

كان ينتقده الحاسدون ويحمل عليه الجهلة المتعصبون فاذا مارأيته رأيت منه صدراً واسعا ووجهاً باشاً غير متكلف او متصنع ، يسكت عن الاساءة ويمر بها كريما ويأخذ الحسنة فيشكر عليها . وها كتبه وها مجلدات الهلال ، فهل رأى احد فيها كلمة جارحة أو قرأ انتقاداً يشف عن غيظ او حنق . وهي لعمرك فضيلة اذا تحلى بها جيد كاتب علا قدره وزادت الفائدة المقصودة من تأليفه ، لانك قد تنفر من الكاتب الاحمق مهما قال لك من الحقائق ولكنك تلين وتخفض الجناح للكاتب الوديع المسالم . بل اعرف انه تعامل مع بعضهم معاملة بيع وشراء فكانت صفقته خاسرة وكانت خسارته اكثر مما يطيق امثاله عليها صبراً ، ولا أعرف رجلا علم بخسارته او سمعه يشكو من الغبن الذي أصابه

* * *

المثابرة على العمل . العمل بنشاط وسرور . القيام بالواجب . تحمل الواجب بمحيا طلق وصدر رحب . سعة الصدر . الاغضاء عن الاساءة . لين العريكة . تلك اخلاق جرجي زيدان في اعماله العمومية وحياته الخصوصية

وانك لتعرف رجلا من كتاب ألفه أو مقال صنفه ثم تخبر عوده فتراه رجلا آخر يريك الفضيلة

فى كتابه والرذيلة فى سيرته ـ الحق فى تأليفه والبغى فى عمـــله . أما زيدان فكان هو هو سواء عرفته بالغيب أوخبرته اختبار صديق قريب

* * *

بل سل زوجته وأولاده وأقرباءه : هل عبس وتولى اذ جاءه احدهم يشكو مرضا أو اذ سمع خبراً مكدراً ؟

كان يمرض ابنه فتراه يترك اقلامه واوراقه ويأتى يسقيه الدواء ويسهر بجانبه ويبعد أمه عنه حتى لا تنزعج أو تتكدر ، ويلاطفه ويمازحه ثم يرجع الى عمله كأن لا مريض عنده فى البيت ، فكأنه رحمه الله كان يحمل كل الاثقال ولا يدع من يحب أن يشاركه فى تحمل همومها

على مثل هذه الاخلاق عرفت جرجى زيدان وكل من عرفه يشهد له بها

وها زيدان قد ذهب فمتى نرى له نظيراً ؟

تاريخ الهلال في ٤٠ سنة

منذ أربعين سنة طبع المرحوم جرجى زيدان الجزء الاول من الهلال فى مطبعة صغيرة وبصفحات قليلة لاتتجاوز ٣٢ صفحة ، يحتوى على خمسة أبواب فقط . وقبل أن نصف للقراء ما كان عليه الهلال فى ذلك العهد ، ثم ما درج فيه من النمو والتقدم فيما بعد ، يحسن بنا أن نثبت هنا هذه الفاتحة التى افتتح بها مؤسس الهلال الجزء الاول لتتبين الخطة التى سار عليها الهلال ، والغاية التى رمى اليها منذ نشأ . قال :

« لابد للمرء فيما يشرع فيه من فاتحة يستهل بها ، وخطة يسير عليها وغاية يرمى اليها . أما فاتحتنا فحمد الله على ما أسبغ من نعمه وأفاض من كرمه ، والتوسل اليه أن يلهمنا الصواب وفصل الخطاب . أما خطتنا فالاخلاص فى غايتنا ، والصدق فى لهجتنا ، والاجتهاد فى وفاء حق خدمتنا . ولا غنى لنا فى ذلك عن معاضدة اصحاب الاقلام من كتبة هذا العصر فى كل صقع ومصر

« أما الغاية التى نرجو الوصول اليها فاقبال السواد على مطالعة ما نكتبه ، ورضاؤهم بما نحتسبه ، واغضاؤهم عما نرتكبه . فاذا اتيح لنا ذلك كنا قد استوفينا اجورنا فننشط لما هو أقرب إلى الواجب علينا

« أما موضوع مجلتنا فمقسوم الى خمسة أبواب :

« أولا : باب أشهر الحوادث وأعاظم الرجال . فلا يخلو جزء من تاريخ حادثة شهيرة أو رجل عظيم أو أكثر مع مايحتاج الى ايضاحه من الرسوم

« ثانياً : باب المقالات . ويظهر فى كل جزء مقالة أو غير مقالة بقلمنا أو أقلام كتابنا المعاصرين

« ثالثاً : باب الروايات . وسندرج فيه من الروايات على مثال ما كتبناه مما هو تاريخى أدبى ممثل لعادات الشرقيين وحوادثهم ، موافق لاذواقهم ، خال من الحوادث الأجنبية والمسميات الاعجمية . فندرج فى كل جزء من الهلال جزءاً من الرواية مع ما تحتاج اليه من الرسوم

« رابعاً : باب تاريخ الشهر . وهو يشتمل على ماجريات الشهر الغابر فى سائر أنحاء العالم . ولا سيما مصر وسورية ملخصة من أصدق صحف الأخبار . فيجتمع منه فى آخر كل سنة حوادث تلك السنة مرتبة حسب زمن حدوثها يوماً فيوماً

« خامساً : منتخبات من الاخبار والتقريظ والانتقاد وغير ذلك

« وقد دعونا مجلتنا هذه بالهلال لثلاثة أسباب : أولا ــ تبركا بالهلال العثمانى الرفيع الشان شعار دولتنا العلية أيدها الله . ثانياً ــ إشارة لظهور هذه المجلة مرة فى كل شهر . ثالثاً ــ تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج فى مدارج الكمال . فاذا لاقت قبولا واقبالا أصبحت بدراً كاملا باذن الله

« هذا ، واننا نرجو أن تصادف خدمتنا هذه استحسانا وحسن قبول لدى حضرات القراء الكرام ، ونعدهم ببذل الجهد فى اخلاص الخدمة قياماً بموجبات مصلحتنا وابتغاء لمرضاتهم . والله المسئول أن يلهمنا منهجاً قويماً ومسلكا مفيداً . . . »

هذا ما افتتح به مؤسس الهلال أول جزء منه . وترى فيه الخطة التى سار عليها والغاية التى رمى اليها وما اعتزمه من بذل الجهد فى خدمة هذه المجلة والاعتماد على العزيمة الصادقة فى تقدمها ونموها وفقاً لتقدم الوسط ونمو مداركه . وقد أجمل رحمه الله محتويات الهلال فى هذه الفاتحة فذكر أنها خمسة أبواب يحتوى كل باب على مايلذ ويفيد من الموضوعات القريبة من حاجة القراء على اختلاف طبقاتهم . وقد توخى الاسلوب السهل فى كل ما كتبه مع توضيحه بالصور والخرائط العدة . ولعدم وجود حفارين بمصر فى ذلك الوقت كان يرسل لعمل (الاكلشيهات) اللازمة فى أوربا

وكان مؤسس الهلال فى أول نشأته يتولى وحده جميع شئونه التحريرية والادارية ، ويشرف بنفسه على أعمال طبعه . ولما اتسع نطاق المجلة عهد فى إدارتها الى شقيقه واستخدم آخرين للاشغال الاخرى وعكف هو على التحرير والتأليف . وعنى عناية عظيمة بالتاريخ ، وعلى الاخص تاريخ الشرق وتاريخ رجاله العظماء سواء أكانوا ملوكا أم قواداً أم فلاسفة أم رجال علم وأدب

وبدأ الهلال فى أول سبتمبر سنة ١٨٩٢ . وكان يظهر مرة فى الشهر . وكانت سنته اثنى عشر شهراً . لاعشرة أشهر كما هى الآن . فكان يبتدىء فى سبتمبر وينتهى فى أغسطس . واستمر الهلال يصدر على هذا المنوال (مرة فى الشهر) إلى نهاية السنة الاولى . وفى أثناء هذه السنة ظهرت رغبة كثير من القراء فى زيادة حجم الهلال واتساع مادته ، واقترح بعضهم أن يصدر مرتين فى كل شهر ، فوعدهم مؤسسه بذلك ابتداء من اول السنة الثانية

فلما كانت السنة الثانية ظهر الهلال مرتين فى الشهر : الاولى فى أوله ، والثانية فى منتصفه . وأصبح عدد أجزاء الهلال فى السنة أربعة وعشرين ، كل جزء يحتوى على ٣٢ صفحة . وفى غضون هذه السنة زادت أبواب الهلال باباً سادساً وهو « باب السؤال والاقتراح » . فصارت أبوابه ستة فضلا عن زيادة حجمه واصداره مرتين فى الشهر ، مع بقاء الاشتراك على حاله (وهو خمسون قرشاً فى السنة) وفى ذلك مافيه من المشقة والتضحية

وفى السنة الثالثة من حياة الهلال زاد مؤسسه عدد صفحاته ١٦ صفحة ، فصار مجموع الجزأين ثمانين صفحة فى الشهر ، وأضاف الى أبوابه باباً سابعاً دعاه « باب الاخبار العلمية » درج فيه ما كان يحدث فى العلم والصناعة من المبتكرات والاختراعات والاكتشافات . وذلك تحقيقاً لما وعد به القراء من الزيادة والتحسين كلما رأى منهم إقبالا وتشجيعاً

وفى السنة الرابعة زادت أبواب الهلال باباً ثامناً درج فيه قسما من فصول رواية تاريخية غرامية بعنوان « أرمانوسة المصرية » وصار ينشرها تباعاً . ولا بد من ملاحظة أن هذا الباب سبق أن وعد به فى افتتاحية الجزء الاول من السنة الاولى . ولكن لكثرة أعماله التى كان يقوم بها كلها وحده واحتياج هذا التأليف الروائى الى طول البحث والمراجعة اضطر الى الاستعاضة عن هذا الباب فى السنين الثلاث الماضية بباب آخر سماه « باب المراسلات » . ثم لما اشتد إلحاح القراء عليه فى إضافة هذا الباب الى الابواب الاخرى لم يسعه إلا أن يجيبهم إلى رغبتهم . ولكن هذه الاضافة لم تزد فى عدد صفحات المجلة بل أضاف الاخبار العلمية الى تاريخ الشهر وأحلها جانباً من صفحاته

وزاد فى السنة الخامسة باباً جديداً وهو « باب مشاهير العصر » وفيـــه رسوم مشاهير العصر الاحياء فاصبحت الابواب تسعة . وما انتهت هذه السنة حتى كان « الهلال » قد انتشر فى مشارق الارض ومغاربها ، واصبح له كثير من القراء فى سورية والعراق وفارس والهند واليابان وتونس والجزائر ومراكش وغربى أفريقيا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية وجزائر الهند الغربية وجزائر الهند الشرقية واستراليا وزيلاندا وأواسط السودان وجنوبيه وشرقيه وغربيه وفى زنجبار والترنسفال وفى أكثر مدائن اوربا

واستمر « الهلال » فى تقدمه ونموه حتى كان العام الأخير من العقد الاول من حياته ، وهو العام العاشر فدخل فى طور جديد من التقدم والنمو يظهر فيما يأتى :

١ ـ العناية بشئون الصحة . ففتح لها باب خاص سمى « صحة العائلة »

٢ ـ زيادة عدد الرسوم مع اتقان حفرها وطبع بعضها على ورق خاص

٣ ـ العناية بجودة الورق

٤ ـ تقديم هدايا الى المشتركين . وكانت هدية السنة العاشرة « كتاب تاريخ التمدن الاسلامى » تأليف مؤسس الهلال

العقد الثانى

هذا مجمل نمو الهلال وتطوره فى العقد الاول من حياته . وفى العقد الثانى ظهر النمو والتطور بمظهر أكبر واحسن . ففى السنة الحادية عشرة زادت العناية بطبع الهلال واختير له ورق أجود مما كان يطبع عليه فى السنين الماضية ، وزين كثير من الصفحات بعدد من الرسوم الواضحة ، وجعل لكل صفحة اطار جميل يفصل الكلمات عن الهامش ، وبقى الهلال يصدر مرتين فى الشهر. ولكن نظراً لهذه التحسينات رؤى أن تعود صفحات كل جزء الى ٣٢ صفحة ، وزيدت قيمة الاشتراك عشرة قروش

غير أن مؤسس الهلال أراد أن يعوض قراء الهلال من نقص الصفحات وزيادة الاشتراك بشىء يفيدهم فضلا عن التحسينات المطبعية ، فانشأ باباً جديداً من أول تلك السنة عرض فيه بالتوالى أعجب وأغرب مافى الطبيعة من المخلوقات ، وهو باب « عجائب المخلوقات »

ولم تبدأ السنة الثانية عشرة حتى اعد مجموعة من الحروف الاسلامبولية الجميلة ، وهى اجمل انواع الحروف فى ذلك الوقت ، وتمتاز بصغرها عن الحروف التى كان الهلال يطبع بها ، وبذلك أمكن أن يستوعب الهلال كثيراً من المواد والموضوعات

وفى هذه السنة نفسها رأى مؤسس الهلال أن يصدره عشرة اشـــهر فى السنة مع بقائه مرتين فى الشهر ، وان يعوض المشتركين عن الشهرين الباقيين بكتاب يهدى اليهم بحجم أجزاء الشهرين

وفى السنة الثالثة عشرة شكا قراء الهلال من قلة الصفحات مع كثرة الموضوعات التى تستلزم زيادة عدد صفحاته ، واستحسن أغلبهم ضم الجزأين إلى بعضهما وصدورهما جزءاً واحداً فى آخر كل شهر . فلم يسع مؤسس الهلال إلا إجابة رغبة الاكثرية ، وعاد الهلال يصدر مرة فى الشهر على أن تكون صفحاته ثمانين صفحة ، وسنته عشرة أشهر وأن يعوض القراء من جزأى الشهرين بكتاب

وفى خلال السنين الماضية كانت المقالات الخارجية التى تأتى اليه من بعض العلماء والأدباء للنشر فى الهلال نادرة . ولكن فى العقد الثانى من حياة الهلال ظهر على صفحاته أسماء لبعض العلماء والادباء الشرقيين كالمرحوم « المقدسى » صاحب كتاب « علم الأدب عند الافرنج والعرب » وطالما أتحف هذا العالم قراء الهلال بمقالات تاريخية وفلسفية وعمرانية جيدة ، وكذلك الدكتور نقولا فياض ، وأخوه المرحوم الياس فياض ، وحافظ بك ابراهيم والدكتور شبلى شميل

وأخذ الهلال فى هذه المرحلة ينشر بقلم مؤسسه مقالات اجتماعية واقتصادية فضلا عن المقالات التاريخية مثل « النهضة المالية المصرية » و « الأحصاء المصرى » و « اللغة العربية والمدارس » و « تاريخ التعليم فى مصر » ونحو ذلك مما يحتاج إلى درس وتنقيب

وقد زاد الاقبال على مجلة الهلال فزاد مؤسسها فى العناية بها ، وأنشأ ابتداء من السنة ١٦ بابين أحدهما لنشر غرائب العادات والاخلاق ، وثانيهما لنشر أحوال الدول المعاصرة من الوجهة المالية والعسكرية والنظامية ومن وجهة الملك والسلطان مع الرسوم والايضاحات اللازمة

وما جاءت السنة التاسعة عشرة من حياة الهلال حتى كان الاستاذ اميل زيدان نجل مؤسسه الأكبر قد قطع مرحلة كبيرة من الثقافة والتعليم ، فأخذ يدبج المقالات العلمية وينشرها فى الهلال لمعاونة والده . وعلى هذا المنوال انتهى العقد الثانى من حياة الهلال

العقد الثالث

انتهى العقد الثانى وبدأت السنة الاولى من العقد الثالث ، وهى السنة الحادية والعشرون للهلال . وكانت قد نشأت طبقة جديدة من المتعلمين تفقهوا بالعلوم الحديثة وتأدبوا بالادب الجديد ، وظهر فيهم ميل الى البحوث الفلسفية فى التاريخ والاجتماع والاقتصاد وغيرها . ومع ماكان ينشره الهلال من هذه الموضوعات فقد بدت الحاجة الى التوسع فيها وإدخال بعض الأبواب الأخرى . لذلك كثرت الابواب ووصلت فى (السنة ٢٢) التى صدرت فى (١٩١٣ — ١٩١٤) الى ١٢ باباً عرضت فيها موضوعات قيمة وآراء سديدة فى العلم والفلسفة والادب لبعض المشهورين ، ونشرت مناظرات بين بعض العلماء والادباء ، وزادت صفحات الهلال هذه السنة ١٦ صفحة

وفى ٢٢ يوليه من تلك السنة فاجأت المنية المرحوم جرجى زيدان بعد أن أعد وكتب آخر حرف من الهلال الذى صدر فى الشهر التالى . فطويت آخر صفحة من عهد الهلال فى حياة مؤسسه ، وبدأ عهد نجليه الاستاذين اميل وشكرى زيدان . والاستاذ اميل هو النجل الاكبر لمؤسس الهلال . ولذلك تسلم شئون تحرير الهلال على أثر وفاة والده وأخذ يحافظ على تلك الأمانة (الهلال) التى سلمه اياها والده وأوصاه قائلا : « حافظ على الهلال ، فهو الأثر الذى وقفت له حياتى ونشاطى » . وسار على الخطة التى رسمها له وهى تتلخص فى قوله : « كلما زادنا القراء اقبالا ، زدناهم اتقاناً وتحسيناً » . وقد بدأ هذا التحسين فعلا من العدد الاول الذى صدر فى أول هذا العهد ، إذ كان يزيد على سابقه ثمانى صفحات . واستمر على ذلك فى الاشهر التالية . هذا فضلا عن تحسين الورق واتقان الطبع وتجديد الحروف . ولما نشبت

الحرب الكبرى وتعقدت الامور وأغلقت أبواب التجارة الاجنبية اضطر الاستاذ اميل زيدان الى اصدار الهلال فى ورق أقل جودة ، ولكنه أكثر نفقة

واذا كانت مادة الورق قد ضعفت فى خلال الحرب الكبرى فان مادة الموضوعات قد غزرت وتنوعت اكثر من قبل . على أن مسألة الورق مالبثت أن انتهت بانتهاء الحرب الكبرى ، وعاد الهلال يصدر على ورق جيد محتوياً على الموضوعات الشائقة والبحوث الممتعة ، ومزيناً بكثير من الصور والرسوم

العقد الرابع

فى هذا العقد دخل الهلال فى طور يمتاز عن سابقه بكثرة التعديل والتحسين تمشياً مع التطور الحديث وتيار الرقى والتقدم الراهن وقد الغيت منه بعض الابواب ، واستعيض عنها بأبواب جديدة وموضوعات أجل فائدة ، وأكثر ملاءمة للتطور المادى والادبى والعلمى فى السنين الاخيرة

أما الابواب الاخرى فقد نالها كثير من التعديل والتحسين ، فغيرت عناوينها ، واختير لها عناوين أخرى واصطبغت بصبغة جديدة فى الاسلوب والاختيار والترتيب . ومن ذلك « باب السؤال والاقتراح » فتغير عنوانه باسم « بين الهلال وقرائه » و « باب التقريظ والانتقاد » اصبح عنوانه « عالم الادب » و « الاخبار العلمية » صار باسم « سير العلوم والفنون » وفيه من الصور ما لم ينشر من قبل ، و « أخبار اجتماعية » باسم « من هنا وهناك » و « صحة العائلة » باسم « شئون الدار » أما « باب عجائب المخلوقات » فقد استعيض عنه بعرض صور مختلفة لهذه المخلوقات العجيبة مع التعليق عليها

وقد الغى « باب تاريخ الشهر » ثم اعيد اخيراً بمظهر جديد وذلك باسم « معرض الشهر » ويشتمل على صور أهم الشخصيات والحوادث التى شغلت الاذهان فى الشهر المنصرم . هذا فضلا عن التجديد فى الورق والتحسين فى الطبع والتصوير . ومنذ جلبت دار الهلال مكنات الطبع بالروتوغرافور صارت صفحات هذه المجلة تزين بصور جميلة تضاهى الصور الفوتوغرافية فى وضوحها وحسن طبعها

وقد اتجه الهلال وجهة جديدة باتجاه الافكار الآن نحو الغرب وعلومه وآدابه . ولكنه مازال صورة واضحة لتطور الشرق وتقدمه . وقد حاز من تقدير العلماء والادباء ماجعله مجالا لبحوثهم القيمة وآرائهم الناضجة ، واخذ نخبة منهم ينشرون فيه مقالاتهم الشائقة ، وقصائدهم الرائعة ، ونذكر منهم : الاستاذ خليل مطران . واحمد بك شوقى . والمرحوم حافظ بك ابراهيم . والمرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى . والمرحوم جبران خليل جبران . والدكتور منصور فهمى . والاستاذ عباس العقاد . والدكتور طه حسين . والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى . والاستاذ مصطفى عبد الرازق . والاستاذ على عبد الرازق . والآنسة مى . والدكتور حسين هيكل . والاستاذ انطون بك الجميل . والمرحوم احمد باشا تيمور . والدكتور محمود عزمى . وجميل صدقى الزهاوى الخ . . .

فأصبح الهلال بذلك سوقاً رائجة للعلم والادب والاجتماع . وميداناً تتبارى فيه أفكار العلماء . وقرائح الادباء . ومرآة صادقة للتطور الحديث فى مدى اربعين عاماً

« ط . . . »

بعض ما قيل في « الهلال »

امين سامي باشا

من الذى لايعترف بفضل الجهود التى يبذلها القائمون بأمر مجلة « الهلال » الممتازة بمباحثها العلمية العالية والأدبية الرائقة التى هى من خير ما يقتدى به

أمير الشعراء احمد شوقي بك

أعجب ما أعجب له أن أرى « هلالا » ملأ الشرق سناء ، وفاض نوره على الغرب فزاحم بأشعته كل كوكب من كواكب العلوم والآداب ، ثم ما زال يكبر حتى فاق البدور ونافس الشمس فى توابعها المنيرة التى كلما اكتشف العلم منها تابعاً زاد من توابع « الهلال » مثله

احمد زكي باشا

هلال السماء ينتقل من نقص الى زيادة ، ومن زيادة إلى نقصان ، وهكذا دواليك . وأما هلال « زيدان » فدائماً فى ازدياد

المرحوم حافظ ابراهيم

الهلال مجلة سائرة فى طريق الرقى المستمر وتقدم الآداب المصرية والاجتماعية

الدكتور طه حسين

كانت مجلة الهلال مثال الجد فى العمل والاخلاص للعلم ، ثم أصبحت ـ الى ذلك ـ مثال الفطنه لأذواق القراء والنشاط لارضائهم ، وهى على كل حال أخف المجلات العربية ظلا

الآنسة مي

الهلال صورة واضحة للتطور الحديث

الاستاذ عباس محمود العقاد

الهلال ييسر المعارف ولا يبتذلها

الدكتور منصور فهمى

أنا من المعجبين بمجلة الهلال ودأب المرحوم مؤسسها وثقافته الواسعة ، واعجابى متواصل لاجتهاد ابنيه النجيبين فى ترقية هذه المجلة المثمرة المهذبة لعدد كبير من قراء العربية ، واتمنى لها دائماً الرقى والتوفيق

الاستاذ محمد فريد وجدى

مجلة الهلال من أجمع المجلات لثمرات العقول الناضجة ، وهى مرآة تتجلى فيهـــا صور المعارف الصحيحة والحوادث العالمية ، فهى من انفع العوامل لامداد النهضة الفكرية الراهنة بما تحتاج اليه من مواد جديدة وعناصر نافعة

الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

الهلال مجلة يستطيع من يدرسها أن يدرس عناصر النجاح فى الحياة

الاستاذ عبد القادر حمزة

كل مايقوله الانسان عن مجلة الهلال من مدح وثناء فهى تستحقه بل تستحق اكثر منه

الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

كان الهلال مجلة الشيوخ فصار مجلة الشيوخ والشبان

الاستاذ على عبد الرازق

رأيى إجمالا فى مجلة الهلال انها كانت فى طورها القديم ـ أيام كان يتولى تحريرها مؤسسها العلامة جرجى زيدان ـ مثلا صالحاً لأرقى المجلات العربية فى ذلك الوقت . وقد استطاعت ان تؤدى للغة العربية ، وللعالم العربى ، أحسن ما كانت تستطيع أن تؤديه يومئذ مجلة من المجلات . أما المجلة فى طورها الحديث فانى أراها مثلا حميداً من أمثلة المجلات الراقية فى العالم

الدكتور احمد فريد رفاعى

اتخذت الهلال صديقى فى البحبوحة واليسار ، ومسعفى فى الاضاقة والعشار ، كما اتخذته زميلى فى الغربة والاسفار ، ومؤنسى فى وحدتى بالليل والنهار . . . واذا كان الأدباء والمفكرون اعتزموا منذ حين تكريم صاحبى الهلال على ماوفقا اليه من خدمة الصحافة والطباعة ، فان من النصفة العلمية ان يقال إن مجلاتهما بما فيها من ثمرات وطلاوة ، وبلاغات وحلاوة ، لهى من متخرجى « جامعة الهلال » وان من الحق الذى ليس الى جحوده من سبيل أن ثقـــافة أصحاب الهلال والكثيرين من قرائه ومترقبى فجر انبثاقه عيال عليه ولمحة وضاءة من سنا نوره الوضاح

دار الهلال ومجلاتها الآن

فى سنة ١٩٢٤ شيدت دار الهلال الحالية وجهزت بأحدث وسائل التصوير والحفر والطباعة . ومنذ ذلك التاريخ أخذت تمد العالم العربى بمجلات ومطبوعات على الطراز الحديث تتمشى مع نهضة مصر والشعوب الشقيقة

وتصدر عنها الآن ـ عدا الكتب والمطبوعات التى تطبعها من حين لآخر ـ سبع مجلات اسبوعية إلى جانب « الهلال » الشهرى ، منها اثنتان باللغة الفرنسية :

١ ـ المصور

سجل مصور لحوادث الاسبوع وتقدم العالم

هى المجلة المصورة الكبرى التى كان صدورها بدء عهد جديد فى الصحافة العربية . لها مكانة خاصة عند الطبقة الراقية المستنيرة من رجال وسيدات ، وهم يعتمدون عليها فى تتبع الحوادث والتطورات الداخلية والخارجية لما يجدون فيها من صور ورسوم وبيانات فى منتهى الدقة والاتقان

٢ ـ كل شىء

مجلة اسبوعية جامعة فيها شىء من كل شىء

هى مجلة العائلة والشباب الناهض . تدخل المنزل فى كل اسبوع فتتداولها الايدى ، يجد فيها كل فرد ما يهمه من أحاديث ممتعة ومعلومات جذابة فى العلوم والادب والفنون باسلوب سهل ، ولها عناية خاصة بشؤون الجنس اللطيف

٣ ـ الفكاهة

مجلة أسبوعية فكاهية روائية : جد فى هزل وهزل فى جد

هى المجلة الفريدة فى نوعها بين المجلات العربية بل هى مجلتان مجتمعتان إحداهما تتناول ضروب الفكاهة والدعابة والاخرى تحوى مجموعة من القصص الطريفة موضوعة أو مترجمة ، وكلتاهما مزينة بالصور والرسوم المتقنة

٤ ـ الدنيا المصورة

مجلة البدائع والطرائف

هى المجلة التى يطالعها الجميع لما فيها من روعة وجاذبية ومبتكرات شائقة ، كل ما فيها يلفت النظر ويستوقف الفكر ، من حوادث رائعة وعادات غريبة ورحلات متنوعة الخ . . .

٥ ـ الكواكب

مجلة التمثيل الصامت والناطق

مجلة مسرحية سينمائية تدور موضوعاتها حول هذين الفنين الجميلين . تمتاز باتقان طبعها وجمال تنسيقها . وقد لقيت على حداثة عهدها اقبالا عظيما من الجمهور

٦ ـ " Images " الصور

مجلة اسبوعية تصدر باللغة الفرنسية

هذه مجلة فرنسية سدت فراغا فى عالم الصحافة الاسبوعية فى مصر وهى تعنى بتنوير اذهان الغربيين عن حقيقة ما يجرى فى مصر والعالم العربى وتصوير فكرة صحيحة للغرب عن تقدم الشرق ورقيه . موضوعاتها كلها مبتكرة جذابة . وهى لا تقل فى مظهرها واتقان طبعها عن ارقى المجلات الاوربية والامريكية

٧ ـ Ciné Images

مجلة سينمائية باللغة الفرنسية . كل شىء فيها جذاب : مظهرها وموضوعاتها وصورها . مستقلة فى آرائها لا تجامل أحداً ولا تحابى

القسم الثاني

---

١ ـ تطور العالم في ٤٠ سنة

٢ ـ نظرات الى المستقبل

تطور العالم في أربعين سنة

من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٣٢

مر على العالم أربعون سنة منــــذ ظهر الجزء الأول من الهلال الى الوجود ، وشهدت شعوب الأرض وحكوماتها فى خلال ذلك انقلابات عظيمة ، ليس فى عالم السياسة فقط بل فى عالم العلم والاقتصاد والاجتماع أيضاً . ولا يستطيع الكاتب مهما أوتى من قوة البلاغة أن يبين ما كان لتطور العالم فى تلك الفترة من الشأن الخطير . ولو علم الناس فى سنة ١٨٩٢ أنهم سيشهدون حرباً يدعى فيها ستون مليوناً من الرجال لحمل السلاح ، أو لو قيل لهم يومئذ إنهم سيستطيعون اجتياز الاتلانتيك على متن الرياح وسيتخاطبون عن بعد الآلاف من الأميال و يتراسلون صور الاشخاص والحوادث على أجنحة الاثير - لو قيل لهم ذلك يومئذ لسخروا من القائل ولحسبوه فريسة الوهم والخيال

فى تلك السنة لم يكن العالم قد بدأ يفكر فى شؤون السياسة عن طريق الاقتصاديات ، ولا أن يدرس أسباب رخاء العالم على ضوء مشاكل الإنتاج . بل لم يكن ليخطر ببال أحد وجه من وجوه التطور الذى شمل جميع مناحى الحياة

لقد كانت فترة الاربعين سنة الماضية حافلة بجلائل الحوادث التى قلبت الاجتماع رأساً على عقب . وسنحاول الآن أن نلقى نظرة موجزة على أهم وجوه التطور الذى نحن بصدده

اولا - في عالم السياسة

ففى ميدان السياسة شهد العالم فى خلال الاربعين سنة الماضية تطوراً عظيماً . وأهم وجوه ذلك التطور نمو الشعور القومى وفكرة الامبريالزم والنظم التشريعية والاساليب الديمقراطية

نمو الشعور القومى

كان الشعور القومى فى سنة ١٨٩٢ - ليس فى مصر فقط بل فى جميع أنحاء العالم - ضعيفاً لانه كان فى أول أطوار نشوئه . ثم أخذ ذلك الشعور يقوى ويظهر فى صور شتى تلائم كل صورة منها البيئة التى هى فيها ونفسية الشعب الذى نبتت فى وسطه . وكانت مصر ما تزال تعتبر يومئذ عثمانية ، والسلطنة التركية تضم جانباً غير يسير من البلقان ، ودول اوربا تنظر الى الشرق نظرة ريبة وترقب استيقاظ الشعوب الشرقية بكثير من القلق والاضطراب

وكانت كل دولة من الدول تشعر يومئذ باقترابها من عصر ستعانى فيه من المشاكل القومية ما لا قبل لها بحله . وقد أيد تطور الحوادث فيما بعد صحة ما كانت تشعر به . ففقدت تركيا جانباً من أملاكها .

وأفضت حروب الاربعين سنة الماضية ـ ولا سيما الحرب العظمى ـ الى تغيير خارطة العالم كله ، اذ ثلت عروش وزالت ممالك وأنشىء على انقاضها دول ودويلات جديدة ، وأضاع الكثيرون من الملوك تيجانهم حتى خيل الى الكثيرين فى زمن من الازمان أن دول الارض كلها مقبلة على نظام جمهورى عام ، ثم اتضح أن هذا الوهم ليس له موضع من الحقيقة

على أن العالم شهد بعد الحرب العظمى الماضية تطوراً مدهشاً فى روح الشعور القومى ، وكان للنظريات الجديدة التى اعلنها الرئيس ويلسون فى مؤتمر فرســــاى أعظم الاثر فى تنبيه الشعور . وفى الواقع أن رجال السياسة فى جميع أنحاء العالم أدركوا منذ ذلك الحين أن الاساليب السياسية العتيقة لا تصلح لهذا العصر لانها غير ملائمة لروح الاجتماع . وكان من جراء ذلك حصول ثورة فكرية فى جميع بلاد العالم ولا سيما فى الشرق الذى أخذ يستيقظ من رقاده . فظهر سعد زغلول فى مصر . وسن يات سن فى الصين . ومصطفى كمال فى تركيا . وغاندى فى الهند . وغير هؤلاء فى أنحاء أخرى

فالروح القومية هى التى منحت غاندى سلطة واسعة فى شؤون الهند . والروح القومية هى التى دفعت هايتى والفليبين والصين وفلسطين والعراق وسوريا وارلندا وغيرها للمطالبة بتغيير نظام الحكم واستبداله بما هو اكثر انطباقا على مقتضيات الكرامة القومية . وفى حالات كثيرة ادى هذا الاستيقاظ الى وقوع ثورات وحوادث دموية بل الى حروب اهلية ودولية

تأمل الثورة العربية ونهوض بلاد العرب وسوريا وفلسطين لكسر نير الاتراك الذى ظلت تلك الاقطار ترزح تحته بضعة قرون . ألم يكن الشعور القومى هو الذى دفعها الى الثورة وحرضها على حمل السلاح فى وجه الاتراك ؟ أو لم يقع مثل ذلك فى روسيا والصين وفى امريكا الجنوبية نفسها حيث تصادمت جمهوريات شيلى و بيرو من أجل منطقة قاحلة تدعى « تاكنا آريكا » . بل ألم تكن فتنة قبرس دليلا على استيقاظ الروح القومية فى اصغر بلاد العالم وأقلها شأناً ؟

ولا ريب فى أن هذه الروح التى أخذت تستيقظ لن تعود الى النوم فى المستقبل ، ولن تستطيع اية قوة مادية اخمادها . وقد قال ميرابو خطيب الثورة الفرنسية : « انك تستطيع أن تخمد ثورة السيف بالسيف . وأما ثورة الفكر فبماذا تخمدها ؟ »

نمو فكرة الامبريالزم

والغريب انه فى الوقت الذى استيقظت فيه روح القومية كانت روح الامبريالزم أيضاً تقوى وتشتد فى بعض الانحاء . بل اغرب من ذلك ان اشتدادها كان نتيجة استيقاظ الروح القومية ومظهراً من مظاهر إنكار تلك الروح فى آن واحد . وقد يبدو هذا القول غريبا وغير مفهوم فى أول الامر ، ولكنه حقيقة لا شك فيها كما سترى

فى منتصف القرن التاسع عشر لم تكن روح الامبريالزم قد بلغت اوجها . فلم يكن لدول اوربا ـ اذا استثنينا بعضها ـ أية سلطة فى آسيا . وكانت افريقيا ـ ما عدا مصر ـ قارة مجهولة لا يكاد يكون للاستعمار فيها الا اثر قليل . ولكن لم يشرف ذلك القرن على العقد الاخير منــــه حتى كانت روح

الامبريالزم قد بلغت اوجها ، فاندفعت روسيا جنوباً وشرقاً نحو آسيا ، واتخذت لها فى منشوريا وبلاد المغول وايران مناطق نفوذ ، وضمت المانيا الى بلادها مليون ميل مربع من افريقيا والهند الشرقية ، ورسخت فرنسا قدمها فى تونكين والجزائر وأضافت الى املاكها نحو مليونى ميل وسبعمائة الف ميل مربع من افريقيا وآسيا ، وازدادت الامبراطورية البريطانية فى خلال تلك المدة اربعة ملايين ميل مربع ، وأخذت نشوة الاستعمار دولة اليابان ايضا فاستولت على فرموزا ومنشوريا وكوريا . واقتدت الولايات المتحدة أيضاً بدول الاستعمار فانتزعت من المكسيك المقاطعات التى تشمل اليوم أربعاً من الولايات الغربية الكبرى . وفى سنة ١٨٩٨ استولت على جزائر هاواى وأرغمت اسبانيا على الانسحاب من بورتوريكو والفيلبين

ولا شك فى ان رغبة التوسع فى الملك هى التى تسببت فى جميع تلك الحوادث ، بل ان هذه الرغبة هى التى دفعت الكثيرين الى القيام برحلات عظيمة بحجة الاستطلاع والاستكشاف

ولا شك فى ان جميع الحروب التى نشبت فى خلال الاربعة العقود الاخيرة كانت نتيجة السياسة الامبريالستية ، كحرب الصين واليابان سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ والحرب الاميركية الاسبانيـة سنة ١٨٩٨ وحرب الترنسفال سنة ١٨٩٩ والحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ وحروب البلقان التى تقدمت الحرب العظمى الماضية ، بل هذه الحرب الاخيرة التى ما تزال جروحها دامية الى الآن

تنظيم العالم

ومع ان العالم شهد فى خلال الاربعين سنة الماضية حروباً متواليـة فقد شهد أيضاً جهوداً كثيرة وجهت الى غاية سامية هى إيجاد تشريع دولى أو وضع مجموعة من القوانين الدولية تكون أساساً لسلام دائم

وفى الواقع ان هذه الروح الجديدة بدأت بالظهور قبل سنة ١٨٩٢ فى شكل اتفاقات ومعاهدات دوليــــة كانت ترمى الى الدفاع عن حقوق الدول (كحقوق الدول المحايدة فى زمن الحرب وحقوق جمعيات الصليب الاحمر والمستشفيات فى ميادين القتال) ولكن هذه الروح لم تتخذ شكلا محسوساً إلا عند التئام أول مؤتمر للسلام الدولى فى مدينة الهاى . وكان ذلك سنة ١٨٩٩ بدعوة من نيقولا الثانى قيصر روسيا السابق . وفى سنة ١٩٠٧ عقد هذا المؤتمر مرة أخرى فى مدينـة الهاى بدعوة من المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الوقت ، ومما يدل على ما كان لهذا المؤتمر من الشأن أن اربعاً وأربعين دولة كانت ممثلة فيه

وعقدت بعد ذلك مؤتمرات أخرى من هذا القبيل . ومع ان معظمها أصدر قرارات بقيت حبراً على ورق ، إلا أن تلك القرارات كان لها تأثير يذكر فى تنقيح القانون الدولى العام . وكان من تأثيرها ان عدة دول من الدول الكبرى عقدت معاهدات واتفاقات تجارية وجمركية كانت من أعظم العوامل المؤيدة للسلام

وكان ذلك كله بمنزلة تجارب تمهيدية للتعاون الدولى ، سواء أكان من الوجه الاقتصادى أم من

الوجه السياسي . وعلى أساس هذه التجارب أنشئت عصبة الأمم بعد الحرب العظمى الماضية . وهذه العصبة تضم اليوم أربعاً وخمسين دولة غربية وشرقية . وهي تبذل الجهود العظيمة في سبيل حل المشاكل التي عجزت عنها المؤتمرات السابقة ولا سيما مؤتمرى الهاى اللذين سبقت الاشارة اليهما واللذين عجزا في الواقع عن الوصول الى اتفاق بين الدول بشأن التسليح

والى جانب عصبة الامم أنشئت محكمة العدل الدولية لفض المنازعات التي تقوم بين الدول ، والى جانب ذلك كله أنشيء أخيراً بنك التسويات الدولى في مدينة بال . وقد كان الغرض الاول من إنشائه التصرف بأموال التعويضات المطلوبة من المانيا لحساب بعض الدول وتوزيعها على المستحقين وفتح اعتمادات دولية في أحوال معينة

انتعاش الديمقراطية

ولعل أعظم التطورات السياسية التي وقعت في خلال الاربعين سنة الماضية هو تطور الروح الديمقراطية . ومن الطبيعي ان هذه الروح كانت منذ أول نشأتها مناقضة لروح الامبريالزم ، لأن هذه الروح كانت تأبى منح أى شيء من الحقوق والحرية للشعوب المستعبدة . ومع ذلك كانت هذه الشعوب مصممة على الجهاد في سبيل نيل حقوقها وحريتها مهما اقتضى ذلك من جهود وتضحيات

وفى الواقع ان هذه الروح بدأت في الظهور منذ منتصف القرن الفائت ولكنها لم تشتد وتقو إلا في أواخر ذلك القرن . وقد أدى ذلك الى ثورات وانقلابات خطيرة أفضت في حالات كثيرة الى انهيار بعض العروش وضياع بعض التيجان ـ وما زوال الملكية في البرتوغال والمانيا وروسيا والنمسا والبرازيل وتركيا والصين واسبانيا سوى مظهر من مظاهر التطرف في حب الديمقراطية والتحيز لها

ولم تسلم الدول التي بقيت فيها الملكية من تطورات ذات شأن . ففى انجلترا نفسها ، وهى أم البلدان الديمقراطية ، أصبح مجلس النواب ـ منذ سنة ١٩١١ ـ صاحب السلطة المطلقة في شؤون الدولة المالية . بل وقعت مثل هذه التطورات في الدول الجمهورية أيضاً مما يدل على شدة تغلغل الروح الديمقراطية في نفسية الأمم . وفى الولايات المتحدة سنت عدة قوانين ترمى الى تقوية سلطة الامة ممثلة في الجمهور الناخب ، مع ان تلك القوانين خيبت الآمال في كثير من الاحوال . ومع ذلك فان إيمان الشعوب بالمبادىء الديمقراطية لا يزال يقوى ويشتد . وهذا ما أرغم بعض الممالك في خلال الاربعين سنة الماضية على منح شعوبها برلمانات ومجالس نيابية مختلفة تحقيقاً للميول الديمقراطية ، كما حصل في روسيا في عهد القيصرية وفى اليابان وفى تركيا (في عهد السلطنة) وغيرها من البلاد

وما يزال الايمان بالديمقراطية قوياً الى هذا اليوم . إلا أنه قد أصيب في الأزمنة الاخيرة بصدمات شديدة بظهور الشيوعية في روسيا والفاشستية في إيطاليا والديكتاتورية في بعض البلدان الاخرى . وجميع هذه النظم تدل في ظاهرها على إفلاس الديمقراطية وعلى ان أساليبها قد فشلت ولم تحقق آمال القائلين بها . وفى الواقع ان الكثيرين يعتقدون ان الفرق بين النظم النيابية (الديمقراطية) والنظم المطلقة هى ان الاولى تمنح السلطة الاستبدادية للجماعات والثانية تمنحها للافراد

ثانياً ـ في عالم الاقتصاد

لا جدال فى ان معظم التطور الذى نشأ فى عالم الاقتصاد كان نتيجة اختراع الآلات والاستعاضة بها عن الايدى العاملة . ومع ان منشأ هذا التطور يرجع الى منتصف القرن الفائت إلا أنه لم يظهر بجلاء إلا فى أواخر القرن الماضى . ومنذ ذلك الحين توالت الاكتشافات والاختراعات وكان لجميعها تأثير مباشر أو غير مباشر فى تعجيل التطور الاقتصادى . وكان آخر دور من أدوار ذلك التطور ما نراه الآن من غرائب الكيمياء واللاسلكية والطيران وغير ذلك مما أدى الى ترقية الآلات الخاصة بانتاج الثروة وتعميمها والتى قد عادت على الاجتماع بأفضل الخيرات وزادت فى الرخاء

وغنى عن البيان ان لهذا التطور الاقتصادى علاقة وثيقة بالشؤون السياسية . فارتقاء فن الطباعة مثلا (وهو نتيجة ارتقاء المطابع) آل الى نشر الدعوة للوطنية ، بل كثيراً ما آل الى نتائج خطيرة جداً . وكذلك قل فى ارتقاء التلغراف والتلفون وغيره من الاختراعات . وكان من نتائج ارتقاء الآلات اشتداد التنابذ والاحتكاك بين الدول والتماسها موارد المواد الخام وبحثها عن الاسواق الجديدة

ومن الجهة الاخرى كان لارتقاء المواصلات البرية والبحرية والجوية اكبر تأثير فى إزالة الحواجز التى تفصل بين بعض الدول وفى إخراج بعضها من عزلتها . وأوضح مثل على ذلك بدء انهماك الولايات المتحدة فى الشؤون العالمية ـ وقد كانت حتى الآن تأبى أن تزج بنفسها فى ميادين السياسة الدولية ـ ولعل الحرب العظمى الماضية التى اضطرتها الى خوض غمارها هى مبدأ طورها الجديد ـ أى طور خروجها من عزلتها ، وكان هذا الخروج بسبب الاعتداء الذى وقع عليها فى تلك الحرب

تنظيم رءوس الاموال

ومما لا ريب فيه ان من أعظم التطورات الاقتصادية التى وقعت فى العالم منذ العقد الاخير من القرن الفائت ، أى منذ نحو أربعين سنة ، تنظيم رءوس الاموال العالمية على وجه جديد وعلى نطاق لم يسبق له مثيل فى الاتساع . وقد كان هذا التطور نتيجة منطقية للانقلاب العظيم الذى طرأ على نظم الصناعة فى العالم . ففى الأزمنة القديمة كانت « الفردية » هى السائدة فى المناحى الصناعية والاقتصادية . أى ان معظم الاعمال والمجهودات الصناعية والاقتصادية والمالية كان يقوم بها الافراد لا الجماعات . بل كثيراً ما كان أولئك الافراد يقومون بأعمالهم ومشروعاتهم تحت قناع الشركات . ولكن العهد الجديد أوجد تغييراً كبير الشأن إذ أحل الشركات محل الافراد . واتسع نطاق هذه الشركات بمرور الزمن ونطاق الاعمال التى تقوم بها فانضم بعضها الى بعض وظهرت إذ ذاك النقابات . وبظهور هذه النقابات زاد الانتاج واتسعت المتاجر وصار لرءوس الاموال شأن غير الشأن الذى كان لها من قبل . بل صارت مراقبة هذه الاموال وادارتها والتصرف بها تجرى على منوال جديد لم يكن يعرف قديماً

وهذا التطور ظاهر فى التاريخ الصناعى الاقتصادى لكل أمة من أمم العالم فى خلال الاربعين سنة الماضية . فأينما أدرت طرفك اليوم ترى الشركات الكبيرة تحل محل المجهودات الفردية الضئيلة . بل

كثيراً ما تجد تلك الشركات تبذل الجهود لقتل الجهود الفردية وإخراجها من الميدان ليخلو لها الجو . وقد اشتدت المنافسة فى حالات كثيرة وأدت الى سحق جهود الافراد ، وأصبحت الشركات الكبيرة والنقابات ـ فى بلاد كثيرة ـ صاحبة الأمر والنهى فى كل ما له علاقة بالصناعة والتجارة . وإذ ذاك أصبحت رءوس الاموال فى يد الاقطاب والزعماء ذات صبغة جديدة . واتخذت شكل حصص أو « اسهم » يزيد شأنها أو يقل فى السوق المالية بنسبة كثرة تلك المبالغ وقلتها

وما حدث فى مصر منذ سنة ١٨٩٢ حدث فى جميع بلاد العالم على نطاق أوسع ، فقد أعيد تنظيم رءوس الاموال على أسس جديدة وكان لهذا التنظيم أثر فى العلاقات الدولية السياسية ، لأن مستثمرى الاموال عادوا لا يكتفون بما تدره عليهم رءوس أموالهم فى مسقط رأسهم بل صاروا يوجهون جهودهم لاستثمار تلك الاموال فى أنحاء أخرى من العالم ، فكأن التنظيم الجديد أزال الحواجز الجغرافية التى تفصل بين الممالك وربطها معاً بروابط مالية اقتصادية ، فترى أصحاب المصانع فى لنكشير يهتمون بزراعة القطن فى مصر ، وترى تجار الكاوتشوك فى لندن يعنون بتقلبات أسعار هذه البضاعة فى جميع أنحاء العالم . وما من دولة من الدول الا لها علاقات مالية تجارية مع غيرها . وقد بلغت الاموال الاميركية التى استثمرها الشعب الاميركى فى الخارج خلال العقدين الاخيرين من السنين ، خمسة عشر بليوناً من الدولارات

والشبكة الصناعية الاقتصادية التى تعم العالم اليوم هى كثيرة العقد والمشاكل . وكلما مر الزمن زادت عقداً ومشاكل . يدلك على ذلك انه لا يقع اليوم تطور مالى أو اقتصادى فى أى ناحية من أنحاء العالم إلا كان له صداه فى أقصى الانحاء الاخرى ، ولا تصدر نيويورك قراراً إلا ويبدو أثره جلياً فى بكين

تنظيم العمل

وقد كان لنظام العمل أيضاً حظه من التطور فى خلال الاربعين سنة الماضية . ولكن هذا التطور كان أقل من تطور تنظيم الاموال . ولعل اعظم مظهر من مظاهره بروز نقابات العمال الى الميدان ، حتى لقد بلغ أعضاء نقابة العمال الدولية فى الوقت الحاضر اكثر من أربعة عشر مليوناً من الرجال والنساء مشتتين فى سبعة وعشرين قطراً من أقطار العالم معظمها فى أوربا . هذا خلاف نقابة اتحاد العمال الاميركيين وهى تضم ثلاثة ملايين عضو ، وخلاف اتحاد العمال السوفياتى ولا يعلم عدد أعضائه بالتمام ، وخلاف نقابة اتحاد العمال فى أميركا اللاتينية وليس لدينا احصاء عنها

وفى حالات كثيرة كان نشوء نقابات العمال وتطورها مصحوبين بازدياد اشتراك العمال فى ادارة شؤون الصناعات المختلفة . وأوضح مظهر من مظاهر هذا الاشتراك بروز الجمعيات التعاونية للميدان ونشوء بنوك العمال وبنوك التوفير والاقتصاد وشركات التأمين الخاصة بالعمال ، سواء ما كان منها خاصاً بالتأمين على الحياة أم ضد الاصابات والبطالة وما الى ذلك . وقد نتج من ذلك سن قوانين كثيرة خاصة بالعمال وبنظم استخدامهم وأجورهم والعناية بهم فى حالة الصحة والمرض وتأمين مستقبلهم الى غير ذلك من الامور التى يعنى بها اليوم مكتب العمل الدولى بجنيف

على ان هـذه التدابير والقوانين والأساليب لم تحل حتى الآن دون وقوع الأزمات الاقتصادية الصناعيـة . وما الأزمة الاقتصادية التى تجتاح العالم فى ساعة كتابة هذه السطور سوى مثل من الامثلة الكثيرة الدالة على ان نظم العمل وأساليبه ما تزال فى حاجة كبيرة الى التنقيح والتغيير على مقتضى الاختبار

ثالثاً ـ في عالم الاجتماع

واذا نظرنا الى عالم الاجتماع رأينا ان تطوراً عظيما قد تناوله فى جميع أنحاء العالم . فقد تغير مستوى المعيشة فى كل مكان وبدىء بتقصير أيام العمل وظهرت مشكلة اجتماعية جديدة وهى كيفية استخدام أوقات الفراغ على أفضل وجه . وقد رأينا فى خلال الاربعة العقود الماضية كثيراً من الحواجز الاجتماعية التى كانت تفصل بين الأمم تنهار فيزيد انهيارها فى توثيق الروابط بين تلك الامم . والمجال لا يتسع للاسهاب فى التطورات التى طرأت على العالم الاجتماعى ، ولذلك نجتزىء فيما يلى بذكر أهمها

فى نظم التعليم

ففى نظم التعليم مثلا نجد تطوراً قلما يضاهيـه تطور فى أية ناحية من نواحى الاجتماع . فبعد أن كانت ميزانيات التعليم فى دول العـالم لا تتجاوز بضعة ملايين من الجنيهات أصبحت تتنـاول مبالغ ما كان يحلم بها رجال المال منذ نصف قرن

وبعد أن كان عدد المدارس الابتدائية والثانوية والعالية فى كل قطر محدوداً لا يتجاوز العشرات أو بضع المئات أصبح يعد بالألوف وأصبح التلاميذ والطلبة يعدون بالملايين

وترى اليوم جانباً كبيراً من تلك المدارس مجانية والتعليم فى كثير من البلدان الزاميا ، والكليات والجامعات الاميرية والاهليـة والمكاتب تعم الاقطار . وقد ساعد تطور فن الطباعة فى نشر التعليم وتنوير أذهان العامة ، كما ساعد انتشار الراديو أيضاً فى ذلك .. وكان قصب السبق فى نشر التعليم للدول الغربية الكبرى . إلا ان الأمم الشرقية ايضاً استيقظت من رقادها وأخذت تطلب العلم حتى ان الاقبال على دور التعليم فى الشرق لم يكن دون الاقبال فى بلاد الغرب . على ان هنالك بلاداً شرقية ما يزال التعليم فيها متأخراً ولذلك ترى الروح القومية فيها ضعيفة

ولا شك فى ان بين انتشار التعليم واستيقاظ الروح القومية علاقة كبيرة كما يمكن التثبت من ذلك فى مصر، فان تاريخ الاقبال على التعليم فيها فى خلال بضعة العقود الاخيرة كان مقروناً باستيقاظ الروح القومية ، ويظهر ان هذه العلاقة بين التعليم والعصبية القومية هى العامل الذى أخاف وما يزال يخيف الدول المستعمرة ، فهى تخشى ان أذنت بنشر التعليم أن تستيقظ تلك الروح التى لا يهمها شىء قدر السعى لتكسير أغلال الاستعباد

واذا كان يرجى للبلاد الشرقية أى نجاح فهو مرهون بانتشار دور العلم والمدارس فان العلم هو حجر الاساس فى بناء الاستقلال

حالة المرأة الجديدة

وهنالك تطور آخر طرأ على الاجتماع فى خلال الاربعة العقود الاخيرة وهو حالة المرأة فى جميع أقطار العالم وتحررها من ربقة العادات والتقاليد والنظم التى كانت خاضعة لها منذ أقدم الازمنة . ولا يسعنا الآن أن نأتى على تاريخ مسهب لنهضة المرأة للمطالبة بحقوقها فى العصور الحديثة فانه تاريخ طويل يرجع الى منتصف القرن الفائت . ففى ذلك العهد شرعت بعض النساء الاميركيات فى بث دعوة يراد منها حمل نساء الولايات المتحدة على المطالبة بحقوقهن السياسية والمدنية . وظلت تلك الدعوة تقوى وتمتد حتى وصلت الى أنحاء أخرى من عالم الغرب ـ فى بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا والنمسا ودول أوربا الوسطى والشرقية . فى جميع هـذه البلدان هبت المرأة تناضل عن بنات جنسها وتطالب بحقوق كانت محرومة إياها من قبل

وفى أواخر القرن الفائت بدأت تباشير نجاح النهضة النسوية تلوح فى أنحاء كثيرة . فما لاح فجر القرن الحاضر حتى أصبحت تنافس الرجل فى جميع مناحى العمل والحياة وتزاحمه على أبواب الرزق . وفى الاحصاءات الرسمية الاميركية ان عدد النساء الاميركيات اللواتى كن فى بدء القرن الحاضر يزاولن الاعمال الحرة والخدمة فى المعامل والمتاجر وغيرها بلغ ٢٠٪ من عدد المتعلمات . وما زال هـذا العدد فى ازدياد مطرد حتى بلغ أقصاه فى الحرب العظمى الماضية إذ سيق جميع الشبان ـ فى جميع البلدان التى خاضت غمار تلك الحرب ـ الى ميادين القتال واستعيض عنهم فى المعامل والمتاجر وغيرها بالنساء

ولما وضعت الحرب أوزارها احتفظت النساء بوظائفهن وأعمالهن لعدة أسباب أهمها :

أولا ـ ان الاجور التى يتقاضينها هى أقل من أجور الرجال

ثانياً ـ انهن اكثر انصرافاً لاتقان أعمالهن وأشد محافظة على واجباتهن

ثالثاً ـ انهن اكثر جلداً وأوفر انتاجاً لأنهن لا ينصرفن فى ساعات فراغهن للسهر والسكر والعربدة

ولا ريب فى ان منافسة المرأة اليوم للرجل هى من أهم أسباب البطالة التى تشكو منها بلدان كثيرة . فقد حلت النساء فى جهات كثيرة محل الرجال فكثر اذ ذاك العاطلون

ولم تقتصر منافسة النساء على الوظائف والصناعات فقط بل تعدتها الى المهن الحرة أيضاً . فأنت ترى اليوم مدارس الطب والهندسة والحقوق وغيرها غاصة بالطالبات من الفتيات فى جميع أنحاء العالم وحيثما سرت فى أوربا أو أميركا وفى بعض بلدان الشرق تجد الطبيبات والحاميات والمهندسات والاديبات والشاعرات والمعلمات وخلافهن . وهذا ما شجعهن على المطالبة بحقوقهن السياسية أيضاً . ولا أدل على نجاحهن فى هذا الميدان من أنك تجد اليوم بعض مناصب الدولة والكراسى النيابية تشغلها النساء فى أميركا وانجلترا وروسيا وأوربا بوجه الاجمال

التطور فى الطب

وكان التطور فى الطب أيضاً عظيما جداً فى خلال الاربعين سنة الماضية . والدليل على ذلك ما أصابته الجراحة من التقدم ولا سيما فى العشرين سنة الاخيرة حتى أصبح هذا العلم أشبه بالسحر . ولا يتسع

المجال لوصف تفاصيل هذا التطور فانه مما تضيق دونه المجلدات . ولكن جراحة الدماغ والاعصاب وغيرها قد كانت من أعظم وجوه النصر الذى أوتيه العلم على الامراض . أضف الى ذلك تقدم علم الميكروبات والتعقيم وأساليب التغلب على جراثيم الامراض ، وأساليب التخدير فى مكافحة الآفات التى كانت تعتبر حتى منتصف القرن الفائت مستعصية على العقل البشرى

وقد كان لتقدم علم الطب والجراحة وارتقاء علم الصحة ودرس المواد الغذائية المختلفة اكبر الاثر فى إطالة متوسط عمر الانسان وفى تقليل نسبة الوفيات ، وسيظل الامر كذلك ومتوسط عمر الانسان يزيد الى أن يبلغ حده الاقصى

* * *

هذه أهم المناحى التى شملها التطور فى خلال الاربعين سنة الماضية بسطناها باعتبار ان ذلك التطور لم يكن موضعياً خاصاً بقطر من الاقطار بل كان شاملا عاماً ظهرت آثاره ظهوراً واضحاً . وفى الواقع اننا اذا قابلنا حالة مصر فى خلال الاربعة العقود الماضية بحالتها قبل ذلك رأينا آثار التطور فيها جلية واضحة . ففى ميدان السياسة نرى البلاد وقد نكبت بالاحتلال الانجليزى فى أول الامر تسعى بكل ما فيها من قوة للخلاص من ذلك الاحتلال . وما هى إلا أن نشبت الحرب العظمى الماضية حتى نهضت تطالب باستقلالها . ولم تذهب جهودها عبثاً بل أثمرت بفضل حكمة زعمائها . فانتقلت من بلاد محتلة بجنود أجنبية الى بلاد مشمولة بالحماية الى مملكة مستقلة ذات سيادة وهو آخر أدوار تطورها السياسى . نعم ما تزال هناك أمور معلقة بينها وبين بريطانيا العظمى ولكن قادتها لن يعجزوا عن الوصول الى اتفاق متبادل على تلك الامور يصون كرامة البلاد ويضمن سلامتها

وفى عالم الاقتصاد أيضاً كان تطورها عظيما فقد اتسعت مواردها التجارية وكثرت مصانعها وزادت صادراتها ووارداتها وتضخم ميزانها التجارى وزادت عملتها وكثرت بنوكها ومصارفها والشركات المالية فيها ، نعم ان تقدمها الاقتصادى ما يزال مرهوناً بقيود دولية كثيرة ولكن البلاد قد استيقظت وأدركت ما للاستقلال الاقتصادى من الشأن فانبرى رجال المال المفكرون فيها لانشاء المصارف والشركات الوطنية ، وكانت النهضة مجيدة مباركة لأن الأمة كلها وقفت تعاضد المشروعات الاقتصادية وتؤيدها بكل ما فيها من قوة

ومما يدعو الى الفخر والاعجاب ان بنك مصر والمشروعات المالية والاقتصادية التى قام بها فى السنين الاخيرة انما هى مظهر من أجمل مظاهر التطور الاقتصادى الذى مر على مصر

* * *

وكذلك القول فى الميدان الاجتماعى فان التطور فيه فى خلال الأربعين سنة الماضية كان عظيما جداً ، وقد كانت أجلى مظاهره بعد الحرب العظمى الماضية . ومن دواعى الأسف أن التطور فى مصر فى هذا الميدان لم يكن خالياً من الانتقاد . وأهم وجوه هذا الانتقاد الافراط فى اقتباس بعض العادات الغربية مما لا تلائم الروح الشرقية . ويظهر أن روح التقليد شديدة فينا ، ونحن نقتبس العادات والتقاليد من دون تمييز بين صالحها وطالحها

على أنه بازاء ذلك لايسعنا إلا إبداء الارتياح إلى وجوه التطور الاجتماعية الأخرى التى طرأت على مصر فى خلال الأربعين سنة الماضية والتى تدعو بالحقيقة الى الاعجاب . وفى مقدمة ذلك ترقية مستوى التعليم النسوى وإقبال الآباء على إرســـال أولادهم وبناتهم إلى دور العلم ، وتنظيم قوانين الاحوال الشخصية ولا سيما ما يتعلق منها بالمرأة ، وقد كانت تلك القوانين لاتخلو من اسباب الانتقاد ولاسيما ماله صلة بأمور الزواج والطلاق والميراث . ولا ريب فى أن جانباً كبيراً من الفضل فى ذلك التطور يعود الى المساعى التى بذلتها ولا تزال تبديها المرأة المصرية . والآن فى مصر عدة جمعيات تعنى بشؤون المرأة وتسعى لترقيتها وقد كان لها الفضل الاكبر فى كل ما أصاب المرأة فى مصر من رقى

ومن دواعى الارتياح أن تطور مصر سياسياً واقتصادياً وعمرانياً قد كان عظيم التأثير فى البـلاد المجاورة لمصر كسوريا وفلسطين والعراق وغيرها من البلاد التى تربطنا بها رابطة اللغة والعادات والتقاليد

* * *

والخلاصة أن مصر قد شهدت منـذ ولادة مجلة الهلال تطوراً عظيماً فى جميـع مناحيها السـياسية والاقتصادية والاجتماعيـة . ولم يبلغ بعد هذا التطور غايته القصوى . ولذلك ستظل مصر تواصـل جهودها فى جميع تلك الميادين . وستـكون القدوة لجميع جاراتها والامم الشرقية التى تربطها بها روابط اللغة والعادات والتقاليد

نظرات الى المستقبل

الانسان

خلاصة مقالة لمكسيم جوركي

الـكاتب الروسى الشهير

من أعظم تطورات الاجتماع أن الانسان بعد أن أخضع الجو وركب متن الهواء وقف فجأة يفكر فى عظمة عمله ويقول لنفسه : « لقد أخضعت الهواء وغصت فى الماء وحاكيت سرعة البرق واكتشفت الراديوم وعرفت سر استعماله . وأنا أستطيع الآن أن أخاطب الناس فى أقصى أنحاء الأرض بواسطة الكهربائية الأثيرية ، ويخيل إلىأننىسأ كتشف عما قليل سر الحياة . فماذا ترى بقى مكتوماً عنى ؟ »

لاشك أن الانسان سيظل يتدرج من حال الى حال إلى أن يدرك أنه لم يبق أمامه إلا أن يقف معجباً بقوته . وفى الواقع أنه لم يقف حتىالآن ليفكر فى عظم قوة الابتداع التى هى منأهم مزاياه ، مع أن قوة عقله وتصوره لا تقل شيئاً عن قوة ابتداعه

ومن مدهشات الحياة بل من سخرية الأقدار أن يقف الانسان مدهوشاً من صنعة يديه معجباً بالجراموفون والسينما والاوتوموبيل وغيرها من الاختراعات مع أنه لا يبدى مثل ذلك الاعجاب بنفسه وبقوى عقله ومخيلته

وهو حسود غيور ـ وقد حمله حسده على منافسة طيور السماء وانتزاع مملكة الجو منها

وهو شهوانى بالطبع ـ وقد حملته شهوته على التغزل بالمرأة والسعى لغوايتها

وهو خداع كذاب ـ وقد حمله الكذب على ابتداع الأساطير والخرافات عن آلهة الخير والشر وعن ابطال الروايات الخيالية كروبنصن كروزو وهملت وفوست وغيرهم

وهو شديد الطمع ـ وقد حمله طمعه على الاحتفاظ بقواه على أمل الوصول الى الكمال

وهو فخور شديد المباهاة ـ وقد حملته كبرياؤه على الاعجاب بنفسه وبكل ما هو من صنعة يديه

وهو كسول ـ وقد أقعده كسله عن السعى لاصلاح الحالة التى هو فيها وللفرار من عيشته الراتبة

بل الانسان سر مستغلق ومخلوق قد منح قوة التفكير فأوجدت فيه هذه القوة طموحاً الى الخلق والابتكار بل الى هدم كل ماتخلقه يداه

وليس أسهل عليه من فعل الشر . وليس أصعب عليه من فعل الخير . وقد عانى من تقلبات الزمان ما أكسبه خبرة فى كل شىء وجعله عظيما فى كل شىء . ولكن اختباره ملأه غروراً . وهو على أشده

غروراً بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من العمر إذ يظن يومئذ أنه نابغة عبقرى ، ولكنه أشبه فى ذلك الدور بغصن مجرد من الثمر – فهو مرتفع أبداً إلى العلاء بخلاف الغصن المثقل بالثمر فانه منحن أبداً نحو الأرض

ويعتقد الانسان أن له الحق فى إتلاف كل شىء وفى إهلاك كل حى . وأشد الناس شقاء هم الذين يتلفون كل شىء ولا يستطيعون خلق شىء

ولقد أظهر الانسان جرأة عظيمة فغزا مملكة العالم المنظور وابتكر أشياء كثيرة لم تكن معروفة على الارض وصنع المعجزات العلمية وغزا مملكة السحر وحاول اخضاع قوى الطبيعة

* * *

فى مارس سنة ١٩٢٧ احتفل العالم بمرور مائتى سنة على وفاة نيوتن الذى كان من أعظم نوابغ التاريخ . وقد نقشت العبارة التالية على قبره فى وستمنستر وهى : « ليغتبط البشر لأنه وجد فى العالم من كان زينة لهم »

ولا بدع فالأنسان هو زينة العالم وله الحق أن يقف أمام المرآة ليعجب بنفسه

عصر المفاجآت

خلاصة مقالة للدكتور جيمس روبنصن

استاذ التاريخ بجامعة كولومبيا

كان الانسان فى جميع أزمنة التاريخ يطلب المعجزات . ومعجزات الزمن القديم تختلف عن معجزات هذا العصر ، فقد كانت تلك تتم بقوة غامضة غير منظورة تعزى الى الله او الى الآلهة ، حالة أن هذه هى نتاج العقل البشرى وثمرة الفكر الانسانى

وصانع المعجزات اليوم يعترف بضعفه أمام الطبيعة . وكلما اكتشف سراً من أسرار الكون شعر بأنه ما يزال ضعيفاً عاجزاً

ولهذا الكائن العجيب قوة ايمان وصبر لاينضبان . وكلما صادفه ما يثبط العزم ازداد قوة ونشاطا وكثيراً ما يضطر الى التضحية بصحته وبحياته والى الاستشهاد فى سبيل ارادته . ولكنه شديد الثقة بنتيجة عمله ولا تستطيع العقبات ان تثنيه عما يريد

تراه كثير الرغبة فى معرفة كل شىء وفى توسيع دائرة علمه والعلم بفضل بحثه سريع التطور كثير المفاجآت . فلا يظهر كتاب علمى إلا ويغير النظريات العلمية التى تقدمته ، بل لا يكاد ذلك الكتاب يصدر من المكتبة حتى يفاجأ الناس بآراء علمية جديدة . وما تزال الطبيعة سرا مستغلقا وهو يسعى

لاستجلائها . ومع احترامه لمن تقدمه من العلماء يعتبر انهم كانوا يسيرون فى الظلام . ولذلك تراه يغير ويرمم مابناه نيوتن ولافوازيه ودالتون وفرادى وداروين وباستور وغيرهم

ولا ريب فى أن المصنفات التى ظهرت فى خلال الاربعين سنة الاخيرة تشرح حقيقة الطبيعة الانسانية أكثر من ملايين الكتب التى ظهرت قبل ذلك . ففيها وصف جهود الانسان وعواطفه ونفسيته واعماله وحروبه وفشله وانتصاراته وأفراحه وأتراحه وكل ما يحيق به فى هذه الحياة فى أثناء تطوره وتسلقه سلم الكمال . وقد أتيح له فى خلال هذه المدة ان يتحكم فى قوى الطبيعة ويسخرها لارادته فاستخدم « شرر زفس(١) » واستعان بها على قضاء حاجاته وشؤونه حتى المنزلية منها كالطبخ والكى والغسيل والاضاءة . واستعان بجميع ما فى الطبيعة لضمان سعادته ورخائه . ثم ضاق به البر والبحر فعمد الى مملكة الجو وأخضع أطرافها النائية

* * *

ان الذين كتبوا قديماً عن الانسان لم يعنوا بتاريخه لانهم كانوا يجهلون ما وقع له قبل أزمنة التاريخ لذلك اكتفوا بما جاء عنه فى الاديان المنزلة من أن الخالق أوجده فى جنة عدن قبل المسيح بأربعة آلاف سنة . ولكن الاربعين سنة الاخيرة قد كشفت لنا النقاب عن جانب من تاريخ الانسان الصحيح واثبتت لنا ان الانسان وجد على وجه الارض منذ مليون سنة أو اكثر وأنه كان منذ تلك الحقب يسير على مؤخرتيه كما يفعل ويتدرج فى العلم والمعرفة طبقا لبيئته وللنواميس التى كانت ولا تزال تتحكم فيه . وتدل الجماجم التى عثر عليها العلماء على ان الانسان فى أوائل عهد نشوئه كان أقرب الى الحيوان منه الى الانسان ولكنه كان مجهزاً بقوة دفعته الى الامام . وهى حب الاطلاع وتوسيع دائرة المعرفة وإجادة التقليد

وغنى عن البيان أن الانسان شديد الشبه فى شكله ووظائفه الفسيولوجية بالقردة العليا . فهو يبدأ حياته جنيناً فى بطن أمه ، وفى مدة اقامته هنالك تبدو عليه آثار تدل على أنه من أصل حيوان مائى . وتراه يحتفظ مدى حياته بأعضاء اثرية تدل على الاصل الذى نشأ منه . ولا شك أن الاغلاط التى يرتكبها فى الحياة والنقائص التى تبدو منه هى دليل على أنه عند ارتكابه تلك الاغلاط إنما يرجع إلى طبيعته الحيوانية يوم كانت قوة الارادة فيه ضعيفة

وهنالك ادلة لاتحصى على ان الانسان قد قضى ٩٩ فى المائة من الوقت الذى وجد فيه على الارض وهو أقرب الى الحيوان منه الى حالته الحاضرة وانه كان فى أوائل عهده همجياً يعيش على القنص والصيد ولا يعلم ما هو مستور له فى ثنايا المستقبل من عوامل التطور . وبمرور الزمن تعلم كيف يصنع النار والأدوات الحجرية ثم رفه جسمه ، فاخذ يشعر بالبرد ، فاكتسى بجلود الحيوانات وقضى مئات الالوف من السنين وهو فى حالة فاضحة من الهمجية يجول على هذه الارض كالحيوان . ولم يتعلم صناعة الغزل والنسيج والزراعة ورعاية المواشى إلا منذ نحو اثنى عشر الف سنة فقط . أما القراءة والكتابة فلم يتعلمهما الا بعد ذلك بكثير ، أى منذ بضعة آلاف من السنين

---

(١) اشارة ميثولوجية استعارها الكاتب للدلالة على الكهربائية

فمنذ نحو ستة آلاف سنة كان وادى النيل غاصاً بطائفة من البشر بلغت حضارتهم بالنسبة الى غيرهم من شعوب الأرض شأواً بعيداً . فكانت هذه الطائفة قد بدأت تقرأ وتكتب وتبنى البيوت والمعابد وتقيم الأضرحة وتصنع الأدوات المعدنية بدلا من الأدوات الحجرية ، وتكفن موتاها بالكتان الناعم وتصنع التماثيل والآنية الخزفية وتشتغل بالسحر والعرافة والتنجيم والفلسفة . وما زال القوم يتقدمون ويتطورون حتى بلغوا منزلة سامية من الرقى

على أن الطبيعة الحيوانية ما تزال آثارها ظاهرة فى الجنس البشرى بوجه الاجمال . وما يزال كل امرىء يجىء الى هذا العالم يبدو فى طفولته أقرب فى عقله الى الحيوان منه الى الانسان . وهو يجمع فى خلال طفولته وحداثته طائفة من الاختبارات توسع دائرة مداركه وتدفعه فى سبيل المدنية . ولا شك أن العقل هو الحد الفاصل بينه وبين الحيوان

العقل والجسد

والعقل هو مجد الانسان الأعظم ، والآلة التى يستعين بها على انجاز جميع معجزات الحضارة وما من حيوان يستطيع أن يفكر كالانسان ومزية تفكيره هذه هى التى دفعته الى استنباط ديانات ونظم هى فى الحقيقة نتاج الجمع بين الدين والفلسفة . بل هى التى أكسبته العلم بأحوال العالم وساكنيه ومكنته من اختراع أشياء كثيرة لضمان طعامه وكسوته وزينته ووقايته وتوفير أسباب غبطته على وجه لم يكن معروفاً عند أجداده . فما أعظم العقل وما ألزمه للانسان ! ومع ذلك يحاول بعض العلماء إنكار وجوده . واذا انتفى العقل فكيف نعلل سلوك الأنسان وسيره فى هذا العالم وقيامه بمهام الحياة بما ينطبق على المنطق ؟ أو ليس من الطبيعى أن نفرض وجود قوة مفكرة عاقلة ترسم لنا الخطط التى يجب أن تسير عليها إرادتنا وميولنا ، وتستخلص لنا العبر والنتائج من اختبارات الزمن السالف لنسترشد بها فى حياتنا المقبلة ؟ حقاً ان من ينكر وجود العقل يجب أن يكون مجرداً من العقل

وقد كتب الفلاسفة الاقدمون عن العقل ، فاثبت معظمهم وجوده وعرفه جون ستيوارت مل بقوله : إنه قوة غامضة تشعر وتفكر . ولعل هذا التعريف يرضى سواد المفكرين

ومما يجدر بالذكر أن طائفة من علماء البسيكولوجيا قاموا فى بضع السنوات الاخيرة بمباحث واسعة النطاق خاصة بطبائع الحيوانات وسلوكها . فثبت من هذه المباحث أن الحيوانات ، ولا سيما العليا منها غير مجردة تماماً من قوة التفكير كما كان الناس يعتقدون حتى عهد قريب ، وأن تفكير الاطفال ليس أرقى من تفكير تلك الحيوانات . وهذا وحده دليل على أن العقل ـ تلك القوة الغامضة التى تشعر وتفكر ـ يتطور بمرور الزمن وهو خاضع للعوامل التى تؤثر فى ناموس النشوء والارتقاء

ولكن لنرجع الى تلك المخلوقات الميكروسكوبية الدقيقة التى تتناسل بسرعة وترى فى سلوكها جميع علامات التفكير . إنها تتناول من الغذاء مثلا ما يلائم طبيعتها وترفض ماسواه وكل جهودها منصرفة الى الدفاع عن حياتها والى ضمان غذائها . فهل هى مدفوعة بقوة عاقلة ؟

هذا ما قد عجز العلم عن حله حتى الآن . نعم انهم يعللون ذلك السلوك بالغريزة ، ولكن ما هى الغريزة ؟ وما حدودها ؟ وأين مقرها ؟ وما منشؤها ؟

وهنالك مشكلة أخرى وهى تعليل العلاقة بين المادة وغير المادة . فارادة الانسان مثلا تحرك أعضاء جسمه فى اتجاهات معينة . وما من حركة يأتيها الانسان إلا وهى نتيجة ارادته ، سواء أكانت ارادة وجدانية مصحوبة بشعور تام ، أم باطنية غير مصحوبة بذلك الشعور . ولكن الارادة هى قوة غير مادية ، حالة أن أعضاء الجسم هى أشياء مادية . فكيف تفهم هذه الاشياء المادية (كاليدين والرجلين والعينين وما أشبه) تلك الارادة غير المادية ؟

وبعبارة أخرى - إن الفكرة الشائعة والتى كانت سائدة حتى الآن هى أن المادة شىء ميت غير ذى وجدان ولا شعور ولا حركة فكيف تؤثر فيها قوة الارادة وهى غير مادية ؟

هذه مشكلة لم يوفق العلماء الى حلها حتى الآن حلا يبعث على الارتياح . إلا أن تقدم العلم منذ بدء القرن الحاضر قد بدأ يلقى ضوءاً عليها ، إذ تدل المباحث العلمية الحديثة على ان المادة ليست فى الحقيقة شيئاً ميتاً كما يعتقد سواد الناس بل هى تتألف من دقائق (Molecules) وهذه الدقائق تتألف من جواهر فردة (Atoms) والجواهر الفردة تتألف من كهارب أو اليكترونات (Electrons) وهذه الكهارب ليست ميتة لا حراك فيها بل هى ومضات كهربائية ذات حركة دائمة وهى تدور بسرعة لا تدركها الابصار وتحاول دائماً أن تتحد بمواد أو عناصر أخرى . ومن هذا الاتحاد تنشأ العناصر المختلفة

فاذا ثبت أن المادة غير ميتة ولا جامدة ، أفليس من المحتمل أن يكون بينهما وبين قوة الارادة علاقة تعاون أو تفاهم حتى تقوم المادة بتنفيذ ما تطلبه الارادة !

عصر الاضطراب

خلاصة مقالة لجويليمو فريرو

المؤرخ الايطالى الشهير

العالم اليوم فى اضطراب عظيم لأنه لايعرف الى أين هو سائر ولا ما هو الحد الذى سينتهى اليه

أدر طرفك الى كل جهة ، ماهى حقيقة حالة اوربا وأمريكا فى هذا العصر ؟ تجد شعوب هاتين القارتين فى جهد مستمر يسعون للارتواء من ينابيع المعرفة ولضمان الغنى والسلطان

وهم مهتمون بروح المادية كأنهم قد جعلوا المال غايتهم القصوى ومثلهم الأعلى فى هذه الحياة . وفى الواقع انهم يسعون وراء المال ، فاذا جمعوه لم يعرفوا كيف يتمتعون به ، اذ ليست لهم غاية أخرى وراءه ، ولا هم يعلمون لماذا يجمعونه . وما من فرد او شعب يستطيع أن يتصور ثروة أو سلطة تجلب

السعادة للانسان . ومع ذلك فان الجميع يسعون سعياً حثيثاً فى سبيل الثروة والسلطة وينفقون الأيام والليالى فى سبيل استنباط المشروعات وابتكار الوسائل المؤدية الى تلك الغاية

وكلما زاد الغنى والسلطان زاد السعى للاكثار منهما . وحالة الانسان وهو فى هذا السعى أشبه بحالة المحموم لا يهدأ له بال ولا يعرف السكون ، لأنه لا يعرف حقيقة الغاية التى يسعى اليها ولا سبيل الوصول اليها

وليس من يعلم متى يقف الانسان ويقول كفى ! مع انه كان من المعقول أن يكون لرغباته وميوله وأهوائه ومطامعه حد يقف عنده

ترى ما هى حاجات الانسان المشروعة وأين تنتهى وأين تبدأ الحاجات الكمالية ؟ اننا فى أشد الحاجة الى ما نستطيع أن نفرق به بين الجهد اللازم والجهد الضائع ، بين الاقتصاد والتبذير ، بل نحن فى حاجة الى حد فاصل يدلنا على الكمية التى يحق لنا امتلاكها أو استهلاكها أو التمتع بها

ولكن وا أسفاه ! لقد جاوزنا كل حد . ورغبة الانسان تسير فى اتجاه غير معلوم ، وفى حين لا حدود له

ان عالمنا فى هذا العصر يمتاز بالعظمة والقوة والغنى والحكمة . والناس يباهون بكون هذا العالم مسرحاً لأفضل حضارة شهدها التاريخ وأشدها انطباقاً على مقتضيات الانسانية ، ومع النقائص الكثيرة التى نستطيع ان نؤاخذ بها انفسنا فانه ما من عصر من عصور التاريخ كانت فيه علاقات الافراد اكثر انطباقاً على مقتضيات العدل والحنان والانصاف . واذا كانت قسوة الانسان قد ظهرت على أشدها فى الحرب العظمى الماضية ، فان تلك القسوة ليست فى خلق الافراد ولا فى نفوسهم ، بل فى آلات الهلاك والدمار التى استنبطها الانسان وأطلق عقالها والتى ليس له عليها سلطة الآن . ذلك لأن تلك الآلات قد أصبحت سيد الانسان وأصبح الانسان مستعبداً لها من دون أن يشعر

وفى الواقع ان العيب الاكبر فى مدنيتنا الحاضرة ليس فى كونها مادية ، بل فى كونها لا تدرى أين تقف وعند أى حد تستقر . فسواء فى انتاج المتاجر أو المصنوعات أو الذخائر أو الاسلحة أو الثروة أو عدد السكان أو ما الى ذلك تراها عاجزة عن الوقوف عند حد ، بل هى تعجز عن الوقوف عند حد فى بحثها عن الحقيقة أو الجمال . فما من نتيجة تكتفى بها ، وما من كمية تقنعها ، لذلك تراها دائماً مندفعة الى الامام ، كأنها تحاول الوصول الى أفق لا يمكن الوصول اليه ، وهذا هو سبب عدم اكتفائها أو قناعتها ، وهى كلما زادت نجاحاً زادت مطامع

على ان سيرها فى السبيل المجهول ، واتجاهها نحو الأفق الذى لا يمكن الوصول اليه ، ليسا بالسببين الوحيدين للاضطراب الذى يسود هذا العصر . فهنالك عامل آخر يعلل هذا الاضطراب وهو الصراع الباطنى بين مبدأى الحرية والانقياد للنظام ، وقد بدأ هذا الصراع يدخل فى دوره الختامى ، ولعله أعقد المشاكل التى ستشغل عقول أهل الجيل القادم

ان القرن التاسع عشر ورث عن الحضارات السابقة عدة مبادىء أدبية وعقلية وسياسية ، وكلها تؤيد وجوب الانقياد الى النظام . نعم ان تلك المبادىء كانت فى بعض الحالات فى صراع شديد مع المبادىء

الجديدة التى ظهرت مع تطور الحوادث ، ولكن مبدأ الانقياد للنظام بوجه عام كان ولا يزال بمنزلة « فرملة » أو لجام لكبح جماح المندفعين فى كل شىء على غير هدى ، الذين كان روح الاضطراب السائد على العصر يدفعهم فى تيارات مختلفة . ولا حاجة الى القول انه كان من جملة نتائج ذلك الصراع فساد مناح كثيرة من مناحى الاجتماع والحضارة . وقد أثر هـذا الفساد أسوأ الاثر فى حضارتى أوربا وأميركا فى أثناء القرن التاسع عشر ، ولم يفلح فى اصلاح ذلك الفساد ما بلغته الحضارة من نجاح ورقى

ومما يجدر بالذكر ان الحرب العظمى الماضية زعزعت أركان الحضارة على وجه يصعب تصوير حقيقته . فقد سقطت عدة عروش على أثر تلك الحرب أو بسببها ، وكان يظن انها باقية الى الابد . وأثر عصر الاضطراب فى النظم السياسية والعمرانية وفى التقاليد والعادات القومية اذ قضى على الكثير منها وذهبت فريسة للاهواء والاضطرابات . وكان من جراء ذلك أن تزعزع نظام الأسرة نفسه ، فليست الأسرة اليوم مدرسة لتعليم النظام كما كانت من قبل . وليس للآباء على الاولاد فى هذا العصر ماكان لهم من السلطة فى العصور السابقة . أضف الى ذلك ان العقيدة الدينية قد ضعفت ولم يبق لها على النفوس ماكان لها قديماً من سلطان . كل ذلك لأن ميول البشر أصبحت منهمكة بشتى المقاصد والاغراض

ولا شك فى انه لا شىء أصعب من إنشاء النظام وتوطيد أركانه ، ولا سيما فى هـذا العصر ـ عصر الاضطراب الفكرى والمادى ـ واننا فى أشد الحاجة الى نظام دينى أدبى علمى اقتصادى لكى ينتهى الاضطراب الذى نحن فيه

مستقبل الاكتشافات العلمية

خلاصة مقالة للدكتور آبوت

العالم الاميركى المشهور

منذ عهد غير بعيد قام الدكتور جورج هايل ـ أحد كبار علماء الفلك الاميركيين ـ بدعوة قومه للاشتراك فى مشروع علمى عظيم وهو الاكتتاب بمبلغ مليونى جنيه لصنع اكبر تلسكوب فى العالم ، يكون قطر مرآته العاكسة مائتى بوصة ، ويستطيع رصد ما يوازى أربعة أضعاف الاجرام الفلكية التى يرصدها تلسكوب مرصد مونت ويلسون الذى هو أعظم تلسكوبات الدنيا فى الوقت الحاضر

ومتى تم هذا التلسكوب فستتجلى لنا عظمة هذا الكون إذ نستطيع إذ ذاك رصد ثلاثين بليوناً من الشموس التى لا تقل فى حجمها عن شمسنا وكلها ضمن نظامنا وتشغل حيزاً من الفضاء لا يقل قطره عن الف مليون تريليون من الاميال . ومع ذلك فان فى الفضاء مئات الألوف من النظم الاخرى تضم

ملايين الأجرام الفلكية وجميعها فى أدوار مختلفة من أدوار التطور وعلى درجات من الحرارة تبلغ فى بعضها عشرات الملايين ، ويعادل الضغط الواقع عليها من الجو أضعاف ملايين الضغط الواقع على الكرة الارضية من الجو المحيط بها

وليس الفضاء السحيق وحده هو الذى ينتظر أن تتم فيه الاكتشافات العظيمة بل هنالك - فى الجهة المقابلة - مملكة الخلائق الميكرسكوبية الواقعة تحت أبصارنا والتى ما تزال محجوبة بأستار الغموض والابهام . ومن ذلك الخلايا الميكرسكوبية التى تنشأ الحياة من اتحادها ، والخلايا الاخرى التى هى سبب ما يمتاز به الانسان من صفات الخير والشر والذكاء والخمول وما الى ذلك . والخلايا التى هى سبب الوراثة والغريزة وهلم جرا

واذا نظرنا الى تركيب المادة نجد ان تلك الخلايا ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى الكهارب أو الايلكترونات التى يتألف منها الجوهر الفرد . وقد أفضى اكتشافنا للايلكترونات ومعرفتنا ببعض خواصها الى اختراع التلفون اللاسلكى . والمنتظر أن يتسع نطاق الاختراعات فى المستقبل باتساع نطاق معرفتنا عن كهارب المادة ودقائقها الميكروسكوبية

ولا حاجة الى القول ان الاكتشافات لا تتم بلا جهود . واننا واثقون بأنه لن ينقضى النصف الاخير من هذا القرن حتى نكون قد اطلعنا على الكثير من أسرار الطبيعة التى ما نزال نجهلها ، ومن أسرار المادة المتناهية فى العظم والمتناهية فى الدقة . وسيبذل الناس جهودهم فى بضعة العقود المقبلة لاستجلاء أسرار الطبيعة الغامضة

ولن تقف الجهود عند هذا الحد بل ستمتد الى جهات أخرى . ولا يخفى ان الدول - وفى مقدمتها الولايات المتحدة - تنفق الملايين الكثيرة من الاموال فى سبيل البحث والاختراع والاكتشاف . ولما كان ميدان البحث واسعاً لا حد له فستزاد الاموال التى ستنفق فى تلك السبيل فى السنين المقبلة زيادة هائلة

ففى كل منحى من مناحى العلم والاكتشاف تجد آثاراً بادية لجهود الانسان . واننا نعيش اليوم فى عصر نجد فيه من الاختراعات ما لم تخطر ببال آبائنا ، وما لو ذكرت لأحد منذ مائة عام لظنها خرافة لا يمكن تصديقها . ومع ذلك فمن الذى يشك اليوم فى وجود التلغراف والراديو والتلفون اللاسلكى وما الى ذلك ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يكذب ما يسمعه من أخبار الاختراعات والاكتشافات

ولكن هل وصلنا الى غاية الاختراعات فى مسائل النقل والانتقال والمواصلات مثلا ؟ أوليس من الممكن أن تتطور طرق النقل والانتقال وتجاوز الحيز المادى - حيز اللاسلكية ؟

لقد كان الاعتقاد شائعاً منذ أقدم الأزمنة بامكان انتقال الفكر من انسان الى آخر ولكن العلم لم يوفق حتى الآن الى تعليل هذه الظاهرة المدهشة . ومع ذلك فالامل قوى جداً بأن يتمكن الانسان فى المستقبل من جلاء هذا الغامض

وهنالك منحى آخر من مناحى النقل والانتقال ، ونعنى به الطيران . والمعروف ان هذا الفن ما يزال فى أول عهده . وان الانسان ما يزال حتى الآن عاجزاً عن مجاوزة حد معين من الارتفاع . على اننا نقرأ

من وقت الى آخر أخباراً من مصادر أوربية وأميركية تدل على بعض ما يبذل من الجهود لترقية وسيلة جديدة من وسائل الطيران ونعنى بها القذيفة الطائرة ، والغرض منها بلوغ الطبقات المستغلقة من الجو فوق الطبقات التى تستطيع المناطيد والطيارات الوصول اليها . بل لقد أثبت بعضهم بطريقة نظرية ان فى الامكان إرسال قذيفة تظل سائرة فى الجو الى أن تستقر على القمر . وليس غرضنا الآن مضاعفة الجهود فى هذا السبيل بقصد الوصول الى الافلاك العلوية ، وانما يهمنا من مراقبة تطور الطيران بواسطة القذيفة أن تتمكن من اختراق الجو صعداً والوصول الى طبقات الجو النائيـــة حيث نستطيع فحص الضغط وتركيب الجو واستجلاء غوامض الأشعة التى وراء البنفسجية ومعرفة أسباب التقلبات الجوية وما الى ذلك من المعلومات

* * *

وهنالك ميدان آخر غير طبقات الجو يرقبه العلماء ويحاولون استجلاء غوامضه وهو اغوار البحار حيث تقيم ملايين المخلوقات الحية التى لا نعرف عنها إلا النزر اليسير . وقد بذلت كلتا بريطانيا العظمى والولايات المتحدة جهوداً كبيرة فى هذا السبيل ، كما قامت المعاهد العلمية المختلفة بجهود أخرى . ولكن مجال العمل لا يزال فسيحاً

وهنالك ميادين أخرى ينتظر تقدم العلوم والاختراعات فيها تقدماً عظيما فى المستقبل . فهنالك ميدان الطب ، وما يزال الاطباء يبذلون فيه جهود الجبابرة للتغلب على الامراض المستعصية كالسل والسرطان والأوبئة الوافدة

وهنالك أيضاً ميدان الكيمياء حيث يسعى العلماء لاماطة اللثام عن طبيعة العناصر البسيطة والمواد المركبة ولا سيما التى لها علاقة بظاهرة الحياة فى النبات والانسان

وهنالك الميادين التى يخوضها علماء الطبيعة والهندسة والأرصاد الجوية ، وكل منهم يسعى فى دائرته لكشف غوامض العلم واستجلاء أسرار المستقبل

والخلاصة ان العلم يتقدم فى جميع الميادين . والعلماء يتوقعون أن يكون تطوره فى بضعة العقود المقبلة عظيما جداً

مستقبل الطيران

خلاصة مقالة للأميرال بيرد

الرحالة الاميركى المشهور

لما طار بليريو الفرنسى فى سنة ١٩٠٩ فوق خليج المانش صار الخبيرون بشؤون الطيران يتوقعون اجتياز الاتلانتيك بواسطة السفن الجوية ، والاتلانتيك أعرض من خليج المانش بخمسة وستين ضعفاً .

ولم ينقض على طيران بليريو سوى عشرة اعوام حتى تمكن الكوماندور ريد الاميركى واثنان آخران من الاميركيين من اجتياز الاتلانتيك بقارب طيار . ثم جاء بعدهم لندبرج الطيار الاميركى فاجتاز الاتلانتيك بطيارة بمفرده

وقد احتفل فى شهر ديسمبر الماضى بعيد ميلاد الطيران الثامن والعشرين . وقد كان مدى تقدم هذا الفن فى خلال الثلث الاول من هذا القرن عظيما جداً ، مع ان الطيران لم يكن منذ خمسين عاماً سوى حلم خيالى

ولكن الانسان أغار على مملكة الجو فافتتحها عنوة ، وما لبث أن اجتاز الباسفيك والاتلانتيك على متن الهواء ، ثم اتجه شمالا حتى بلغ القطب الشمالى ، وكان بعد ذلك أن امتلأ الجو بأزيز الطيارات فى كل مكان

ولقد شهد العالم أعمال الطيارين الباهرة وكل منهم يحاول أن يبز من تقدمه ويحرز قصب السبق عليه . ولذلك ترى صانعى العدد والآلات الجوية والمهندسين يتسابقون فى سبيل إتقان الطيارة حتى يستطيع المرء أن يطير كيفما يشاء . وكان من آثار تلك المنافسة أن استطاع المرء التحليق فى الجو الى ارتفاع عشرة أميال ، كما استطاع أيضاً أن يطير مسافات شاسعة ويجتاز اكثر من سدس محيط الكرة الارضية فى رحلة واحدة من دون أن ينزل على الارض . ويقول المهندسون ان الانسان سيستطيع الطيران فى المستقبل بسرعة هائلة لا تقل عما متوسطه خمسة أميال فى الدقيقة !

وفى الواقع انه ما من وسيلة من وسائل الانتقال تطورت فى خلال السنوات الاخيرة كالطيارات على اختلاف أنواعها ، ولا شك ان هذا التطور سيسير فى المستقبل بسرعة عظيمة . فوراء الطيارين جمهور عظيم من الصناع والمهندسين والعمال يصلون آناء الليل بأطراف النهار ويحاولون ترقية الطيران واتقانه وتأمينه وتوسيع نطاقه

ولسنا نبالغ اذا قلنا إن الاموال التى تنفق الآن على الطيران لا تقل عن عشرين مليون جنيه فى العام . وكيفما أدرت الطرف تجد « أسهم » شركات الطيران فى ارتفاع . وبعد ان كان الناس يخشون السفر بطريق الجو أصبح مئات الالوف يركبون متن الريح كل عام . وقد بلغ مجموع ثقل البريد الجوى فى السنة الماضية فقط مليوناً ونصف مليون من الارطال

وأنت ترى الخطوط الجوية تفتح فى انحاء العالم المختلفة كل يوم ، فقد اصبح الطيران مأمون العواقب وصار الناس يدركون لذته ومزاياه . وبلغ من اقبال الناس عليه أن شركات الطيران أصبحت مضطرة الى قبول طالبى السفر بالدور !

فترى اذن أن الطيارة قد اصبحت أهم آلات القرن العشرين ، وان الطيران قد اصبح من اسس الحضارة الحاضرة . ولم تقتصر الرحلات الجوية على أغراض النزهة فقط بل تعدتها الى الاغراض التجارية ايضاً ، اذ ادرك التجار ما فى نقل السلع والبضائع بالطيارات من مزايا عظيمة ، لاسيما بعد أن أصبحت السرعة عاملا من عوامل النجاح

وليس من السهل ان نتكهن بماذا سيكون مستقبل الطيران ، وانما نقول ان هذا الاختراع قد يكون

فى آن واحد عاملا من عوامل الحرب كما قد يكون ايضا عاملا من عوامل السلام . فبعض الناس يرون أن الطيارة ستزيد حروب المستقبل فظاعة وشرورا . وبعضهم يرون انها ستعمل على ازالة الحواجز الجغرافية بين الدول فيزيد ذلك فى اتصال الناس وتقربهم بعضهم من بعض

ويعنى العلماء والمهندسون فى الوقت الحاضر بتأمين الطيران وابعاد جميع عوامل الخطر عنه . وجميع القرائن تدل على أن جهودهم سوف تكلل بالنجاح . بل لقد اصبحت الطيارة الآن وسيلة مأمونة من وسائل الانتقال ، وان يكن ثمة مجال واسع للتحسين ، فان الطيران لم يبلغ بعد حد الاتقان

ولا يزال المهندسون يسعون ايضاً لتكبير حجم الطيارات حتى تستطيع أن تنقل اكبر عدد ممكن من الركاب . كما انهم يسعون ايضا لصنع طيارات تستطيع الارتفاع والهبوط عمودياً فى الجو من دون أن تضطر الى الدوران طويلا

والمعروف ان الالمان وغيرهم يسعون لصنع طيارة من نوع القذيفة والزمن وحده كفيل باظهار مزايا هذه الطيارة اذا وفق العلم الى استنباطها . وعلى كل فان التقدم لابد أن يجىء بالتدريج إذ لاخير فى الطفرة أو فى السرعة . وفى الواقع ان معظم نكبات الطيران ـ ان لم نقل كلها ـ هى وليدة السرعة وعدم أخذ الاهبة الكافية

وهنالك طائفة من الاختراعات يجرى العمل الآن لتحسينها بقصد ترقية الطيران وتأمينه . ومن تلك الاختراعات أجهزة الرصد الجوى والمخاطبات اللاسلكية والمنارات التى تهتدى بها الطيارات فى الظلام وما الى ذلك من الاختراعات التى اذا بلغت حد الاتقان بلغ الطيران بفضلها حد الكمال

ولا ننسى المناطيد الضخمة الهائلة التى يعتقد البعض انها ستحل مشكلة الطيران فى المستقبل . وبعض الدول تعنى بهذه الطائفة من السفن الجوية عناية خاصة نظراً الى ما يرجى منها من القيام بالرحلات الجوية البعيدة مع نقل اكبر عدد ممكن من الركاب

وعلى كل فان تطور الحوادث سيتحكم بسفينة الجو فى المستقبل وستنشأ هذه السفينة نشوءاً تدريجياً الى ان تبلغ حداً من الاتقان يصح الوقوف عنده

القسم الثالث

مختارات من مجلدات الهلال في اربعين سنة

معيشة غلادستون في بيته

عثرنا فى بعض جرائد انكلترا على مقالة فى هذا المعنى فآثرنا تلخيصها تفكهة لحضرات القراء وقدوة لمن أراد . قال الراوى :

« ان معيشة هذا الرجل فى بيته مثال البساطة والترتيب ، وأساس أعماله كلها المحافظة على الوقت ، فهو يعتبر الوقت أثمن كل شىء فلا تمر دقيقة بغير ان يعمل بها عملا ، حتى انه اذا سار الى نزهة يترك رفاقه وينزوى الى مكان منفرد يطالع أو يفكر ولا ينتبه إلا اذا نبهه أحد . والمبدأ الاساسى عنده قوله : « لا تمكث بغير عمل قط »

« يذهب الى فراشه نحو نصف الليل ولا يستيقظ إلا اذا أيقظوه لأنه يميل الى الراحة ، ولكنه على كل حال لا تأتى الساعة الثامنة حتى يكون خارجاً من منزله قاصداً الكنيسة على مسافة ثلاثة أرباع الميل من بيته لاستماع الصلاة ، ولا يحول دون مسيره هذا فى كل صباح شىء فلا يبالى بالأمطار أو الثلوج أو العواصف التى تتوالى كثيراً فى تلك البلاد

« فاذا عاد من الصلاة تناول طعام الصباح ثم جلس لقراءة ما يرد اليه من المراسلات وهى لا تصل اليه كلها وانما ينتخبون المراسلات المهمة وهى لا تبلغ عشر ما يرد باسمه منها لأن ما يرد باسمه كل يوم من الجرائد والكتب يحتاج الى ساعات فى فضه فما بالك بقراءته ؟ فيضعون الكتب والجرائد الواردة اليه فى الخزائن أو الصناديق الى أن يطلبها . وأما ما يصل من المراسلات المهمة فلا يجيب على اكثر من نصفها ويهمل النصف الباقى

« ويتناول الغداء فى الساعة الثانية بعد الظهر . وكان فى مدة اعتزاله الوزارة يقضى ما بعد الظهر فى ترتيب كتب مكتبته وفيها نحو عشرين الف مجلد ، فيضع كل كتاب فى مكانه ويعتنى بذلك اعتناء تاماً لأنه يعتبر الكتب شيئاً مقدساً أو هى بمنزلة الاحياء عنده فزيادة عددها تقوم لديه مقام زيادة تعداد الأهالى . واذا رأى أحداً يمتهن كتاباً أو يسىء استعماله فانه يشق عليه ذلك وقد يهيج غضبه . ويخرج قبل الغروب فى عربته للنزهة ثم يعود للعشاء ، ويقضى وقت السهر من الليل فى غرفة مدفأة يقرأ فيه الى ميعاد الرقاد

« أما يوم الأحد فهو يوم مقدس عنده لا يعمل فيه عملا قط ، فاذا دخلت منزله فى ذلك اليوم رأيت السكينة والهدوء والراحة مستولية عليه ، ولا ترى من الكتب إلا ما هو مخصص بذلك اليوم ، وقد قال محدثاً عن نفسه : « لولا محافظتى على الراحة فى يوم الأحد ما وصلت الى ما وصلت اليه »

« وهو يحافظ محافظة تامة على مواعيد الصلاة كما قدمنا ولا سيما فى أيام الاحد

« أما طريقته فى مطالعة الكتب فقد لا تنطبق على سائر اخلاقه لأنه بطىء فى مطالعتها جداً ولكنه لا يحتاج الى كبير إمعان حتى يحكم فى صلاحية ذلك الكتاب للمطالعة أو عدمها . ومن كتب الفكاهة التى يطالعها مؤلفات سكوت فهو لديه فى المقام الاول بين مؤلفى الروايات (عن المجلد الاول)

البريطانيون الاصليون الى الفتح الرومانى

إن أحوال الامم قبل الحضارة كلها مجهولات ولا شيء أصعب على المؤرخ من معرفة حقيقتها . إلا أن كتابات قيصر وسترابو وغيرهما من الكتبة الرومانيين قد رفعت عن انكلترا القديمة بعض الحجاب

أما أصل الشعب الانكليزى فيقال انه متصـــل بجومر بن يافث وان جومر قد جاء تلك الجزيرة عند تبلبل الالسنة وأقام فيها وجاء الشعب البريطانى من نسله

هذا مايدعيه بعضهم أما المعول عليه عند علماء التاريخ فهو أن سائر أمم أوربا من نسـل يافث كما أن أهل آسيا من نسل سام وأهل أفريقيا من نسل حام . أما نوع حكومتهم فيغلب على الظن أنه كان على مثال حكومات سائر الامم فى أول نشأتها أى مؤلفة من أحزاب يرأس كلا منهـا شـيخ أو كبير عائلة مستقل بأحكامه عن غيره ثم تحولت من هذه الحالة الى الملكية أو ما يشبهها

أما الاراضى فكان معظمها مكسواً بآجام ومستنقعات ، أما عدد السكان فلم يمكن معرفته بالتدقيق ولكن يقال انه كان ثمانمائة الف وقال آخرون نصف ذلك

ويظهر من حكاية الفتح الرومانى أن الملك كان فيها وراثياً وكانت قيادة الجيوش منوطة بالملك وعليه أن يتقدمها فى مواقع القتال

وقد كان فى انكلترا كما كان فى غيرها إذ ذاك نوع من الكهنة يقـال لهم درويد كانت فى يدهم أزمة الاحكام ومقاليد السياسة فلا يصدر حكم إلا بمصادقتهم أو بايعازهم ولم يكن الملك إلا آلة فى أيديهم . وسبب ذلك أنهم كانوا من فئة العلماء فى تلك الاعصر وقد حصروا العـــلم فى جمعيتهم وكانت تعاليمهم سرية ووضعوا جميع العلوم فى قالب شعرى ولم يكن ذلك خاصاً بالبريطانيين لان اليونانيين والجرمانيين القدماء كانوا يفعلون ذلك

أما الشرائع فلم تكن مكتوبة ولكنها كانت مكنونة فى صدور هؤلاء الكهنة يدعون بها الوحى والتوسط بين الآلهة والناس

أما ديانة البريطانيين إذ ذاك فكانت فى أيدى أولئك الكهنة أيضاً وتنسب اليهم فتدعى الدرويدية وهى (كغيرها من الاديان المعاصرة أو السابقة فى الهند والصين والفرس ومصر وغيرها) على نوعين نوع محصور فى صدور الكهنة وهو الحقيقى ، ونوع متداول بين العامة وهو الظاهرى . اما الدين الحقيقى عندهم فهو الدين الحقيقى عند كهنة الهند وسحرة الفرس وكونفوشيو الصين وكهنة المصريين وغيرهم . وأساسه الاعتقاد باله واحد قادر على كل شيء وبخلود النفس والحشر ، إلا أن هذه التعاليم لم تكن تتجاوز الكهنة ولم يكونوا يعلمونها إلا لاشخاص ينتخبونهم من الشعب بعد التحرى الدقيق ليتحققوا استحقاقهم تلك النعمة

اما الشعب فكانوا غارقين فى ابحر الجهالة لكنهم لم ينحتوا تمثالا وانما كانت آلهتهم متعددة وفى جملتها الاجرام السماوية حتى الانهر والاشجار والجبال ، وبعد حين ألهوا بعض الذين اشتهروا بالفضل بينهم

وقد اقاموا لهذه العبادات هياكل غريبة الشكل يعجب منها الناظر وما يزال بعض هذه الابنية باقياً الى هذه الغاية فى البرارى وبعض الاماكن المهجورة ، فمن ذلك هيكل واقع بالغرب من ولتن فى سهل يقال له سهل سالسبورى ويدعى هيكل ستونهنج ، وهو مؤلف من حجارة ضخمة مستطيلة قائمة على اطرافها عمودية ومرتبة على شكل مستدير فى داخله شكل آخر قائم على مثاله ، وعلى رءوس هذه الاحجار احجار اخرى موضوعة وضعاً عرضياً لتقوم مقام السقف وما تزال هذه الآثار موضوع بحوث علماء الانكليز وغيرهم الى هذه الايام

وكان الكهنة البريطانيون على ثلاث رتب يرأسها الكاهن الاعظم ينتخب من الكهنة العظام بأكثرية الاصوات . اما الرتب فهى :

(١) « البردية » وهم شعراؤهم وناظمو التراتيل والقصائد للآلهة والابطال ولغايات أخرى

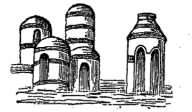
(٢) « الواتية » وهم الذين يرتلون ويضربون الموسيقى فى الاحتفالات الدينية

(٣) « الدرويدية » وهم كهنة الغابات المقدسة الذين يذبحون الذبائح للآلهة ويضعون الشرائع وسائر سنن الدولة ، وهم بالحقيقة القابضون على أزمة البلاد وكانوا يسكنون جزيرة « مونا »

ومن أمثال استبدادهم فى الشعب أنهم كانوا إذا غضبت آلهتهم على زعمهم يقدمون لها ذبائح أو محرقات من الشعب حتى انهم كانوا أحياناً ينتخبون عشرات أو مئات من أجمل الناس يجعلونهم فى مكان يضرمون فيه النار تسكيناً لغضب الآلهة

وما زالت سلطة هؤلاء الكهنة فى البريطانيين على ما تقدم حتى الفتح الرومانى فرأى الرومانيون أن سلطتهم لاتتأيد إلا بابادتهم فعملوا على الكيد بهم وفى سنة ١٦ م هاجموهم فى جزيرة مونا وأبادوهم عن آخرهم

أما ملابس البريطانيين القدماء ففى غاية البساطة مقتصرة على رداء قصير من منسوجاتهم الخشنة أو بغير رداء ، وكانوا ينقشون أجسادهم برسوم مختلفة بينها خيالات وهمية كالشياطين والتنانين أو نحوها أو رسوم الاجرام السماوية ، وكانوا يرسمون كل ذلك بمادة زرقاء يستخرجونها من نبات يعرف عندهم باسم « وود » وكانوا يجعلون فى أصابعهم خواتم وفى أعناقهم قلائد من الفضة والذهب ويتقلدون الاسلحة المختصة بالامم البدوية كالقوس والنشاب والرمح ، واذا نظرت الى رسم يمثل لحالة البريطانيين القدماء وعاداتهم من اللباس لرأيت على أجسادهم الاشكال المختلفة من النقوش التى كانوا ينقشونها بالمادة الزرقاء مثلما يفعل سائر الامم المتوحشة الآن كما ترى فى الشكل فانه رسم رجل بريطانى أثناء الفتح الرومانى . أما منازلهم فكانت اشبه شىء بالأكواخ التى يبنيها بعض فقراء الارياف . وهاك رسم منازل بعض البريطانيين كما هى تماماً



(عن المجلد الثاني)

تاريخ مدينة القاهرة

القاهرة عاصمة القطر المصرى ومقر الجناب العالى الخديوى ومركز حكومته . مركزها الجغرافى عند رأس الدلتا فاصلة بين الوجهين البحرى والقبلى . وقد تداولت عاصمة الديار المصرية من قديم أزمانها الى الآن فى أماكن مختلفة . فكانت فى أيام الفراعنة بمدينة منفيس أو منف (سقارة) وهى أول عاصمة بناها ملوك الفراعنة منذ آلاف من السنين ، ثم انتقلت منها الى طيبة (لقصر) واصوان وغيرهما من مدن الوجه القبلى والبحرى ، حتى جاء اسكندر الاعظم سنة ٣٣٢ ق م واختط مدينة الاسكندرية وجعلها عاصمة القطر المصرى دون سواها ، وقد دعيت باسمه . وما زالت الاسكندرية مقر الحكومة المركزية إلى الفتح الاسلامى فبنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط فى سفح المقطم وجعلها مركز الامارة ، حتى اذا انقضت الدولة الاموية سنة ١٣٣ ﻫ وقدم عسكر بنى العباس مصر نزلوا ظاهر الفسطاط من جهة الشمال وبنوا بعد ذلك ماعرف بالعسكر

وفى مكان الفسطاط الآن آكام من الاتربة أو هى أطلال بالية على أثر خراب عمارات الفسطاط وحريقها المرات المتعددة واقعة بين مصر القاهرة وقناطر السباع . أما العسكر فقد خرب أيضاً ومكانه شمالى الفسطاط فى جنوبى مايعرف اليوم ببركة البغالة بجوار جامع زين العابدين

وما زال العسكر مقر الامراء حتى بنى ابن طولون القصور التى دعاها بالقطائع سنة ٢٥٤ ﻫ وقد بليت وكانت على الارتفاع الذى يعرف بجبل يشكر فيما يعرف الآن بجهات الصليبة بجوار جامع ابن طولون . وما زالت القطائع منازل الامراء والحكام الى الفتح الفاطمى وبناء القاهرة

وقد بنى العسكر والقطائع والقاهرة منازل للامراء والحكام وليس للعامة لان الفسطاط بقيت مجتمع الاهلين ومزدحم التجار والصناع الى مابعد بناء القاهرة بازمان وانما كان الامراء يبنون لهم قصوراً خارج الفسطاط يدعونها بأسماء مختلفة كما تقدم تنزهاً عن الازدحام ، وهكذا فعل الفاطميون فان القائد جوهراً لما قدم هذه الديار وافتتح الفسطاط باسم الخليفة المعز لدين الله الفاطمى بنى القاهرة خارج الفسطاط لتكون منزلا للخليفة ورجال دولته

والفاطميون دولة مغربية نشأت فى بلاد الغرب وعاصمتها القيروان . وفى زمن الخليفة المعز لدين الله كان من قوادها قائد اسود اللون يقال له جوهر الكاتب ، وكان مقرباً من الخليفة مقداماً فى الحروب افتتح له مدناً كثيرة فبعثه لافتتاح مصر ، وكانت تحت رعاية الدولة العباسية ، فافتتحها فى ١٢ شعبان سنة ٣٥٨ ﻫ ودخل الفسطاط باحتفال عظيم وخطب للفاطميين ، وفى السنة التالية شرع فى بناء مكان لاقامة مولاه الخليفة عند قدومه فرأى أن يجعل ذلك فى المكان الذىأناخ فيه جماله يوم قدومه لافتتاح الفسطاط تبركا بتلك الساعة فامر بحفر الاساس ثم بنى القصرين الشهيرين بالكبير والصغير أو الشرقى والغربى وآثارهما الآن فى المكان المعروف ببيت القاضى أو المحكمة الشرعية بجوار النحاسين وكانت القاهرة عند ما بناها القائد جوهر أصغر كثيراً مما هى عليه الآن تكاد تنحصر فيما هو جهات الجمالية

والجامع الازهر والجزاوى أو أقل من ذلك . وبنى القائد جوهر ايضاً الجامع الازهر الذى ما يزال باقياً الى هذه الغاية

أما سبب تسمية المدينة بالقاهرة فان ذلك القائد لما أراد بناءها احتفر الاساس وامر البنائين أن يكونوا متأهبين لوضع الحجارة عند أول إشارة يبديها لهم وجعل حول الاساس حبلا علق فيه اجراساً حتى اذا اراد ان يبدأ بالبناء يهز الحبل فتدق الاجراس فيشرعون فى البناء . وجلس ليلته يرصد الكواكب ليرى طالعاً سعيداً يبنى المدينة فيه ، وفيما هو كذلك والبناؤون حول السور فى انتظار دق الاجراس إذ وقف على الحبل غراب ثم طار فاهتز الحبل فدقت الاجراس فرمى البناؤون الاحجار فشق ذلك على جوهر إلا أنه نظر الى القبة الزرقاء فاذا بالنجم الذى كان متسلطا يدعى القاهر باصطلاحهم فقال اتموا البناء على خيرة الله ودعاها القاهرة وتم بناؤها سنة ٣٦٢ ﻫ وفيها القصران المتقدم ذكرهما . وفى تلك السنة قدم الخليفة المعز لدين الله من القيروان بحاشيته ورجاله ومعه من الاموال والاحمال مالا يحصيه عد ولا حساب فنزل القصرين وجاء بجثث اجداده فدفنها بجوار القصرين فيما هو الآن خان الخليل

وبلغت القاهرة فى ايام الدولة الفاطمية منزلة من البذخ والعمارة جديرة بالاعتبار وكان الجامع الازهر فيها مركزاً للعلم ومرجعاً لطلبته لتلقى العلوم على انواعها وفيها علوم اللغة والفقه والمنطق والطب والفلك والرياضيات والتاريخ والحديث . وكانت تتقاطر اليه الطلبة من سائر بلاد المشرق وابعدها كالشام والعراق والحجاز والهند ومن بلاد المغرب ايضاً ، ومعدل عدد الطلبة فيه ١٢ الفاً يأكل فقراؤهم ويشربون ويكتسون على نفقة مدرسة الجامع

وما زالت القاهرة مقاماً للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ومعقلا يتحصن فيه ويلتجأ اليه حتى تقهقرت الدولة الفاطمية فتقهقرت المدينة وانحط شأنها وصارت تسكنها الاعيان من الناس حتى انقرضت الدولة الفاطمية وتولى الديار المصرية البطل الشهير والشهم المفضال السلطان صلاح الدين الايوبى وصارت بعده للدولة الايوبية فجعلها مبتذلة يسكنها العامة وغيرهم كما كانت الفسطاط فكثرت عمارتها ولكن قلت قيمتها ، وجعل القصرين منزلا ينزل فيهما الأمراء الذين يقدمون الديار المصرية لمهمة أو ضيافة . أما هو فبنى فى سفح المقطم حصناً منيعاً دعاه قلعة الجبل وهى قلعة القاهرة الباقية الى الآن فى سفح المقطم وفيها جامع محمد على باشا ، وجعل القلعة مقاماً له . وهكذا فعل من جاء بعده من السلاطين . وكان بعض اسوار القاهرة قد تهدم فاعاد السلطان بناءها وزاد فيها حتى اتسعت المدينة لتكاثر السكان فيها . وفى الجيل السابع للهجرة لما اغار جنكزخان التترى على العراق ونكل فى أهله قدم منهم اقوام وسكنوا القاهرة وعمروا حافتى الخليج وحول بركة الفيل وعمرت جهات الحسينية . ومازالت العمارات تزداد وتتسع فى القاهرة حتى استبد الامراء المماليك فى الديار المصرية فمال الناس الى المهاجرة فراراً من الظلم فانحطت العمارات واختلت الاحوال حتى كادت تذهب الى البوار لو لم يتح الله لهذه البلاد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا مؤسس العائلة الخديوية ايدها الله . فانه قد أحيا هذه المدينة بل أحيا سائر القطر المصرى وعمره وجعله جنة يانعة حتى تقاطر اليه التجار والصناع من سائر الاقطار فسكنوه وعمروه واتسعت القاهرة واستحدث فيها الاحياء والشوارع وما زال الولاة الخديويون

يزيدون فى عمارتها وتوسعتها وخصوصاً الخديوى الأسبق اسماعيل باشا حتى بلغت ماهى عليه الآن .
وقد حدث فيها عدة شوارع وأحياء كأحياء العباسية وشبرا والاسماعيلية والأزبكية والتوفيقية وغيرها
وبنيت المدارس والقصور وسائر حاجات المدنية مما لاحاجة بنا الى ذكره (عن المجلد الثاني)

لغات العالم

تقسم لغات العالم إلى قسمين عظيمين (مرتقية) و (غير مرتقية) وهذه الأخيرة تشمل أدنى اللغات وفيها اللغات الزنجية وهي التي يتفاهم بها سكان جنوبي أفريقيا . والامريكانية وهي لغة هنود أمريكا واللغات الصينية وغيرها من اللغات المؤلفة من مقطع واحد ولا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف

أما المرتقية فتقسم الى ثلاث طوائف كبيرة وهى السامية والآرية والطورانية

اما الطورانية فتشتمل على اللغات المنغولية والتنقاسية والاغروانية وتسمى أيضاً لغات غير متصرفة أى أن الفاظها غير قابلة التصريف وانما يحصل الاشتقاق فيها باضافة زوائد على أصل مادة الفعل وأرقى لغات هذه الطائفة اللغة التركية

أما الطائفة الآرية فتشتمل على لغات اوربا والهند وفارس وكردستان ، وتسمى أيضاً اللغات اليافثية لأن أغلب المتكلمين بها من نسل يافث ، وهي تقسم الى قسمين عظيمين : جنوبية وشمالية فالجنوبية لغات جنوبي آسيا . وهى السنسكريتية وفروعها الهندية والفارسية والافغانية والكردية والبخارية والارمنية والاوستية . والشمالية تشتمل على لغات اوربا وتقسم الى خمسة أقسام (١) الكلتية وفيها لغات جزائر بريطانيا إلا انكلترا (٢) الأيطالية وفيها اللاتينية وفروعها وهى لغات فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال (٣) الهيلينية أو اليونانية ومنها اليونانى القديم والحديث (٤) الوندية ومنها لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا (٥) التيوتونية ومنها لغات انكلترا وجرمانيا وهولندا والدانمارك وايسلاندا

ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية كونها مؤلفة من اصول قابلة التصريف ادراجاً وان الاشتقاق يقوم فيها باضافة أدوات معظمها ذات معنى فى نفسها . وهذه الادوات يلحق معظمها فى آخر الاصل وبعضها فى أوله . مثال ذلك فى الانكليزية « thank » شكر منها « thankful » متشكر أوشكور أو كثير الشكر ثم « unthankful » غير متشكر أو غير شاكر ثم « unthankfulness » عدم تشكر أو عدم شكر ومثلها « capable » كاف أو قادر و « incapable » غير كاف أو غير قادر و «incapability» عدم كفاءة وهكذا فى سائر التصاريف وعليه تجرى سائر اللغات الآرية

أما الطائفة السامية فسميت كذلك نسبة الى سام بن نوح واشارة الى كون القسم الاعظم من المتكلمين بها هم من نسله وتتضمن ماهو معروف باللغات الشرقية ، وهى بوجود اللغة العربية بينها تعد من أرقى اللغات بياناً وأوسعها نطاقاً وأغناها الفاظاً وأدقها تعبيراً وتمتاز بكونها الحافظة لاقدم التواريخ

أعنى التوراة مكتوبة بالعبرانية . ومن المعلوم أن التمدن نشأ أولا بين المتكلمين بها كالبابليين والاشوريين والفينيقيين وغيرهم وهى تقسم الى ثلاثة أقسام :

﴿ الاول ﴾ اللغة الآرامية وفرعاها السريانية والكلدانية . فالآرامية هى لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشا على بقايا بابل وآشور بالاحرف الاسفينية والانبارية . والكلدانية هى هذه بعد ان لعبت بها أيدى الزمن فغيرت بعض الفاظها ، وقد كتب بها بعض أسفار العهد القديم كسفر دانيال وغيره ، وقد دعيت هناك بالآرامية تساهلا على ما ارى لان بينها وبين الآرامية الاصلية فرقاً واضحاً لفظا ومعنى . ولغة اشور ابعد عن هذه من لغة بابل . اما ما يدعى بين السريانيين فى هذه الايام باللغة الكلدانية ليس إلا السريانية نفسها مع بعض التغيير فى الحركات ، والسريانية هى الكلدانية المشار اليها مع تغيير فى الفاظها ودلالتها تبعاً لما اقتضته الاحوال ، فكأن اللغة البابلية القديمة دعيت فى اول امرها آرامية ثم تغيرت قليلا فدعيت كلدانية ثم وقع فيها تغيير آخر فدعيت سريانية وحصل فى هذه بعض التنوع فى حركاتها فحسبت لغتين سريانية غربية وسريانية شرقية

وقد حفظت اللغة الآرامية الاصلية بعض التواريخ المعتبرة منقوشة على بقايا بابل وآشور . والسريانية حفظت الكتاب المقدس الذى ترجم اليها فى الجيل الثانى بعد المسيح الترجمة المعروفة بالترجمة « البسيطة »

﴿ الثانى ﴾ العبرانية . قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الاشارة وبكون الناطقين بها هم اوضح الامم منشأ واللغة التى يتكلم بها الاسرائيليون اليوم ليست العبرانية صرفاً بل قد خالطها بعض الالفاظ الآرامية او الكلدانية اثناء استئسارهم عند البابليين . ومحور جميع ما الف فى هذه اللغة إنما هو العهد القديم . ويتفرع عنها الفينيقية والقرطجنية وكلتاهما مائتتان

﴿ الثالث ﴾ العربية . وهى اسمى اللغات السامية ومعرفتها ضرورية لاتقان اخواتها . وقد كانت محصورة فى شبه جزيرة العرب حتى الاسلام ومن ثم أخذت فى الانتشار الى ان ملأت الخافقين بسبب الافتتاح الاسلامى المشهور فكانت يوماً ممتدة من الشرق الى الغرب بين اواسط الهند وبوغاز جبل طارق ، ومن الشمال الى الجنوب بين البحر الاسود وبحر العرب . وبالجملة يقال انها عمت جميع العالم المتمدن فى ذلك الحين . والحروف العربية المستعملة عند الاعاجم منهم هى من جملة الآثار الدامغة . ويتفرع من العربية لغة بلاد الحبشة الحالية وفروع أخرى تعد مائتة . ولا يخفى ان لغتنا لولا القرآن العزيز لتعددت فروعها قياساً على سواها

واوضح صفات اللغات السامية كونها مؤلفة من اصول ثلاثية الأحرف ثابتة فى الاشتقاق اى انه لا يفعل على احرفها بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التى يتوقف عليها نوع الدلالة ، مثاله فى العربية « قتل » وهو أصل يتضمن معنى القتل فبتغيير الحركات فيه يحصل مشتقات عدة افعال أو أسماء أو نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير فمنه « قتل » فعل ماض معلوم و « قتل » فعل ماض مجهول و « قتل » مصدر و « قتل » بمعنى العدو والمقاتل و « قتل » جمع قتول وكذلك « قتل » وقد تمد احدى هذه الحركات فيقال « قاتل » و « قاتل » و « قتيل » و « قتول » و « قتال » و « قتال » و « قتلى » الخ .

أما قابليتها للاشتقاق عن طريق الالحاق فتشارك الطائفة الآرية فيها لكنها تمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وبانها لا تقبل الأدوات الملحقة اذا كانت ذات معنى فى نفسها

اما افصح اللغات وأوسعها مجالا وادقها تعبيرا فهى اللغة العربية وتقاربها اللغة اليونانية واللاتينية ثم اللغة الجرمانية ، ولكن العربية الآن تحتاج الى اعادة نظر ووضع أوضاع للمسميات الحديثة كالاختراعات والاكتشافات وغيرها ولولا ذلك لما ترددنا لحظة فى الحكم بانها ادق لغات العالم تعبيرا وأوسعها مجالا ، ولكن اللغة الفرنسية بعد تنقيح الأكاديمية لها اصبحت ادق تعبيرا من سائر اللغات ولا سيما فى الامور السياسية والمخابرات الدولية ولذلك اتخذتها الدول الآن لغتها الرسمية التى تتخابر بها رسمياً (عن المجلد الثانى)

ما هو الادب ؟

(رد على سؤال)

الأدب لغة الظرف وحسن التناول وما يحترز به من جميع أنواع الخطأ. وقال ابو زيد الأنصارى : « الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان فى فضيلة من الفضائل » جمعها آداب . وتقع الآداب على العلوم والمعارف أو المستظرف منها ، وهذا المعنى حدث فيها بعد الاسلام بحدوث أنواع العلوم ، وهو راجع فى المعنى الى اصله لانهم دعوا العلوم « آداباً » لانها مما « يتحرز به من الخطأ » ثم قسموا الآداب الى أقسام ، منها أدب القاضى وهو التزامه لما ندب اليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل . وأدب الشاعر صناعة يستفيد منها النظم . وآداب البحث صناعة نظرية يستفيد منها الانسان كيفية المناظرة وشرائطها . وعلم الادب علم العربية وهو علم يحترز به من الخلل فى كلام العرب لفظاً وكتابة

أما تسميتهم قرض الشعر أدباً وهو يحتوى على المجون والهجاء فليس فيها مخالفة لتعريفهم كما رأيت ولكنها تخالف ما نفهمه نحن من معنى الأدب وهو التأدب فى المخاطبة والمجانسة بتجنب البذاء والجلوس بهيئة تدل على الاحترام ، وهو من المعانى التى تولدت حديثاً فالمجون والهجاء بهذا الاعتبار لا يصح نعتهما بالأدب ، وأما لدى العلماء فى صدر الاسلام فليس كذلك لان الادب عندهم الظرف وحسن التناول كما قدمنا وليس فى الهجاء والمجون ما يخالف ذلك

وعلى فرض أن الأدب عندهم كان يدل على تجنب البذاء ايضاً استنتاجاً من قول الانصارى فذلك لا يمنع إطلاقه على صناعة الشعر وهى أولى من سواها بهذا الاسم لما هو جدير بأصحابها من الظرف والتأدب فى الخطاب وتجنب البذاء لانهم كانوا جلساء الملوك ، وزد على ذلك ان صناعة الشعر كل والهجاء والمجون جزء منها وما ينطبق على الكل قد لا ينطبق على كل جزء منه ولكن لا يعترض على تسمية الكل به (عن المجلد الثانى)

العمل وطول العمر

من أهم ما يبحث عنه العلماء والحكماء الاسباب المؤدية الى طول الحياة بل هى أهم بحوثهم وقد خاض هذا العباب الفلاسفة والاطباء من قديم الزمان وارتأوا لذلك آراء متنوعة متضاربة . وقد اهتمت بعض الجرائد الطبية فى أميركا مؤخراً بالنظر فى ذلك فتوصلت الى نتائج ذكرتها وأشارت باتخاذها .
ومن الغريب انها أسهل الطرق وأقلها نفقة ويجمعها قولك « العمل » قال السير اندرو كلارك وهو من نخبة علماء الانكليز : « العمل قوام الحياة وخصوصاً لنحفاء الاجسام حتى المرضى فان العمل أحسن لهم من البطالة على شرط أن يكون على قدر الطاقة وفى دائرة الامكان » . قال ان « العمل » قوام الحياة ولم يقل « التعب أو المشقة » فان تحميل الاعضاء عملا فوق طاقتها موجب لانحطاطها وتشويش وظائفها ، وقد يتخذ بعضهم المقويات أو المنبهات لتساعده على زيادة العمل فلا يشعر بالتعب ، ولكن ذلك ليس طبيعياً ولا يحسب من قبيل العمل المعتدل . فالعمل الذى قلنا انه قوام الحياة انما هو ما يقوم به العضو فى حالته الطبيعية بغير تنبيه ولا استحثاث مع الاعتدال فى كل شىء من حاجات العيش وملاذ الحياة جسدياً وعقلياً

(عن المجلد الثالث)

طعام الامم القديمة

كان المصريون يأكلون السمك نيئاً مجففاً بالشمس أو منقوعاً فى الماء الملح ويتعاطون كثيراً من اللحوم نيئة كالسلوى والبط وبعض انواع الطيور بعد تمليحها وبعضهم كانوا يأكلون السمك مجففاً بحرارة الشمس فقط

وكانوا يتناولون طعامهم على انغام الموسيقى ويجعلون على موائدهم تماثيل صغيرة تمثل أجساماً محنطة كأنهم يريدون بذلك كبح جماح الشهوات بتذكير أصحاب المائدة ان نعيم الدنيا زائل . وقد يطوفون بتمثال جثة محنطة حول المنزل يغنون الأغانى ويقولون : كل واشرب وتمتع بملاذ الدنيا قبل أن يدركك الموت . وكانوا يبسطون موائدهم على الطرق ذكر ذلك هيرودوتس ، وقال انهم يحتجون عن ذلك بأن الامور المعيبة اذا كان لا بد من عملها فلتعمل سراً أما غير المعيبة فجهاراً . ومما ذكره هذا الرحالة الشهير الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد قوله وقد أراد المقابلة بين عوائد المصريين وعوائد الأمم المعاصرة لهم : « وسائر الأمم يأكلون فى محل لا تكون فيه بهائمهم ، وأما المصريون فيأكلون مع بهائمهم . وفى كل البلاد يقتات الناس بالحنطة والشعير ، وأما فى مصر فالذى يأكلها يحسب نجساً وهم يأكلون الحنطة الحمراء (الخندقوق) ويعجنون الدقيق بأرجلهم لكنهم يرفعون الوحل

والزبل بايديهم » ثم تكلم عن طعام الكهنة فقال : « ولكل منهم نصيب خاص من اللحم المطبوخ المقدس وكل يوم يوزعون عليهم كميات كثيرة من لحم البقر والاوز وكانوا يعطونهم من الخمور خمر العنب ولكن لا يسمح لهم ان يأكلوا السمك . والمصريون لا يزرعون الفول فى ارضهم واذا ورد منه شيء من الخارج لا يأكلونه لا نيئاً ولا مطبوخاً . والكهنة لا يطيقون ان يروه لأنهم يعتقدون انه بقل نجس

والبابليون ومن قطن بين النهرين كانوا كالمصريين فى الاكثار من اكل الاسماك ، ولكنهم كانوا يزيدون على المصريين انهم يجففون السمك جيداً ويدقونه بالهاون ثم ينخلونه بقماش ناعم ويصنعونه أقراصاً ويخبزونه كالخبز ويتناولونه

والفرس كانوا يأكلون قليلا من اللحم ويتناولون الاثمار كميات قليلة على دفعات متعددة وكان من أمثالهم « ان الاغريقى (اليونانى) يأكل ليسد جوعه لأنه لو قدم له ما طاب اكله بعد الطعام وقد انقطع عن الاكل لأ كله » وكانوا يكثرون من شرب الخمر

وكان اليونان فى أقدم ازمانهم يقتاتون على ثمر الارض ويشربون الماء القراح ولم يعتادوا تناول اللحوم إلا فى أوائل تمدنهم ثم أخذوا يتوسعون فى الترف والتأنق بتوسع سلطانهم وانتشار نفوذهم . على ان كثيرين من فقرائهم كانوا يقتاتون على الجنادب والفراش وأطراف أوراق الشجر . أما اغنياؤهم فكانوا منغمسين فى الترف مكثرين من تناول اللحوم

وهكذا كان الرومانيون فى أول أيامهم فانهم كانوا يقتاتون على ألبان الماشية والبقول ونوع من الحلوى يصنعونه من الدقيق والماء . فلما قامت دولتهم واتسعت سطوتهم تأنقوا فى المآكل والمشارب وأكثروا من أكل اللحوم وأنواع المطبوخات والمعجونات وبالغوا فى أيام جمهوريتهم فى الاكثار من أكل الطيور وكان بعض أغنيائهم وولاة أمورهم لا يرضون بالمائدة إلا اذا كان عليها شيء كثير من رءوس الببغاء وأدمغة بعض الطيور الصغيرة النادرة الوجود

وكان العرب فى جاهليتهم على جانب من شظف العيش لقحولة بلادهم . وقد ذكر ابن خلدون انهم كانوا يأكلون العقارب والخنافس ويفاخرون بأكل العلهز وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة ويطبخونه فى الدم . أما طعامهم الاعتيادى بالاجمال فهو اللبن والتمر وبعض أنواع الحبوب وكثيراً ما كانوا يطبخون دقيق الحنطة أو الذرة باللبن أو اللحم أو ما شاكل فيصطنعون من ذلك انواعاً من الاطعمة تعد عندهم بالعشرات . وأنواع الحلوى تصنع عادة من الدقيق والعسل أو السمن والعسل أو الحليب والسمن والعسل وما شاكل ذلك (عن المجلد الرابع)

أقدم انواع اللباس

وجد الانسان عارياً رقيق البشرة يتأثر لعوامل الحر والبرد وكان على الفطرة لا يعرف شيئاً من صناعة الحياكة ولا كان فى أول أمره يستطيع القبض على الحيوان ليسلخ جلده ويكتسى به . فالغالب انه لما شعر باحتياجه الى الكساء عمد الى ما تصل يده اليه من مواد الارض وأقرب تلك المواد التراب ، فلعله جبل شيئاً من التراب بالماء ومرح به جلده ، ولا غرابة فى ذلك فان بعض القبائل المتوحشة الآن لا تعرف من أنواع الكساء إلا الطين تمزجه ببعض المواد الملونة أو بالشحم وتكسى به جلودها ، فان سكان جزائر الانداماں يستخدمون هذا الكساء للوقاية من الحر ولسع البعوض (الناموس) وبعضهم يتفنن فى ثوبه هذا فيزينه بخطوط طولية أو عرضية يصطنعها خياطهم بجر أصابعه على الطين قبل أن يجف ، وأغرب من ذلك ان بعضهم اذا كسا وجهه طيناً صبغ نصفه باللون الاحمر والنصف الآخر باللون الاخضر وجعل بين اللونين خطاً طولياً يمتد على صدره الى أسفل بطنه . ومن آثار هذه العادة عند أسلافنا الاقدمين الوشم فانه يدل على ميل الانسان الى تغطية جسمه إما للكساء أو للزينة وبعض القبائل تتخذ الوشم وحده كساء ، وفى بعض الكهوف بأوربا حفر استدلوا على انها كانت أجراناً يدقون بها المغرة وهى ضرب من الطين يمزجونه بالمواد الملونة . وقد يقال انهم انما يريدون بذلك مجرد الزينة ولكن الحقيقة انه يغنيهم عن الكساء . والوشم منتشر الآن فى سائر أقطار الدنيا ، والناس بين مكتف منه برسم على زنده أو خط على خده أو علامة على صدره ، وبين متخذ الوشم لباساً فيرسم على جلده الخطوط والزوايا والاشكال والصور على طرق شتى

ويلى ذلك الكساء الترابى الذى تخلف الوشم عنه كساء من النبات ، وأبسط أنواع ذلك الكساء أن يقطع الرجل غصنا بأوراقه فيغطى به عورته أو يستظل به أو اذا عثر على شجرة كبيرة الاوراق كالموز أو ما شاكله اتخذ ورقة أو بضع أوراق نخاطها بعضها ببعض بحسك نباتى أو شدها بعضها الى بعض برباط من قشور الاغصان الدقيقة ولنا فى حكاية آدم مثال على ذلك

و بعض القبائل المتوحشة الآن يتخذون قشور الشجر كساء وفى البرازيل شجرة يقال لها « شجرة القميص » يتخذ منها بعض البراز يليين كساء كالقميص . وكيفية ذلك انهم يقطعون من جذع تلك الشجرة أو من بعض أغصانها الغليظة قطعة طولها أربع أقدام أو خمس يجردون قشرها قطعة واحدة على شكل اسطوانة فيبلونها ويطرقونها حتى تلين وتتسع ثم يجعلون بها ثقبين على الجانبين العلويين لادخال الذراعين بهما . فاذا كان الثوب قصيراً لا يغطى الجسم كله جعلوه كساء سفلياً فيشدونه عند الخصر كما يفعلون بالتنورة (الجونيلا)

ومما يدل على ان هذا الكساء النباتى كان مستخدماً عند اسلافنا الاقدمين ان التقاليد الدينية المدونة فى شرائع مانو بالهند وهى كتب قديمة العهد تفرض على البرهمى اذا شاخ وأحب الاعتزال لقضاء بقية حياته فى العبادة والتنسك أن يتخذ لباساً من الجلد أو قشر الشجر . وفى أقصى الشرق جزيرة يقال لها « جزيرة برونيو » واقعة بين بحر الصين وبحر جافا أهلها يتقلدون التمدن الافرنجى فيلبسون الأقمشة

الافرنجية ، أما اذا فقدوا عزيزاً فعلامة الحداد عندهم العدول عن الاقمشة المنسوجة الى قشور الاشجار

على ان بعض الأمم قد تفننت فى هذا النوع من الكساء حتى جعلته قسما من صناعتها وتجارتها فان فى بولونيسيا معامل يقال لها « معامل تابا » يعالجون فيها قشر نوع من التوت يقال له توت الورق . وكيفية ذلك ان نساءهم يطرقن القشر بنبابيت مخددة حتى يلين فيشبه بقوامه وشكله اللباد ثم يزينه ببعض الاصباغ الملونة . ومما يحكى عن هؤلاء الأقوام انهم لما رأوا الورق وكانوا لا يعرفونه قبلا ظنوه صنفاً متقناً من التابا فخاطوا منه أردية ولكنهم ما لبثوا أن عرفوا خطأهم لما أمطرت سماؤهم وابتلت ثيابهم فاذا هى تتساقط متهرئة قطعاً قطعاً . وفى بعض جهات الهند والسودان يحيكون اوراق النبات نسيجاً يتخذون منه بعض أنواع اللباس ، ولكن فى مدراس جماعات يخلعون ثيابهم فى يوم من أيام السنة معين ويستترون بالاغصان ، ولا ريب ان هذه العوائد تشف عن عادة أسلافنا الاقدمين فى الارتداء بالأغصان أو القشور

ثم ما لبث الانسان أن اخترع بعض الادوات الحادة وتغلب على الحيوان فافترسه وتناول لحمه طعاماً واتخذ جلده كساء . والارتداء بالجلود أسهل تناولا وأدفع للغوائل وأقوى على الاحتمال ، ولذلك فانه شاع كثيراً فى الأمم القديمة وخصوصاً بين الذين لم تظلهم الحضارة كأهل اثيوبيا وأواسط افريقيا فانهم كانوا يأتزرون بالجلود حتى بعد اكتشاف النسيج فان القماش المنسوج لم يكن يلبسه إلا كبارهم وبقيت الجلود لباساً للعامة



وفى الشكل المنشور هنا صورة اربعة من الزنوج مغلولى الايدى والاعناق نقلا عن الآثار المصرية القديمة فترى أحدهم مؤتزراً نسيجاً والآخرين جلوداً . والاكتساء بالجلود كثير الانتشار فى سائر أقطار العالم الآن فان أهل المكسيك مايزالون يلبسون أثواباً كلها من الجلد ، ولكن العالم المتمدن قد استبدله بالاقمشة الناعمة . على ان الناس مجمعون تقريباً على كساء أقدامهم بالجلد إذ لا يقوم القماش مقامه إلا نادراً ، على ان آثار اللباس الجلدى لا تزال ظاهرة على بعض ملابسنا وبعضها يتفاخر به الملوك كالفرو وما شاكله

(عن المجلد الرابع)

اختراع المنظار

ان خاصة التقريب والتكبير فى المنظار ترجع الى البلورة العدسية وهى زجاجة مستديرة ذات سطحين محدبين ، ولا يعرف بالتدقيق من هو أول مخترع لهذه العدسية ، ولكن المعلوم المقرر انها كانت مستعملة منذ ستة قرون لاعانة البصر على تمييز المرئيات الصغيرة . وأول من وصفها على ما نعلمه راهب انكليزى اسمه روجر با كون ولد سنة ١٢١٤ وتوفى سنة ١٢٩٤ وكان عالماً كبيراً وفيلسوفاً عظيماً ألف كتباً كثيرة وقد أشار اليها فى كتابه « المؤلف الاكبر »

أما استعمال العدسيات فى أنابيب مستطيلة لرؤية الأشباح البعيدة « التلسكوب » فيظهر انه بدأ فى أواسط القرن السادس عشر ، ويظنون ان أول من فعل ذلك رجل اسمه ليونار ريجس المتوفى سنة ١٥٧٣ ، ولكن المقرر عند جمهور العلماء ان شرف اختراع التلسكوب على مثل ما هو عليه الآن يرجع الى أهل هولندا يتنازعه اثنان منهم أحدهما حنا ليبرشيم كان يصنع النظارات فى ميدلبرج ، والثانى يعقوب ادر يانس ويسمى أيضاً ماتيوس من مدينة الكمار . وسبب هذا التنازع ان الاول عرض على حكومته فى اكتوبر سنة ١٦٠٨ ثلاث آلات لرؤية الاشباح البعيدة والتمس جائزة الحصر أو ما يشبهها . وبعد بضعة أيام قدم الثانى آلات كالآلات الاولى وطلب نفس الطلب وقال انه اصطنع مثل هذه الآلات قبل ذلك بسنتين . هذا أول اختراع التلسكوب ثم أخذ يتقدم و يتحسن بمرور الأيام

(عن المجلد الرابع)

الشاي : منافعه ومضاره

الشاى أوراق تجمع من نبات ينبت فى الصين والهند . فتجمع الاوراق فى السنة الرابعة من غرس النبات ، و يجدد الغرس غالباً كل عشر سنين أو اثنتى عشرة سنة ولهم فى قطف الورق عناية عظمى ، فالذين يقطفونه يلبسون القفاز (الكفوف) ويعتنون بتنظيف ايديهم ولباسهم عناية شديدة و يتجنبون الأطعمة ذات الرائحة القوية وكل ما يسبب البخر . والشاى أنواع يختلف بعضها عن بعض باختلاف نوع التربة المغروس فيها والكيفية التى يجمعونها بها ، فالشاى الاسود يمتاز عن الانواع الاخرى بأن أوراقه اختمرت قليلا قبل تجفيفها . والشاى الاخضر النقى يصنع من تلك الاوراق من غير اختمار ، أما الشاى الاخضر التجارى فهو على الغالب شاى أسود ملون باللون المعروف بالأزرق البروسيانى

والشاى منبه منعش فاذا أخذ بكمياته الاعتيادية نبه الدماغ ونشط القوى ، فهو لذلك كثير الفائدة لأصحاب الاعمال العقلية الشاقة ولكنه من الجهة الاخرى يسكن الجهاز الدورى ، لذلك فهو مفيد فى الامراض الالتهابية ويشفى ألم الرأس . اما اذا أخذ بكميات كبيرة فينقلب نفعه الى ضرر وخصوصاً

الشاى الاخضر القوى فانه اذا أخذ بكميات كبيرة أثر على الاعضاء تأثيراً ساماً فيهيجها كثيراً ، وقد يحدث فى بعض الأبنية ارتعاشاً عصبياً وأعراضاً أخرى مخيفة وفى الحيوانات الضعيفة يحدث شللا . وبناء على فعله المنبه فهو يفيد فى معالجة الخمول الناتج عن التسمم بالأفيون أو المسكرات الروحية ولكن ذلك الخمول قد يتحول بالعلاج الى حمى

منقوع الشاي

ان ما يتناوله الناس من الشاى هو منقوعه ولا بد فى استحضاره من ملاحظة أمرين مهمين وهما : (١) ألا تضع الشاى فى الماء إلا وهو يغلى ولا يكفى أزيزه بل يجب أن ترى غليانه فان المواد النافعة فى الشاى لا تذوب فى الماء إلا اذا كان على درجة الغليان ولذلك لا يستحسن غلى الماء فى وعاء وصبه فى وعاء آخر بارد قبل وضع الشاى فيه لأن صبه يخفض حرارته ، فاما أن تضع الشاى فى الوعاء الذى غليت الماء فيه أو أن تدفىء الوعاء الآخر قبل صب الماء فيه (٢) أن تتناول المنقوع حال استحضاره لأن نكهته تتوقف على زيت عطرى سريع الطيران ، فاذا لبث المنقوع مدة طار الزيت وزد على ذلك ان مكث الشاى فى الماء مدة طويلة يذيب من مواده مواد مرة تغير طعم المنقوع فيصير مضراً للهضم وأهم أعراض ضرره الشعور بالخوف

والشاى قديم الاستعمال فى العالم ولهم فى أصله حكاية خرافية لا بأس من ذكرها قالوا : « ان دارما أحد أمراء الهند رحل الى الصين فى أوائل القرن السادس للميلاد فى مهمة دينية فاضطر لتنفيذ مهمته وتقوية نفوذه أن يطوى النهار ويحى الليل فى الصلاة فقضى زمناً طويلا لا ينام ثم غلب عليه التعب فنام رغماً عنه فلما أفاق اغتاظ لنفسه فقطع أجفانه ورمى بها الارض لكيلا يعود الى ذلك مرة أخرى فعاد فى اليوم الثانى الى غرفته فرأى الأجفان قد صارت نباتاً يحمل أوراقاً لم يعرفها قبلا فأكل بعض الورق فشعر بانتعاش ونشاط فنصح لتلامذته أن يستعملوها فشاع استعمالها » وهذه القصة على كونها خرافية فهى تدل على قدم عهد الشاى

والشاى فى أوربا كثير الاستعمال وخصوصاً عند الانكليز وعلى الأخص عند نسائهم فهو عندهن بمنزلة التبغ عند الرجال فانه ينشط القوى ويسهل تناول الطعام ويساعد على هضمه وقد يقوم مقامه وخصوصاً اذا فقدت شهوة الطعام لمرض أو حزن أو هم ، فالشاى إذ ذاك أسلم الأطعمة عاقبة وأفيدها .
وقد حللوا الشاى فاذا هو مركب من المواد الآتية على هذه النسبة :

ماء	٠٥ر٠٠	صمغ	١٨ر٠٠	حامض عفصيك	٢٦ر٢٥
شابين	٠٣ر٠٠	دهن	٠٤ر٠٠	فيبرين	٢٠ر٠٠
كاسين (أو جبنه)	١٥ر٠٠	سكر	٠٣ر٠٠	مواد معدنية	٠٥ر٠٠
زيت عطرى	٠٠ر٧٥				

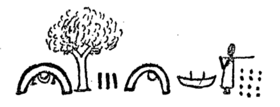
(عن المجلد الخامس)

الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة

خلق الله الانسان بين عاملين هما اصل الاختراع والاكتشاف: أولهما الضرورة التى تسوقه الى البحث، وثانيهما النور الطبيعي الذى يدله على أسرار الطبيعة ويهديه الى ما يساعده فى حفظ ذاته ودوام نوعه. ولو تتبعت سائر اختراعات الناس من النار التى لم يدرك التاريخ زمن اختراعها الى التصوير الباطنى الذى سمعنا عنه بالأمس لرأيت الدافع اليها كلها الضرورة على حد قولهم: «الحاجة أم الاختراع»

فقضى الانسان قروناً متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتكلم ولكنه لا يكتب فما لبث أن تكاثر وتآلف واتسعت علاقاته وعكف على الأسفار التماساً للرزق حتى اضطر الى الكتابة لمخابرة جاره أو تدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظاته وآثاره

فلنفرض قبيلة من قبائل البشر فى أول عهد العمران يقتات أهلها على الأعشاب واقتناص الحيوان ويأوون الى الكهوف والمغارات ألم بها مصاب أهمها أمره فأحبت تدوينه، نحو ان أسداً وثب على شيخها فافترسه فما ظنك فى الطريقة التى يخترعونها لتدوين تلك الحادثة. لا أظنك ترى وسيلة غير التصوير إما بالرسم أو بالنقش على ما تقتضيه حالهم من الصناعة فيرسمون أسداً واثباً على رجل ينهشه بمخالبه أو نحو ذلك. وهى أول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة ونسميها «الدور الصورى الذاتى» وهو أبسط أدوارها لأنه مقصور على تصوير الحادثة كما وقعت تماماً، ولا فائدة منه إلا فى الحوادث المؤلفة مما يقبل التصوير، ولكن هناك معانى لا صورة لها فى الخارج كالحب والبغض وكقولك اليوم والصباح والمساء وما يماثله فضلا عن المعانى الكلية فهذه كلها يضطر فيها الى الرموز فقد يرمز عن المحبة مثلا بالحمامة وعن البغض بالحية وعن اليوم برسم الشمس فى أعلى دائرة. فلنفرض أناساً جاءوا تلك القبيلة بحراً وبعد مسيرهم ثلاثة أيام نزلوا الشاطىء ليلا وكان شيخ القبيلة غائباً فأراد ابنه أو أحد أتباعه إبلاغه ذلك كتابة، فلا نظنه بعد إعمال فكرته يهتدى الى طريقة يصور بها تلك الحادثة على غير هذه الصورة



فيعبر عن العدو برسم رجل مسلح ويريد بالنقط الكثيرة ان الأعداء عديدون، وبصورة السفينة انهم نزلوا البحر، وبالقوس وفى أعلاها الدائرة وهما خط الهاجرة والشمس فى أعلاه يريد اليوم، وبالخطوط الثلاثة انهم ساروا فى البحر ثلاثة أيام، وبالشجرة البر وبالقوس وفيها رسم الهلال وشىء

يشبه النجوم ان الأعداء نزلوا الشاطىء ليلا . وهذه خطوة ثانية نحو الكتابة وفيها صور رمزية فضلا عن الذاتية ونسميها « الدور الصورى الرمزى » ويمكن التعبير به عن اكثر حاجيات الانسان

ثم لا يلبثون بتوالى الأجيال أن يهتدوا الى اتخاذ صورة شيء للدلالة على أول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة عل أول مقطع من (عدو) وهو العين مفتوحة واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين مفتوحة والشجرة على الشين مفتوحة وقس عليه ، وهو أهم خطوة فى اختراع الكتابة لأن بها تتحول الاشكال الصورية من الدلالة على أسمائها كاملة الى الدلالة على أول مقطع من مقاطعها وهو ما نسميه بالدور المقطعى

ولكن فى رسم صور الحيوان والنبات وغيرهما مشقة تحول دون انتشار هذه الكتابة وتداولها ، على ان يد الانسان ميالة الى التنويع التماساً للسرعة واقتصاداً للوقت فلا يلبث رسم الرجل المسلح المتقدم ذكره حتى يتحول الى شكل يشبهه ثم يبعد الشبه كثيراً حتى لا يعرف لذلك الشكل شبه مع بقاء دلالته الاصلية ، فلا يعرف الناس إلا ان ذلك الشكل يدل على العدو أو على مقطع (عا) ولا يرون علاقة بينهما

ثم لا يلبث الانسان أن يهتدى الى اختراع الحركات فبدلا من ان يدل الشكل على المقطع وهو حرف وحركة معاً يدل على الحرف فقط ويخترع له علامة تدل على الحركة أو ما يقوم مقامها ، فالشكل الذى كان يدل على العين مفتوحة يدل على العين بدون حركة وهكذا فيما بقى ، فبدلا من أن يكون الشكل الدال على مقطع (عا) مثلا محصوراً فى الكلمات الداخلة فيها العين مفتوحة أو مكسورة يستعمل للدلالة على العين مطلقاً ويعبر عن الفتح أو الضم أو الكسر بعلامة تضاف اليها ، وفى ذلك من التسهيل والاقتصاد ما لا يخفى ، وهذا هو « الدور الهجائى » . فالادوار التى تمر بها الكتابة قبل وصولها الى ما هى عليه الآن أربعة (١) الدور الصورى الذاتى وتدل الصور فيه على المعانى الذاتية وهو قاصر لا يمكن التعبير به إلا عن أبسط الحوادث (٢) الدور الصورى الرمزى وفيه فضلا عن الصور الذاتية صور رمزية تدل على المعانى المعنوية التى لا صورة لها فى الخارج ، وفى هذا الدور يمكن التعبير عن اكثر ما يمر بذهن الانسان من المعانى على اختلاف أنواعها ، ولكن يقتضى ذلك مئات بل ألوفاً من الصور وفيه من المشقة ما فيه (٣) الدور المقطعى وتدل الصورة فيه على أول مقطع من اسمها وهو خطوة كبرى فى اختراع الكتابة فبين ان اللغة فى الدور السابق لا يتم التعبير عن معانيها إلا بألوف من الصور يكفيها فى هذا الدور بضع مئات فقط (٤) الدور الهجائى وفيه تصبح تلك المقاطع حروفا وهو آخر خطوة بلغت اليها الكتابة فانك ببضع عشرات من هذه الحروف تعبر عن كل ألفاظ اللغة مهما تعددت وتنوعت

(عن المجلد الخامس)

مخترع عيدان الكبريت

ان النار من أهم ما يحتاج اليه الانسان فى أحوال حياته لاننا بدونها لا نقدر على عمل ومع ذلك فقد قل من بحث عن أصل اختراعها أو عن مخترعها ، على ان الذين بحثوا فى ذلك لم يستطيعوا الوقوف على خبر الاختراع ، ولكنهم علموا ان الانسان توصل الى إشعال النار أولا بواسطة الفرك ، إذ علم بالاختبار البسيط ان الفرك يولد الحرارة فما زال يتدرج حتى توصل الى إيقاد النار به ، وما يزال بعض الأمم المتوحشة يولدون النار بالفرك الى الآن . ثم توصل الانسان الى توليد الشرر بالزناد بضرب الفولاذ على الصوان فيتولد من تلك الصدمة شرارة تشعل بعض المواد السريعة الاشتعال كالصوفان أو نحوه . والزناد مستعمل عند أهل البادية الى اليوم . وقد اتخذ الانسان أساليب أخرى من هذا القبيل ترجع الى مبدأ واحد

أما عيدان الكبريت فهى حديثة العهد اخترعها رجل اسمه « ووكر » من أهل ستوكتن فى انكلترا سنة ١٨٢٩ ولكنها لم تستعمل إلا سنة ١٨٣٤ ، وأول معمل تأسس لاصطناعها أسسه روبين بارتردج سنة ١٨٤٢ فى انكلترا . وفى سنة ١٨٤٥ تأسس معمل آخر فى فينا (النمسا) . وطريقة اصطناع هذه العيدان فى غاية البساطة لأنها مقصورة على تقطيع الخشب الى عيدان رفيعة وغمس أطرافها فى سائل من مواد قابلة للاشتعال بالفرك القليل أهمها الفصفور . ومعامل هذه الصناعة كثيرة فى أوربا يشتغل بها الأحداث بأجور قليلة ولذلك فهى تباع بأثمان بخسة (عن المجلد الخامس)

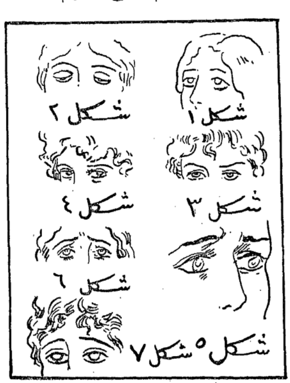
دلالة الاحداق على الاخلاق

اشتغل الناس منذ القدم فى قراءة اخلاق الناس واستطلاع ضمائرهم من النظر الى وجوههم ومراقبة حركاتهم او اشكال عيونهم او انوفهم او افواههم ، وهو علم الفراسة . واستدل آخرون على الاخلاق من النظر الى بطن الكف وما فيه من الاشكال والخطوط والرسوم ، ويسمى علم الكف . ومن علوم الفراسة الجديدة علم يعرفون به اخلاق المرء من شكل خطه . فيستدلون مثلا على بخل الكاتب من صغر كلماته وتكاثفها ، وعلى اقدامه من تصاعد سطوره ، وعلى خموله من انحدارها . ولهم فى شكل كل حرف على حدة كلام طويل عريض

ومن ضروب الفراسة قراءة الاخلاق على الاحداق . ويلوح لنا انها أقرب سائر الفراسات الى الصواب ، لان العيون مرآة الاخلاق ولسان حال القلوب ، فعليها يبدو الحب او البغض وبها يعبر عن الغضب او الرضى . وقد تدل على مقاصد واغراض يقصر عن أدائها اللسان والقلم

ولا نظن قارئاً من قراء الهلال لم يلاحظ علاقة الاخلاق بالاحداق من تلقاء نفسه . فاذا رأى رجلا

شريراً عرف أول وهلة من النظر الى عينيه انه شرير ، او سليم القلب رأى فى عينيه ما يدل على ذلك . وقد نقول ان عينى فلان تتقدان ذكاء وحدة أو تدلان على مكر ودهاء او نحو ذلك مما لا يقع تحت حصر ولا يستطاع وصفه بالكتابة . واما التصوير فلا يؤدى الا الى بعض المرادلان فى العيون ملامح لا تظهر على زجاجة التصوير ولا تستطيع رسمها أقلام المصورين ولكن الناظر اليها قد يتوسم فيها خلقاً من الأخلاق أو قوة من القوى . ولما كانت المرأة أدق إحساساً وأسرع تأثراً من الرجل كانت أخلاقها أكثر ظهوراً فى عينيها وأقرب الى الوصف . وقد عنى بعض كتاب الانكليز بدراسة هذا الفن فى النساء فتوصل إلى نتيجة لايخلو بسطها من فائدة ، وعلى القراء أن يتوسعوا فى هذا الموضوع من تلقاء أنفسهم لان استقراء أشكال العيون وملاحظة أخلاق أصحابها مما يتيسر لكل انسان الوقوف عليه ، فنستعين بذلك على درس أخلاق أصدقائنا ومعرفة درجات ذكائهم وأنواع مواهبهم



فالشكل الأول من أشكال العيون السبعة المرسومة أمامك يدل على ميل الى الموسيقى والشعر وسائر الفنون الجميلة مع ذكاء وحدة ، وقد تكون أجفانها مطبقة أحياناً كما فى الشكل الثانى ولكن التفاتها الى فوق على ما فى الشكل الاول يدل دلالة واضحة على ميل تلك الفتاة الى الفنون الجميلة . وترى فى الشكلين الثالث والرابع مشابهة من بعض الوجوه فالاخلاق فيهما متشابهة . وتدل تلك العيون على ميل صاحبتها الى الدلال والترف والقصف إلا أن صاحبة الشكل الثالث تحاول إخفاء أميالها والتلبس بالحشمة والرزانة والحق ظاهر من وراء ذلك

ويدل الشكل الخامس على عينى فتاة يغلب الجد على طباعها فتأنف من المزاح وتبعد عن المجون فهى غير صالحة للزواج لانها لا ترضى زوجها ولا هو يرضيها ولو كان أغنى من قارون وأحكم من سليمان بل هى أصلح للتمريض فى المستشفيات أو التدريس فى المدارس . وأما عينا الشكل السادس فاخلاق صاحبتهما كاخلاق الكهلات العزبات اللواتى يدركن الكهولة ولا يتزوجن وإن تكن هى فى إبان الشباب . وأوضح الادلة على هذا الخلق تقوس الحاجب كما فى هذا الشكل

أما الشكل السابع وهو الاخير فعيناه عينا فتاة تصلح للزوجية وخصوصاً لمن كثرت أشغاله وبعدت مطامح أغراضه فكأن اعتدال حاجبيها يدل على اعتدال اخلاقها واقتصادها وتدبيرها

هذا وقد يهتم الأعزاب فى هذا الموضوع اكثر من المتزوجين لانهم يستعينون به على اختيار الزوجات

فليتبصروا لئلا يخلطوا بين الاشكال أو يحسبوا هذه القواعد بلا استثناء فضلا عما تؤثره التربية والتعليم مما قد يقوم مقام خلق جديد . أما إذا ثارت ثائرة الغضب أو اتقدت شعلة الحدة فيرجع كل خلق إلى أصله

(عن المجلد السادس)

لفظ جنيه

هو مأخوذ من جينيا أو غينيا « Guinea » اسم بلاد واقعة على سواحل افريقيا الغربية اكتشفها البرتغاليون سنة ١٤٤٦ م . وفى سنة ١٥٨٨ تالفت شركة تجارية انجليزية سارت اليها للتجارة وأخذت ترسل الى انكلترا من خيرات تلك البلاد ومحصولاتها وفى جملة ذلك معدن الذهب . فضربت الحكومة الانكليزية من هذا الذهب دنانير سمتها باسم تلك البلاد ، ولم تكن ضربت الليرات الانكليزية المتداولة الآن . وأقدم تلك الجنيهات ضرب سنة ١٦٦٣ وقد نقش عليه صورة الفيل اشارة الى أن ذهبه افريقى . وكانت قيمة الجنيه الواحد عشرين شليناً ثم ارتفعت سنة ١٦٩٥ الى ثلاثين شليناً ثم مازالت ترتفع وتهبط حتى صارت سنة ١٧١٧ واحداً وعشرين شليناً ، وبيعت الجنيهات الانكليزية سنة ١٨١٠ باثنين وعشرين شليناً ونصف شلين ، ثم صعدت قيمتها الى ٢٧ وفى سنة ١٨١١ أصدرت الحكومة الانكليزية أمرا يقضى بتحديد ثمن الجنيه الانكليزى ٢١ شليناً . وفى سنة ١٨١٧ ضربت الليرة الانكليزية وابطل ضرب الجنيهات المتقدم ذكرها

وكانت النقود المصرية الى ولاية محمد على اخلاطا من النقود الافرنجية تختلف أثمانها ويعسر تحويل قيمها بعضها الى بعض ، فوضع محمد على نظام العملة الجارى وضرب نقودا ذهبية قيمها مائة ، وخمسون ، وعشرون ، وعشرة . ولما كانت المائة من الغرش المصرى تساوى قيمة الجنيه الانكليزى القديم تقريباً أطلق عليه اسمه فقيل جنيه مصرى

(عن المجلد السادس)

دلالة الازياء على الاخلاق

لا نظن أحداً يخالفنا فى انطباع أخلاق المرء على كل عمل يعمله حسياً كان أو معنوياً . ولا نريد بالازياء أشكال الالبسة وضروب هندامها كما يتبادر الى الاذهان من معنى هذه اللفظة لأن الناس فى هذا العصر متفقون رجالا ونساء على ضروب متشابهة من الازياء لا يكادون يختلفون فى جزء من أجزائها ، وخصوصاً الرجال ، فهم فى بلادنا فئات قليلة بعضهم يلبس اللباس العربى القديم من الجبة والقفطان والعمامة وبعضهم يلبس اللباس الافرنجى من السترة والبنطلون والطربوش وفئة تلبس

السراويل والكبران . ولكننا نريد حال تلك الملابس من النظافة والترتيب واللون والقصر والطول فهم يختلفون فى ذلك باختلاف أخلاقهم وأطوارهم ، واليك البيان :

هندام الثوب

اذا رأيت شاباً حسن الهندام نظيف الثياب ثمينها ، لا تشك فى أنه كريم محب للترتيب ويكون فى الغالب مواظباً على عمله ثابتا فى مبادئه . واذا كان ممن يفضلون من الوان الالبسة دا كنها كالاسود وفروعه فاعلم أنه من أهل الرزانة . أما اذا كان مبالغاً فى وقاية ثيابه من الاوساخ والغبار حريصاً على الهندام حتى يمنع نفسه من الذهاب او المجيء خوفاً على حسن زيه فهو محب لذاته قليل العناية فى أحوال ذويه وأصدقائه لايكترث بمساعدتهم أو النظر فى شؤونهم . واذا رأيته مع مبالغته فى النظافة الخارجية قليل العناية فى نظافة ماتحت أثوابه من الألبسة البيضاء مهملا تنظيف جسمه فيغلب فيه الرياء والمداهنة فهو يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب . وبعكس ذلك إذا رأيته كثير العناية فى نظافة جسمه وترتيب اثوابه الداخلية دون الخارجية فاعلم انه سليم الطوية مخلص ينظر الى حقائق الأشياء ولا يعتد بظواهرها ولا يهمه مدحه الناس أو ذموه ولكنه لايصبر على سوء يرتكبه سهواً كان أم عمداً ، ويكون فى الغالب دقيق الأحساس حى الضمير يعطى كل ذى حق حقه

ومن كان ثوبه نظيفاً غير مرتب يغلب فى طباعه الاسراف والكسل . واذا شاهدت ترتيباً فى بعض أجزاء ثوبه دون البعض الآخر فهو محب للعمل ولكنه لجوج قليل الصبر . واذا رأيت تفاوتاً بين تلك الاجزاء كأن يكون بعضها ثميناً والبعض الآخر رخيصاً او بعضها ضيقاً والبعض الآخر واسعاً أو البعض قصيراً والبعض طويلا أو رأيت ثوبه جديداً وطربوشه أو حذاءه قديماً فاعلم يقيناً أنه ضعيف الرأى قصير النظر فى الأمور لايصلح أن يكون مديراً فى عمل من الأعمال

والثوب الواسع المرتب النظيف دليل على صبر صاحبه ومواظبته وترويه واعتدال مشربه . فاذا كان مع سعة ثوبه قليل العناية بنظافته فيغلب أن يكون مهملا كسولا . وهكذا إذا شاهدت نقصاً فى حاجات ثوبه كأن تكون صدرته ناقصة الأزرار أو أن يخرج بلا منديل فى جيبه أو نحو ذلك . واذا لقيت صاحباً لك من ذوى اليسار وشممت من أثوابه رائحة البنزين أو زيت التربنتينا فاعلم انه بخيل وقد نظف ثوبه من النكت لئلا يحتاج الى شراء ثوب جديد . وإذا رأيت فى أثوابه رقعاً أو رثياً فهو شديد البخل طماع . أما اذا فعل ذلك مدفوعاً بضيق ذات يده فهو مقتصد مدبر

الطربوش

لامشاحة فى أن وسخ الطربوش يدل على الأهمال اكثر مما يدل على البخل . وأما اذا رأيت عليه آثار التنظيف العنيف كالغسل أو نحوه فاعلم انصاحبه شديد الحرص . ومن يلبس طربوشه مائلا الى الأمام حتى تبلغ حافته أعلى الحاجبين فهو معجب بجماله او قوته والغالب انه يقدر نفسه أكثر مما هى . وإذا رأيته مع ذلك يرسل أهداب طربوشه (الزر أو الشرابة) الى الأمام فهو لا يخلو من البله . ومن يضع طربوشه وضعاً افقيا كان معتدل المزاج محنكاً . واذا ارسله الى الوراء فهو كثير الاهتمام حازم

متبصر ، إلا إذا كان إرساله على هذه الصورة لاظهار شعره المدهون . وأما وضعه مائلا الى أحد الجانبين فدليل على الأعجاب مع الخفة والاستسلام الى الشهوات

الشعر

إن قص الشعر قصيراً حتى لايحتاج الى مشط فى تسريحه يدل على اقدام صاحبه ونشاطه وانقطاعه الى العمل . واما قصه طويلا وتمشيطه على أشكال هندسية وشدة العناية فى ترتيبه فدليل على الميل الى التشبب والمغازلة ، ويندر ان يكون صاحب هذا الشعر مقداماً نشيطا ، وارسال الشعر طويلا وعدم العناية فى تمشيطه وترتيبه من اكبر ادلة الكسل والأهمال ، على انها قد تكون دليلا على الاجتهاد لانصراف ذهن صاحبه الى أعمال اخرى هامة تستغرق كل وقته وهذا نادر

هذه امثلة قليلة من دلالة الأزياء على الأخلاق ننشرها مثالا لما قد يتفرع عن هذا الموضوع مما لا يفى بتفصيله غير المجلدات ، على اننا لانجهل مخالفة بعض القواعد التى ذكرناها لما قد يتفق من النوادر ولكل قاعدة شواذ . وزد على ذلك ان بعض الناس لا يتولون هندام اثوابهم بأنفسهم او انهم اذا تولوه جروا فى هندامهم انقياداً لعادة نشأوا عليها منذ الصغر حتى اصبحت ملكة فيهم ، فهم انما يفعلون ذلك اعتباطاً ولا دخل فيه لأذواقهم او اخلاقهم ، فكأنهم آلة تتحرك بعامل العادة او الملكة فقد يكون فى ظاهر هندامهم مايخالف حقيقة اخلاقهم فاعتبر هذا ، واعلم انه لا بد من النظر والتروى قبل الحكم على اخلاق الناس بالنظر الى ازيائهم (عن المجلد السادس)

كيف نتحمل المصائب

(رد على سؤال)

لقد خلق الانسان من عجل وهو لضعفه يستكبر الصغائر فتعظم عليه وتغب على احتماله ولو فقه حقيقة حاله لهان عليه الصعب وسخر بالدهر وحوادثه . فكيف يستكبر حادثاً وقد خلق فى أرض تخلفت عن سديم وتكونت جبالهـــا وأوديتها بالزلازل والبراكين لا يطلع نباتها إلا بالامطار والاوحال ولا يعيش حيوانها إلا بالجهاد والقتال . صنع انسانها من ماء وطين فارتكب المعصية فطرده الله من جنة النعيم ، فهرع يلتمس طعامه بمعالجة التراب ومعاشرة الدواب وقد احدقت به النوائب من كل جانب إذا اصبح لايعرف مصير يومه ، واذا نام غفل عن عواقب نومه ، يخبط فى دنياه خبط عشواء فى ليلة ليلاء ، يدافع جندا من طوارق الحدثان وعيناه مغمضتان ويداه مغلولتان ، فيسير متلمساً متعسفاً يتلمس النجاة من عدو سد دونه المنافذ ، فتتلاعب به الحوادث تلاعب الطفل بكرات الحصى ، لاعن روية ونظر ولكن الوجود سلسلة اسباب يتصل اولها بالازل وينتهى آخرها بالابد . والمرء بين ذلك كريشة تتقاذفها الرياح لايعرف له مقراً ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً

فاذا علمت ذلك وأنت عالمه لامحالة هان عليك ماتلقاه فى فسحة هذه الحياة . ولا يصبر الانسان على اذى إلا إذا جاءه على غير انتظار . فاصحب الزمان واحذر غائلة غدره ، واعلم انك لاتقوى على دفعه ولا تنهض فى صباحك الا وانت تتوقع شراً فاذا قضيت يومك سالما نمت شاكرا حامداً وان نابتك نائبة كنت فى انتظارها فتحملها صابراً (عن المجلد السادس)

تاريخ الرقص

الرقص عادة قديمة جداً لم تخل أمة من الأمم القديمة من تعودها . والظاهر أن حركات الرقص فطرية فيمن يتأثر من الفرح الشديد ، ويلوح لنا أن الانسان رقص قبل أن تكلم أى أن الرقص سابق للغة ولا سبيل لنا الى اثبات ذلك غير القياس العقلى . أما التاريخ فيثبت شيوع الرقص عند كل الامم من أقدم الازمان وكان عند بعضها فرضاً دينياً يؤدونه للآلهة . وفى التوراة أن اليهود كانوا يسبحون الله بالرقص . واتقن اليونان القدماء الرقص حتى جعلوا لكل حالة من حالات النفس رقصة تميزها وتدل عليها كالفرح والحزن والغضب ونحوها . وقد عد أرسطو الرقص فى جملة الفنون الجميلة فجعله والشعر صنوين ، وكان أهل سبارطة يعودون أطفالهم الرقص وهم فى الخامسة من سنهم وكان آباؤهم أوأساتذتهم يرقصونهم وهم ينشدون

ويقسم القدماء الرقص الى ثلاث رتب (١) الرقص العسكرى ويريدون به التمرين العضلى (٢) الرقص المنزلى ويريدون به مجرد اللهو والتسلية (٣) الرقص الدينى وهو ما كانوا يأتونه أثناء العبادة أو ذبح الذبائح أو تقديم القرابين . والمظنون أن المسيحيين كانوا يرقصون فى بادىء أمرهم فى أثناء اجتماعاتهم الدينية . وفى الهند أجواق من البنات يرقصن فى الاحتفالات العمومية

اما العرب فلم يخرجوا فى عادة الرقص عن سائر أمم الأرض وربما كانوا يرقصون فى بعض الاحتفالات الوثنية فى جاهليتهم كما كان يفعل سواهم من الامم

وأما الرقص عندنا اليوم فيراد به مجرد اللهو والقصف . وأما فى بلاد الأفرنج فقد يريدون به الرياضة الجسدية ايضاً حتى جعلوه علماً قائماً بنفسه له روابط وقوانين . ولا يستنكف من الرقص عندهم أحد خلافاً لنا فاننا نعد الرقص خلاعة ، ويأبى أهل الادب منا أن يشهدوا حفلة رقص فضلا عن أن يكونوا فى جملة الراقصين ، إلا من تخلقوا بأخلاق الافرنج بطول العشرة او حكم التربية ولا جدال فى ذلك فان لكل امرىء من دهره ماتعود . على أن الفرق بين الشرقى والغربى فى اعتبار الرقص كالفرق بينهما فى كثير من العادات المتعلقة بالحجاب أو الحشمة او نحوها ، فالشرقى أكثر غيرة على عوراته من الغربى فان العبرانيين قد استغرقوا فى الرقص واتخذوه ذريعة الى استرضاء الله ، ولكنهم لم يختلط الرجال منهم بالنساء الا مرة اقتضتها الحال فرقص الجنسان معاً وكل منهما على حدة . فاعتبر ذلك وقس عليه كل مايعرض لك من هذا القبيل (عن المجلد السابع)

يأجوج ومأجوج هم التتر والمغول

يأجوج ومأجوج أمتان ذكرتا فى القرآن الشريف فى سورة الكهف وسورة الانبياء قال تعالى فى الاولى فى مساق قصة ذى القرنين : « قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض » وقال فى سورة الانبياء : « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق » الآية فلنجعل هاتين الآيتين موضوع بحثنا ضاربين صفحاً عن وجوه التفسير التى ليس لها مساس به ولنحصره فى خمسة مباحث :

البحث الاول فى معنى لفظ يأجوج ومأجوج وأصلهم وجغرافية بلادهم

البحث الثانى فى افسادهم فى الارض ويستلزم ذكر تاريخهم

البحث الثالث فى معنى « فتحت يأجوج ومأجوج » وذكر خروجهم وتعيين زمنه وما يشهد له من الاحاديث واقوال العلماء ومكاتبات الملوك

البحث الرابع فى ذكر معنى الحدب لغة ومقارنته بكلام المؤرخين

البحث الخامس اقتراب الوعد الحق

البحث الاول : اصل يأجوج ومأجوج من اولاد يافث بن نوح مأخوذان من اجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم . وذكر بعض المدققين فى البحث عن تأصيلهم ان اصل المغول والتتر من رجل واحد يقال له ترك وهو نفس الذى سماه أبو الفداء باسم مأجوج فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بيأجوج ومأجوج وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالى من آسيا وتمتد بلادهم من التيبت والصين الى المحيط المنجمد الشمالى وتنتهى غرباً بما يلى بلاد التركستان

البحث الثانى : الكلام على افسادهم فى الارض . وقد ذكر المؤرخون وفيهم الافرنج أن هذه الامم كانت تغير قديماً فى أزمنة مختلفة على الامم المجاورة لها فكم أفسدوا وقلبوا الامم قلباً قبل زمن النبوة ودمروا العالم تدميراً وجعلوا عاليه سافله ، فهم مفسدون فى الارض بنص القرآن وشهادة التاريخ . فقد ذكر ان منهم الامم المتوحشة والسيول الجارفة التى انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى اوربا فى قديم العهد . فمنهم امة السبت والسمريان والمسجيت والهون ، وكم اغاروا على بلاد الصين وعلى امم آسيا الغربية ودوخوهم حتى اقام اهل الصين سداً فيما بينهم وبين هؤلاء آثاره باقية الى الآن واقيم سد آخر فيما بينهم وبين امم آسيا الغربية التى كانت مقر الانبياء والمرسلين ، وقد عثروا على آثاره من قبل بجهات ارمينيا واذربيجان . ويظهر ان الانبياء كانوا يحذرون قومهم من هؤلاء الامم قديما قبل نزول القرآن ، وكذلك ورد ذكرهم فى القرآن كما تقدم وفى بعض الاحاديث ايضا . ثم إنهم لم يزالوا فى حدود بلادهم لايتجاوزونها بعد زمن النبوة الى ان ظهرت الداهية الدهياء والغارة الشعواء من تلك الامم المتوحشة الرحالة إذ ظهر منهم رجل يسمى تموجين لقب نفسه جنكيزخان ، وقال مؤرخو

الافرنج ان معناه بلغة المغول ملك العالم ولقد ملك من بعده مشارق الأرض ومغاربها إذ أعد نفسه فاتحا لكل العالم ،وكان خروجه هو وقومه من الهضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التى فى آسيا الوسطى فى أوائل القرن السابع من الهجرة . فانه بعد ان جمع امة التتار تحت حكمه أخضع الصين الشمالية أولا ثم ذهب الى بلاد الاسلام فأخضع السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن ارسلان بن محمد من الملوك السلجوقية ملك خوارزم لاسباب سنذكرها ، وكان يمتد ملكه على بلاد التركستان والفرس وقد دافع ابنه جلال الدين مدافعة الابطال لرد هجماتهم فلم يرد شيئاً وسقطت الدولة بعد حرب مكثت عشر سنين ، ولقد فعلوا بهذه الدولة من المنكرات والفظائع مالم يسمع مثله فى تاريخ فلم يبقوا على رجل ولا امرأة ولا صبى ولا صبية فقتلوا الرجال وسبوا النساء وارتكبوا الفواحش انواعا ، ولقد حسبوا القتلى فى مدينة خوارزم وحدها فلحق كل واحد من جموع جنكيزخان التى لاتحصى عداً أربعة وعشرون قتيلا . وأحرقوا المدينة وهدموا أسوارها وأجروا بها الدماء أنهراً فضلا عما فعلوه بسمرقند وبخارى وغيرهما، وفتكوا بأهل نيسابور وافنوهم عن آخرهم حتى الاطفال والحيوانات كالقطط والكلاب وأحرقوا البلد وقد عدت القتلى فى واقعة مرو فكانوا مليوناً وثلثمائة وثلاثين الفاً هذا ما أمكن ضبطه منهم وهذه نبذة يسيرة بل قطرة من بحر فظائعهم . راجع دائرة المعارف فى مادة تتر ، وابن خلدون وابن الاثير وفاكهة الخلفاء وقس على ماذكرناه جميع البلاد التى سنذكرها فلقد أخضعوا بلاد الهند ومات جنكيزخان بعد قفوله من غزوها . ولما ملك بعده ابنه اقطاى اغار ابن أخيه المدعو باتو على الروس سنة ٦٢٢ ﻫ ودمروا بلونيا وبلاد المجر وأحرقوا وخربوا ومات اقطاى فقام مقامه جابوك فحارب ملك الروم وألجأه الى دفع الجزية ثم مات جابوك وقام مقامه ابن أخيه منجو فكلف أخويه كبلان وهولاكو ان يستمرا فى طريق الفتح فيتجه الاول الى بلاد الصين والثانى الى الممالك الاسلامية وقد فعل كل منهما ما أمر به فاخضع كبلاى بلاد الصين وزحف هولاكو على الممالك الاسلامية ومقر الخلافة العباسية وكان الخليفة إذ ذاك المستعصم بالله فاراد أن يدخل الى هؤلاء الباغين من طريق المداولات فلم يفلح وأخذت بغداد عنوة فى أواسط القرن السابع من الهجرة واسلمت للسلب والنهب سبعة أيام سالت فيها الدماء انهراً ، وهو أمر معلوم مشهور وطرحوا كتب العلم فى دجلة وجعلوها جسراً يمرون عليه بخيولهم . وهذا الخليفة بعدما اضطر لتسليم ما لديه من الكنوز التى لا تحصى والتى ورثها عن أجداده ذبح وعلقت جثته فى ذنب حصان وساروا بها بين أسوار مدينة بغداد وبه انتهت الخلافة العباسية ببغداد . ولما استولت ذرية جنكيزخان على آسيا كلها وأوربا الشرقية اقتسموا بينهم المفتوحات وأنشأوا منها أربع ممالك منفصلة . فاختصت اسرة كبلاى بالصين والمغول ، وملك جاقاتاى اخو اقطاى بتركستان ، وملكت ذرية باطوخان البلاد التى على شواطىء نهر فلجا وصارت الروسيا تدفع الجزية اليها زمناً طويلا ، وانضمت بلاد الفرس الى هولاكو الذى دمر بغداد ، وقد استمرت فتوحات المغول الى بلاد الشام وهددت مصر إلا أنها لم تقو على مقاومة المماليك الذين أعقبوا الدولة الأيوبية.

البحث الثالث : قوله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج » على حذف مضاف اى فتحت جهتهم على أحد تفسيرين ولقد انفتحت تلك الجهة فى أوائل القرن السابع من الهجرة كما ذكرنا فى التاريخ وخرج جنكيزخان وجنوده وملكوا مشارق الارض ومغاربها كما اوضحناه . وقد ورد فى بعض الاحاديث مايشير الى ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم : « اتركوا الترك ما تركوكم فان أول من يسلب أمتى ملكهم بنو قنطوراء » أى الترك مع ملاحظة ماذكرناه أولا من أن الترك ومأجوج جنس واحد ولقد ظهر بما ذكرنا فى التاريخ أنه لم يسلب الأمة الاسلامية ملكها إلا هؤلاء.

وقد ورد أيضاً فى حديث يأجوج ومأجوج : ان مقدمتهم تكون بالشام وساقتهم بخراسان . فهذه إشارة الى اتجاههم وطريق سيرهم ومنتهى ملكهم اذ لم يتجاوزوا الشام الى مصر ولا بقية افريقيا . وورد أيضاً : أن يأجوج ومأجوج لايدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ، ومن العجيب أن جنكيزخان وقومه وذريته طافوا الأرض شرقاً وغرباً ولم نعثر فيما اطلعنا عليه على أنهم دخلوا أحد هذه الاماكن الثلاثة فما أجلها من معجزة ظاهرة . ثم ان جنكيزخان هذا هو المراد بحديث « يخرج فى آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون مخفورون مقصون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كأنه فزع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها » وقدحمله بعض العلماء قديماً على جنكيزخان المذكور . وسبب خروجه وحصده الارواح أن سلطان خوارزم المتقدم ذكره فى التاريخ قتل رسل جنكيزخان والتجار المرسلين من بلاده وسلب أموالهم وأغار على أطراف بلاده فاغتاظ جنكيزخان وكتب اليه كتاباً يهول فيه ويشنع على السلطان قال فيه ما معناه « كيف تجرأتم على أصحابى ورجالى وأخذتم تجارتى ومالى وهل ورد فى دينكم أو جاز فى اعتقادكم ويقينكم أن تريقوا دم الابرياء أو تستحلوا أموال الأتقياء أو تعادوا من لم يعادكم وتكدروا صفو عيش من صادقكم وصافا لم ، اتحركون الفتن النائمة أو تنبهون الشرور الكامنة . أما جاءكم عن نبيكم سريكم وعليكم أن تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قويكم ، او ما أخبركم مخبروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونبأكم محدثوكم « اتركوا الترك ماتركوكم » وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ما ذقتم طعم شهده اوصابه (ألا إن الفتنة نائمة فلا توقظوها) وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف قبل أن ينهض داعى الانتقام وتقوم سوق الفتن ويظهر من الشر مابطن ويروج بحر البلاء ويموج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج فلترون من جراء افعالكم العجب (ولينسابن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب) » انتهى المقصود من عبارات كتاب جنكيزخان . وانظر كيف كان صريحاً بجميع مايراد من هذه المقالة بأوفى بيان . والأعجب من ذلك والاغرب انه كان بين بلاد جنكيزخان ومملكة خوارزم مملكة تسمى انزار كأنها حد فاصل بين الدولتين أو سد معنوى بين الامتين فغزاهم الملك السلجوقى واستعبد أجنادهم فارتفع الحاجز من بين الامتين وزال السد فسرت السرائر وابتهجت القلوب بهذا الفتح . وكان اذ ذاك فى نيسابور عالمان فاضلان فأقاما العزاء على الاسلام وبكيا حتى ارويا الارض بدموعهما فسئلا عن موجب هذا البكاء والناس فرحون بنصر الله فقالا : « انتم

تعدون هذا الثلم فتحاً وتتصورون هذا الفساد صلحاً (وانما هو مبدأ الخروج وتسليط العلوج وفتح سد يأجوج ومأجوج) ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين وما يحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين ولتعلمن نبأه بعد حين » . فهذا تصريح من هذين العالمين بما اردناه ونص فى فحواه ولا ضرورة لخروج كلامهما عن ظاهره . وانظر كيف ظهر صدق كلامهما فى حينه كما قدمنا وظهر التتر فأفنوا الأسلام وماج الناس بعضهم فى بعض ، فلقد اضطرب اهل آسيا وأخذوا يرتحلون من منازلهم فراراً منهم وكذلك اهل اوربا

البحث الرابع : قوله تعالى : « من كل حدب ينسلون » الحدب ما ارتفع من الارض وينسلون أى يسرعون فى النزول من الآكام والتلال المرتفعة وهذه الحال منطبقة تماماً على قوم جنكيزخان المتقدمين فانهم باجماع مؤرخى الافرنج والعرب كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى وحدبها كما ذكرناه فى التاريخ فليتأمل

البحث الخامس : قوله تعالى : « واقترب الوعد الحق » اى القيامة ويؤخذ منه ومن سورة الكهف قوله تعالى : « ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا » فى مساق قصة يأجوج ومأجوج ان خروجهم قرب الساعة ولكن هذا لايدلنا على انه لافاصل بينهم و بين الساعة الا ترى قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » وقوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت انا والساعة كهاتين » واشار الى السبابة والوسطى . ومع ذلك فقد مضى ثلثمائة والف سنة ونيف فهكذا قال فى آية يأجوج ومأجوج « واقترب الوعد الحق » فكلاهما اقتراب ورب قائل يقول أين الاقتراب فى الموضعين ؟ قلنا معلوم ان ما مضى من الزمان لا يتناوله الاحصاء وما بقى من عمر الارض الطبيعى نزر يسير جداً بالنسبة لذلك ونحن لقصر حياتنا نعد ذلك بعداً ويعده الله الباقى الدائم قرباً . قال تعالى : « انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » الآية فآلاف السنين لا تنافى القرب مهما امتدت وطالت بنسبتها الى الزمن كله إذ من البديهى ان الآلاف لا تذكر فى جانب الملايين ولذلك ورد فى حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج » فهذا دليل على ان الناس يستبدلون من بعد خوفهم امناً ويعبدون الله عز وجل . واما صفاتهم المشهورة فى القصص وبعض الآثار فكثير منها لا أصل له أو ضعيف الرواية وليؤول الصحيح منها ان خالف حقيقة هذه الامم على قاعدة وجوب تأويل الدليل النقلى ليوافق العقلى الذى قطع ببرهانه ، فان صح ان الارض اكتشفت بتمامها وان الربع الشمالى لم يبق فيه احتمال لوجود امة مجهولة وجب المصير الى ما قلناه فى هذا البحث او نحوه . هذا ما عنَّ لى على قلة بضاعتى وكثرة اشغالى والسلام

طنطاوى جوهرى

مدرس بمدرسة الجيزة الاميرية

(عن المجلد السابع)

احفظ شبابك والكهولة تحفظ نفسها

احفظ شبابك وأنت فى إبان الشباب . احتفظ به انه ذخر الكهولة وزاد الشيخوخة . اقتصد بما تنفقه من شبابك ولا تحسبه ينبوعاً دائماً . انه ينبع الى حين فاذا انقضى تطلبه فلا تجده فتندم ولات ساعة مندم

وقد تسألنى : « كيف أحفظه وهو زائل من طبعه والتماس بقائه محال ؟ » أقول احفظ شبابك لا بالطعام فانك انما تستبقى به الحياة . ولا بالنوم فانك تستريح به من تعب النهار . وأما شبابك فاحفظه بالعفاف والاعتدال واحذر من الاسراف فانه ذاهب بالحياة وأنت لا تشعر إلا اذا مالت شمسك الى الزوال

اذا لقيت شيخاً طاعناً فى السن شاب شعره وسقطت أسنانه وتجعد وجهه وغارت عيناه وهو مع ذلك منتصب القامة براق العينين صحيح البنية سريع الحركة نشيط يهضم طعامه جيداً ويعمل أعمال الشباب جسما وعقلا فاعلم انه قضى شبابه عفيفاً معتدلا فلقى ثمرة ما ادخره من القوة فى شبابه

واذا رأيت شاباً فى مقتبل العمر وريعان الشباب وقد أشرق وجهه بماء الشبيبة ، فلا يغرنك منه ذلك الاشراق ولا يسرك انتفاخ وجهه وكثرة طعامه ولا تعبأ بما يظهر عليه من سمات الصحة والعافية وهو اذا مشى تعب ، واذا صعد سلماً لهث ، واذا كلفته عملا عقلياً مل وضجر ، واذا حدثته عن خطر خاف وارتعد ، واذا قيل له ان فلاناً أصيب بخبل خاف أن يصاب بمثله ، وتراه لا يجسر على عمل ولا يقدم على مشروع ، فاعلم انه غافل عن شبابه وقد أسرف فيه وأضاعه ، لأن الشاب اذا عف ظل ثابت الجأش قوى الجنان صبوراً على تقلبات الايام ولا يزال كذلك الى آخر أيامه

فالمرء بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين أو الثلاثين فى حال يحتاج فيها الى يقظة وانتباه . فاما ان يحفظ شبابه فيعيش عمره صحيحاً معافى ، وإما أن يضيعه فيقضى على نفسه بالتعس والخسران

وقد حدا بنا الى كتابة هذه السطور ما نراه فى شبابنا من الانغماس فى ملاهى الشبيبة وهم لا يدركون عاقبة ما يجرونه على اجسادهم وعقولهم من البلاء . فيقضون الليل سهارى فى اماكن اللهو وما أدراك ما وراء ذلك من مهاوى الضلال ودركات الفحشاء مما يميت عواطفهم ويوهن قواهم ويضعف عقولهم ويذهب بحياتهم وبئس المصير

ولا يقتصر ضياع الشبيبة على هذا السبيل فان بين الادباء البعيدين عن تلك الملاهى من يجهل قيمة الشباب فيسرف فى سبيل يحسبه غير ضار وهو لا يرى ضرره وله عذر فى ذلك اذا جهل العاقبة . أما وقد علم انه انما يقتل نفسه عمداً فهو ملوم فى ذلك الاسراف

أرأيت اذا احمرت وجنتاك وأبرقت عيناك وانتفخ وجهك وأنت مع ذلك اذا أجهدت نفسك فى عمل خانتك قواك واستولى عليك الملل فما انت إلا عليل . والعلة ليست فى العضل ولا فى الذهن بل هى فى القلب والدماغ لأن الافراط انما يضعف هذين العضوين فيصبح الشاب شيخاً

ومن ظواهر تلك الحال كلل العقل وضعف القلب فيخفق لأقل المؤثرات ويضرب لأخف الأسباب وقد يستولى عليه الوسواس والحدة فيخاف مما لا يدعو الى الخوف ويغضب مما لا يدعو الى الغضب . والبلية العظمى ان حالته هذه قد تسوقه الى زيادة الانغماس فى سبب تلك العلة فيزيد الطين بلة

فاحتفظ بشبابك ولو تكلفت فى بادىء الرأى كظماً . احتفظ به انه زاد الشيخوخة . واذا أنفقته فى مقتبل العمر أمسيت بلا زاد وخير الزاد التقوى

اذا قرأت ترجمة رجل عظيم أنهض نفسه من دركات الذل والفقر الى مراقى المجد والسؤدد بجده واجتهاده ، فاعلم انه انما اكتسب ذلك بالنشاط والاقدام والصبر على مضض الايام ، وذلك لا يكون إلا مع العفاف . وأشهر من حاد عن تلك الخطة من مشاهير الرجال انما هو الشيخ الرئيس (ابن سينا) ولكنه مات قبل أوانه وترك لنا وصية نظمها فى بيتين من الشعر يمنعنا تداول الهلال بين أيدى الجنسين من إيرادهما ولكنهما مشهوران

وكم من شبان دلت أوائل شيبتهم على مواهب سامية كنا نرجو لهم بها مستقبلا عظيما فأضاعوها باسرافهم وباتوا يتقلبون على بساط الخمول أو المرض ومعظمهم ماتوا قبل ادراك الكهولة . ولو بحثت عن ذلك لرأيت سببه متصلا بأحوالهم السرية

احفظ الشبيبة وأما الكهولة فهى تحفظ نفسها . اذ تضعف العواطف ويتسلط العقل ، والعقل اذا تسلط لا يدل إلا على الخير والسلام

(عن المجلد الثامن)

أصل الوسامات (النياشين)

ان الوسامات على ما هى عليه الآن لا نظن تاريخها يتجاوز القرن الثانى عشر للميلاد . ولكن الفرنسيين يزعمون ان وسام « القديس أمبول » وضعه الملك كلوفيس فى القرن الخامس للميلاد . أما اذا بحثنا فى الاصل الذى تخلفت عنه الوسامات فنراه قديماً . لأن الاصل فى الوسام اكليل كان القدماء يمنحونه لمن يمتاز بينهم بعمل خاص . كذلك كان يفعل الأثينيون فى أقدم أزمانهم ، فاذا امتاز أحدهم فى حرب أو سباق جعلوا على رأسه اكليلا أو تاجاً من الزهور أو الفضة أو الذهب . وانتقلت هذه العادة الى الرومانيين ومن عاصرهم أو أخذ عنهم . ولم يكن ملوكهم يلبسون التيجان ولكنهم كانوا يخلعونها على الممتازين فى خدمة بلادهم . وأول ملك لبس التاج منهم للرمز عن الملك اسكندر المكدونى وخلفاؤه (وأما فى مصر فالتاج الملوكى قديم) ثم أصبح التاج شارة الملك خاصة . فلما استأثر الملوك بالتاج لأنفسهم صاروا يكرمون الممتازين من رجالهم بوسامات من الذهب أو الفضة بين مرصع وغير مرصع

وكانت الفروسية فى أوائل النصرانيـة مكرسة تقريباً للدفاع الدينى على ما هو معلوم من سلطة الـكنيسة على المملـكة فى ذلك العهد . فكانت الوسامات فى اول امرها دينية فى اشكالها وأسمائها أى إما أن تـكون على شكل صليب أو عليها نقش بعض القديسين او بعض العبارات الدينية اونحو ذلك ، كأنهم يقصدون بخلعها ان يكون حاملها محروساً بعناية صاحب الصليب او القديس الموسوم به ذلك الوسام

ولذلك كان اكثر الوسامات وخصوصاً القديمة على اسماء القديسين أو ما جرى مجرى ذلك من الرموز الدينية ، مثل وسامات القديس لعازر والقديس مخائيل والروح القدس عند فرنسا ، ووسامات القديس جاورجيوس والقديسة كاترينة والقديس ولاديمير عند روسيا ، ووسام القديس اسطفانوس عند أوستريا ، ووسام الصليب الحديدى عند بروسيا ، ووسام المسيح عند البرتغال . وقد يكون على أسماء عظماء الملوك وذلك غالب فى وسامات الدولة العلية كالنيشان العثمانى والنيشان المجيدى ونحو ذلك

اما ما تنفقه كل دولة على وساماتها كل عام فمما لا يمكن الوقوف عليه إلا بمراجعة سجلاتها الخصوصية لأنهم لا يذكرون ذلك فى الميزانيات العمومية على حدة

وأما وسامات الدولة العلية فانها تصنع فى الاستانة يصنعها الصاغة هناك وتتعين أثمانها بالمساومة او المناقصة　　　　(عن المجلد الثامن)

العرب واختراع البارود

(رد على سؤال)

المشهور عن البارود عند كتبة الافرنج ان مخترعه رجل المانى اسمه يوحنا شوارتز سنة ١٣٢٠ (٧١٩ ﻫ) . ويظهر من مراجعة تاريخ الشرق القديم ان الصينيين كان عندهم شيء يشبه البارود بانطلاقه واندفاعه وفرقعته . وقد أشار راهب انكليزى من اهل القرن الثالث عشر اسمه روجر باكن الى مزيج من هذا النوع كان معروفاً قبل أيامه . ولـكن يؤخذ من مطالعة تاريخ الاسلام ان العرب أسبق اهل الارض الى استخدام البارود واذا لم يكونوا هم الذين اخترعوه فلا اقل من انهم اوصلوه الى ما عرف به فى الاجيال الوسطى

و بيان ذلك ـ ان تاريخ التمدن الأسيوى القديم يدل على ان المشارقة القدماء كانوا يستخدمون فى حروبهم مزيجاً سريع الاشتعال لم يعرفه أهل أوربا إلا فى القرن السابع للميلاد . والمظنون ان رجلا من أهل الشام اسمه كالينكوس نقله اليهم . وكان الروم يومئذ فى إبان حاجتهم اليه ليردوا به هجمات العرب عن القسطنطينية وغيرها من مدنهم فى اوربا وآسيا وقد فازوا بغرضهم منه ، فان العرب حاصروا

القسطنطينية مراراً ولم يستطيعوا فتحها . وبالغ الروم فى كتمان أسماء المواد التى يتألف منها ذلك المزيج وكان يعرف يومئذ بالنار اليونانية . فظل أمر هذه النار مكتوماً حتى اطلع العرب عليها فاذا هى مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والادهان فى شكل سائل يطلقونه من اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدونها فى مقدم السفينة فيقذفون منها السائل مشتعلا أو يلقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان المتلوث بالنفط فيقع على السفن أو البيوت فيحرقها . والظاهر ان المقذوفات التى احترقت بها الكعبة فى حصار الحسين بن نمير لعبد الله بن الزبير سنة ٦٤ ﻫ انما كانت من هذه النار وما هى من البارود فى شيء . ولكن العرب لما توسعوا فى العلوم الطبية واتقنوا فن الكيمياء تفننوا فى تركيب هذه المواد حتى أصبحت على مثل ما نعرفه عن البارود . وذكر بعض الباحثين من الافرنج أن الصليبيين كشفوا ملح البارود واستخدموه لبعض الالعاب . وأما العرب فهم الذين أضافوا اليه بقية مواده واستخدموه لرمى القنابل والمقذوفات ـ فهم مخترعو الاسلحة النارية دون سواهم . وذكر كوندى المستشرق الاسبانى المتوفى سنة ١٨٢٠ م ان أهل مراكش استخدموا الاسلحة النارية فى محاربتهم سرقوسة سنة ١١١٨ للميلاد

وزد على ذلك ان تواريخ العرب تشير الى استخدام هذه الاسلحة فى القرن الثالث عشر للميلاد فى حرب المسلمين بالمغرب . وترى ذلك صريحاً فيما ذكره ابن خلدون عن قدوم أبى يوسف سلطان مراكش لفتح سجلماسة واستخراجها من بنى عبد الواد سنة ٦٧٢ ﻫ (١٢٧٣ م) قال :

« ولما فتح السلطان ابو يوسف بلاد المغرب وانتظمت امصاره ومعاقله فى طاعته وغلب بنى عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحا رسمهم وافتتح طنجة وطوع سبته مرفأ الجواز الى العدوة وثغر المغرب ـ سما أمله الى بلاد القبلة فوجه عزمه الى افتتاح سجلماسة من أيدى بنى عبد الواد المتغلبين عليها وإدالة دعوته فيها من دعوتهم فنهض اليها فى العساكر والحشود فى رجب من سنة اثنتين وسبعين فنازلها وقدحشد اليها اهل المغرب اجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة فى البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال الى قدرة باريها . فأقام عليها حولا كريتاً يغاديها القتال ويراوحها الى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليها . فبادروا الى اقتحام البلد فدخلوها عنوة من تلك الفرجة» (راجع تاريخ ابن خلدون الجزء السابع صفحة ١٨٨)

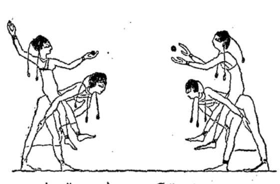
وفى هذا القول شاهد صريح على أن البارود كان معروفاً عند العرب وكانوا يستخدمونه فى حروبهم قبل الزمن الذى يقول الأفرنج ان شوارتز اكتشفه فيه بنحو نصف قرن . وقد وصف العرب تركيب البارود فى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد بما يشبه تركيبه الآن (عن المجلد العاشر)

الرياضة البدنية عند قدماء المصريين

لا نكاد نجد أمة تمدنت إلا كانت الرياضة البدنيـة من لوازم عاداتها ومن ألعاب ملوكها وسائر رجالها . فقد كانت شائعة عند كل الامم التي تمدنت قديماً في العراق وفارس وفينيقية ومصر . وألعاب اليونان والرومان الرياضية أشهر من أن تذكر . وكذلك شأن الدول الحديثة كبيرها وصغيرها ، بل ترى أسبقها في ميدان المدنية اكثرها عناية بتلك الألعاب

وقد أنشأنا المقالات الضافية في هـذا الموضوع غير مرة وحرضنا المشارقة على الرياضة البدنيـة لأنهم في حاجة اليها لما فيها من إنهاض الهمم وترويح النفوس مما يساعد الناس على القيام بأعمالهم العقلية والبدنية . وقد جئناهم اليوم بدليل آخر على أهمية هذه الرياضة بأن المصريين القدماء كانوا في إبان مجدهم اكثر الناس عناية بها رجالا ونساء ، ولو لم نجد رسوم تلك الألعاب منقوشة على آثارهم لشككنا فيها لما نراه من الاختلاف بينهم وبين خلفائهم في وادي النيل من هذا القبيل . مع ان الالعاب الرياضية كانت ولا تزال من ألزم لوازم المدنية ، ولذلك فان الحكومات المتمدنة جعلتهـا فرضاً من الفروض الواجبة على المدارس . والمدارس تمنح الجوائز للمجيدين فيها

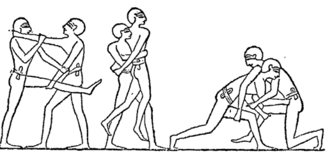
والألعاب الرياضية عند المصريين القدماء أنواع منها : الركض والوثب ولعب الكرة بأنواعه والحمل والنشل والمصارعة والمسابقة ولعب السيف والحكم . وكان الرجال والنساء سواء في اكثر هذه الالعاب واليك أشهرها :



ش ١ ـ لعب الكرة عند المصريين القدماء

﴿ لعب الكرة ﴾ كان لعب الكرة شائعاً في وادي النيل منذ ثلاثة آلاف عام ومن ضروبه ان يترامى اللاعبون بعدة كرات معاً فيرمي أحدهم الكرة الواحدة ثم الثانيـة فالثالثة ، ثم يتلقاها الواحدة بعد الاخرى وهو يرمي غيرها على التتابع مما يتفاخر به مهرة اللاعبين اليوم . وأغرب من ذلك انهم يترامون على هذه الصورة وهم ركوب على آخرين كما ترى في الشكل الاول . وقد كان هذا اللعب مباحاً للناس على اختلاف أجناسهم وأعمارهم رجالا ونساء وأولاداً ، والظاهر انهم كانوا يمارسون هذه الألعاب في مواعيد معينة ، فيلبسون فيها لباساً خاصاً هو عبارة عن قبعة لها ثلاث ذوائب مسترسلة كما ترى في الشكل المذكور . وقد وجدوا في أنقاض بعض الهياكل المصرية كرات من جلد محشوة بالنخالة او التبن الدقيق قطرها ثلاثة قراريط كثيرة الشبه بكرات هذه الايام (الكورة) بشكلها وطريقة صنعها ووجدوا كرات أخرى من الطين المجفف وغيرها من الخيوط أو من القش

﴿ المصارعة ﴾ وكانت المصارعة من ألعابهم المألوفة وخصوصاً عند العامة . وقد عثر الباحثون



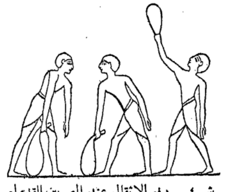
ش ٢ ــ المصارعة عند المصريين القدماء

فى الآثار على نقوش تمثل انواعاً عدة من المصارعة عندهم . واكثر تلك النقوش وجدوها فى بنى حسن والشكل الثانى واحد منها . وكانوا قبل مباشرة الصراع يدهنون أجسادهم بالزيت ويخلعون كل ثيابهم إلا نطاقا يظهر انه من الجلد . ويبدأ الصراع بأن يتقدم أحد المتصارعين نحو الآخر وقد دلى ذراعيه نحو الاسفل ويحاول كل منهما أن يمسك الآخر فى مكان يساعده على غلبه . وكان من الجائز عندهم القبض على أى عضو من اعضاء البدن سواء كان الرأس أم العنق أم الفخذ . وبعد المجاذبة والمدافعة برهة ينتهى الصراع على الارض فمن كان فوق رفيقه عدوه غالباً



ش ٣ ــ لعب الحكم عند المصريين

﴿ لعب الحكم ﴾ هو من ضروب لعب السيف يستبدلون السيف فيه بعصا ولعب الحكم شائع فى بلاد المشرق . وكان مألوفاً عند المصريين القدماء تلعبه النساء كالرجال تماماً . وفى الشكل الثالث امرأتان تلعبان بالحكم وفى احدى يدى الواحدة عصا وبيدها الاخرى الترس وفى منظرهما ما يشجعنا على اتباع هذه الرياضة فى عائلاتنا



ش ٤ ــ رفع الاثقال عند المصريين القدماء

﴿ رفع الاثقال ﴾ وتمرين العضلات برفع الاثقال من العادات المألوفة فى بلاد المشرق ولكنها كانت شائعة فى بلاد النيل قديما على كيفية تشبه بعض ألعاب الافرنج بهذا الشأن . فقد كانوا يصطنعون اكياسا مستطيلة يملأونها رملا ويحاولون رفعها بيد واحدة الى فوق الرأس أو يدورون بها حول الوسط او يحملون بكل يد كيسا او كيسين ، وكانوا يجعلون للظافر جائزة . ناهيك بما كانوا يتعاطونه من ضروب الصيد براً وبحراً وبألعاب الوتد والوثب على قدم واحدة أو قدمين والمسابقة فى الركض وغير ذلك مما يدل على حيوية تلك الامة القديمة التى نشأ فيها غرس التمدن منذ بضعة آلاف سنة . فما أجدرنا أن نتشبه بأولئك الاسلاف ونعول على الرياضة البدنية فان فيها حياة الامة وصحة افرادها

(عن المجلد العاشر)

لفظ الشهر

الشهر لفظ سامى مشترك فى كل اللغات السامية ومعناه الاصلى القمر فهو ܣܗܪܐ (سهرا) فى السريانية و סהר (سهر) فى العبرانية ولكن العبرانيين استبدلوا هذه اللفظة للدلالة على القمر بلفظ ירח (يرح) وبقيت فى (سهر) معنى الاستدارة . على ان « يرح » نفسها اصل معناها دار أو طاف حول الارض . وفى العربية « الرواح العشى من الزوال الى الليل » . ومن غريب ما وقع فى لفظ الشهر من الابدال وتحول المعانى ان « شهر » فى العربية ما تزال تدل على الشهر والهلال واشتق منها معنى الشهرة أى الظهور مثل القمر . ومن هذا القبيل قولهم فى أمثالهم : « وهل يخفى القمر » و « شهر » فى السريانية « سهر » ، و « سهرا » فى السريانية الشهر أو القمر كما رأيت ، والمعنى الاصلى ظاهر فى كليهما وهو القمر

ويدل ذلك على ان حساب الامم السامية كان فى أيام اجتماعهم قمرياً وكانوا يطلقون لفظ الشهر على القمر وعلى الشهر ، ثم غلب عليه فى العربية معنى الشهر وغلب لفظ القمر للدلالة على « القمر » . والاصل فى معنى لفظ « قمر » الاستدارة أيضاً لأنها فى السريانية تدل على المنطقة ويقابلها فى العبرانية « قمور » او « قمرا » لهذا المعنى ، ولعل « كمر » فى العربية منحوتة عنها . وأما البياض فى معنى « القمر » فنظنه مأخوذاً من القمر ، أى انه صار فى لفظ « القمر » معنى البياض لأن القمر ابيض ولم يكن هذا اللفظ يدل على البياض أولا ثم سمى القمر به لبياضه (عن المجلد العاشر)

لفظ «خديوى»

(رد على سؤال)

« الخديوى » لفظ فارسى اصله « خديو » يلفظ « خديف » على الاصطلاح الفارسى . ومما يحسن ذكره ان هذا اللقب مشتق من اصل تشترك فيه اللغة الفارسية واللغات الجرمانية ويدل على اسم الجلالة فهو فى الفارسية « خدا » وفى الانكليزية (God) وفى الالمانية (Gott) وفى الانكلوسكسونية (Gudh) وفى الدانماركية (Gud) وكلها تدل على اسم الجلالة وفيها معنى السيادة والسلطة

فاختاروا لفظ « خديو » أو « خديوى » لقبا لامير مصر تمييزاً له عن سائر ولاة الدولة العثمانية لأن مصر من الولايات الممتازة . وبالقياس على اعمال الدولة الاسلامية تعد مصر من « امارات الاستيلاء » وهى ان يعقد الخليفة لامير على اقليم اضطرارا بعد ان يستولى الأمير على ذلك الاقليم بالقوة . كذلك كانت الدولة الطولونية والدولة الأخشيدية بمصر منذ عشرة قرون . واما صحة التلفظ بهذا الاسم فراجع للعادة (عن المجلد الحادى عشر)

المجاملة من آفات الهيئة الاجتماعية

فى القاموس « جامله عامله بالجميل ولم يصفه الأخاء ـ بضم الياء وسكون الصاد ـ بل ماسحه بالجميل أو أحسن عشرته »

والمجاملة إما أن تكون فى الحديث فتقتصر على المحادثات والمطارحات ، واما فى المعاملة وتتناول الأشغال فى الاخذ والعطاء ـ فلننظر فى كل منهما على حدة

﴿ المجاملة فى المحادثة ﴾ إذا سألت أوربياً أو أمريكياً عن رأيه فى شأن من الشؤون لا يستنكف من التصريح بما يخطر له ولو كان فى قوله ما يسوؤك أو يغضبك . وهى حرية فى القول لامشاحة فى أنها من الفضائل الناجمة عن التعلم الصحيح . وأما إذا وجهت ذلك السؤال إلى شرقى فقد يدرك منه نحو ما أدركه ذاك ولكنه يستنكف من التصريح لك برأيه فجأة فيجعل جوابه لطيفاً يتخلله مايخفف غضبك من الأعذار وهو ما يعبر عنه بالمجاملة . ولا بأس من المجاملة إذا وقفت عند هذا الحد واقتصرت على لطف المعاملة بل هى تفضل على الحرية الجافة لان المجاملة قد تكون من قبيل الدهاء فى السياسة فينال صاحبها بحسن الاسلوب ما لا يناله بدونه . أما اذا تجاوزت هذا الحد فانها تنقلب الى الرياء والخديعة وتصير وبالا على أهلها وسبباً رئيسياً من أسباب انحطاطهم

والمجاملة من الأخلاق الراسخة فى طباع الشرقيين ولا نحسبها فطرية فيهم ، بل نظنها من نتائج ما أصابهم من الذل والاستبداد فى القرون الاخيرة بعدما دالت دولة الشرق واضطر الشرقيون بحكم الطبيعة أن يستسلموا لأهل الغرب أو يقتدوا بهم . يدلك على ذلك ما كان عليه العرب فى جاهليتهم وفى صدر دولتهم بعد الاسلام من حرية القول والعمل ، فقد كان الرجل وهو من آحاد الناس لا يبالى أن يصرح برأيه ولو كان فى تصريحه مايسوء الامير أو الخليفة أو السلطان ، وهو دليل الانفة وعزة النفس وصدق اللهجة ـ وهذه الخلال لاتعيش الا فى ظل العدل والحق والحرية

وفى الحديث المشهور عن الاعرابى مع عمر بن الخطاب وقد قال عمر : « إذا رأيتم فى اعوجاجاً فقوموه » فقال الاعرابى : « لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » دليل على ذلك ، إذ لم يجرئه على هذا القول إلا اعتقاده بعدل الخليفة .

وأمثال هذه الشواهد كثيرة فى كتب العرب مما يدل على ان اخلاق الامم تختلف باختلاف الأعصر والأحوال . وأن الظلم والاستبداد من اكبر البواعث على رسوخ الرياء فى طباع المظلومين فيشيع ذلك فيهم ويسمونه المجاملة . وأما المجاملة على ما نراها شائعة بيننا فانها مجلبة للاضرار بل هى سوس ينخر فى جسم العمران فتضل الناس وتسىء التعامل فلا يثق الانسان بنصيحة ولا يرتكن الى رأى . وقد تقود الى الغرور وخصوصاً فى حديثى العهد فى مخالطة الناس

ويظهر ذلك الغرور خصوصاً فى أرباب الاقلام لانهم اذا كتب أحدهم مقالة أو نظم قصيدة وعرضها على صديق له قبل نشرها أو بعده فاول مايتبادر الى ذهن ذلك الصديق إطراء صديقه الكاتب

أو الناظم فيبذل جهده فى اختراع المعانى وتنميق العبارة المؤدية الى مدحه . والكاتب كما لا يخفى معجب ببنات افكاره فيزيده الاطناب اعجاباً ويحسب نفسه قد فاق الاولين والآخرين علماً وفضلا . واذا كان من أهل الغرور جره ذلك الى التطاول والادعاء فيسقط . ومن الضرر الفاحش ألا يسمع الانسان الا المدح فى أعماله واقواله ، واكثر الناس تعرضاً لهذا الامر اصحاب الجرائد والمجلات . اذ لاتصدر جريدة او مجلة الا ويتسابق الشعراء الى نظم التقاريظ فى مدح خطتها وسمو موضوعاتها ويتفننون فى سبيل الاطناب فى سعة علم صاحبها وغزارة فضله أو صدق لهجته قبل ان يبدو شيء من ذلك على جريدته أو مجلته

وارباب الصحافة انفسهم يقعون فى نفس ذلك الخطأ فاذا ورد عليهم كتاب وكان موضوعه تافهاً فانهم يشعرون بوجوب مدحه وخصوصاً اذا جاءهم صاحب الكتاب بنفسه وحرضهم على مدح كتابه التماسا لرواجه وقد يكتب اليهم فى هذا الشأن يستحثهم ويستنهض هممهم لتقريظ الكتاب تنشيطا للمؤلف ، والغالب فى الصحف أن تجيب الطالب حياء من المؤلف وتنشيطا له وجريا على عادة المجاملة

﴿ المجاملة فى المعاملة ﴾ مهما يكن من اضرار المجاملة فى المحادثة فانها لاتظهر للعيان ظهور اضرار المجاملة فى الاخذ والعطاء لان المعاملات التجارية ونحوها انما تقوم بصدق المعاملة وصراحتها ، فالافرنجى مثلا اذا سألته قضاء حاجة ولم يكن يستطيع قضاءها أو لايريد ان يقضيها قال لك حالا انى لا استطيع ذلك او لا اريده . وقد يكون ذلك الجواب عنيفا لديك ولكنه خير من جواب الشرقى « حاضر » او « من عينى » او « على رأسى » وهو يقول ذلك وينوى ألا يفعل . وقد تخاطبه فى هذا الشأن مثنى وثلاث ورباع وهو يختلق الاعذار ويجدد الوعد ولا يبالى بما تنفقه فى سبيل الانتظار من الوقت وغيره

إذا كلفك صديقك أمراً فاما ان تعده وتفى او ان تصرح له بعدم اقتدارك على القيام بطلبه فتترك له سبيلا للبحث عن مصلحته . ويدخل فى هذا الباب الاخلاف فى المواعيد وخصوصا مواعيد المقابلة فقد يعدك بعضهم بالمقابلة فى الساعة الفلانية فى المكان الفلانى وهو لا ينوى الوفاء او يترك ذلك للتقادير وانما كان وعده حياء منك . ومن الغريب ألا يستحى من اخلافه . وما اثقل ذلك على حديث العهد فى هذه المعاملة ـ على انه لا يلبث ان يألفها لكنه لن يستحسنها لما فيها من ضياع الوقت

ومن ضروب المجاملة فى المعاملة التى ليس للشرقى خلاص منها تحمل مشقة الزيارة فى غير اوانها واكرام الزائر واستطالة زيارته . فالافرنجى اذا زرته فى ساعة له فيها عمل يقضيه لايستنكف ان يقول لك بصريح العبارة : « اعذرنى انى لا اقدر أن أقبل زيارتك الآن لانى مشغول » اما الشرقى فلا نظنه يصل الى هذه الحرية الا بعد أجيال طويلة ونظنها آخر ما يستتم اقتباسه من عادات الافرنج . على أننا نرى اتخاذ هذه الحرية لازما فى احوال اضطرارية والزائر اذا كان صديقا لا يرضى بخسارة صديقه او مضايقته . ولكن لابد من لطف الاسلوب فى الاعتذار (عن المجلد الحادي عشر)

حب الشهرة من دعائم العمران

الشهرة في الحقيقة وهم وطلابها انما يطلبون وهماً لانها لاتسد جوعا ولا تدفع مرضاً ولا تقى من برد أو حر . ولكن يندر فى الناس من لا يتطلبها وان تفاوتوا فى أساليب السعى فى طلبها كأنها من جملة حاجات الانسان . على أنه لايتلمسها فى الغالب إلا بعد ان يحصل على الكفاف من حاجاته البدنية . فاذا أمن الجوع والبرد والحر وصان نفسه من غوائل الحيوانات المفترسة طلب حسن الاحدوثة (الشهرة) ويندر ان يكتفى بما يناله فاذا شبعت نفسه منها طلب شهرة تبقى بعد موته يعبرون عنها بالذكر الجميل . وتعليل ذلك فى اعتقادنا أن الانسان مفطور على حب السيادة وطول البقاء وكلاهما من ثمار حب الذات لان من أحب نفسه أحب لها الراحة والرفاهية ولا يتهان على زعمه بغير السيادة أو الغلبة لانه اذا ساد او غلب ضمن لنفسه الحصول على لوازم الحياة وأمن الفقر ، وأحب ان يطول زمن تلك الراحة وهو البقاء . فالانسان يشترك فى مطالبه الاولى مع سائر الحيوانات فى التماس الطعام والمأوى ، ثم يفترق عنها بحسب الظاهر بطلب السيادة والبقاء . والسيادة فى أبسط أحوالها أن يتسلط الانسان على من حوله من الرفاق فيكون له فيهم الكلمة النافذة ، فاذا قال أو فعل اذعنوا له وأطاعوه واذا جاء أو ذهب احترموه وبجلوه . فمن لم يستطع السيادة الحقيقية على من حوله اكتفى بالاحترام الذى يبدونه له . وهم لا يفعلون ذلك إلا وفى نفوسهم اقرار له بشيء يمتاز به عنهم . فالاحترام عبارة عن الاقرار بسيادة معنوية ، ولما كانت السيادة الحقيقية لا تتأتى الا لنفر قليل من الناس اكتفى الاكثرون بالسيادة المعنوية اى الاحترام

فاذا نال الانسان احترام اهله وجيرانه طلب احترام اهل بلده ثم أهل البلاد المجاورة وغيرهم الى ما يبلغ اليه امكانه وهى الشهرة . والناس يتفاوتون فى طلبها كتفاوتهم فى مطامعهم واميالهم ومواهبهم بين من يكتفى باحترام امرأته واولاده ومن لا يرضى باحترام الناس كافة . فاذا ناله طلب ما وراء ذلك وخصوصاً متى تذكر الموت فانه يرى شهرته ذاهبة ضياعاً ، فاذا كان من اهل التقوى فلا يهمه امر هذه الحياة طالت اوقصرت ، والا فانه يطلب «البقاء بعد الموت» فيسعى الى ذلك من سبل تختلف باختلاف اطواره ومطامعه ومواهبه . فبعضهم يكتفى ببقاء ذكره بمن يخلفه من البنين ، والبعض الآخر يبنى المدائن والقصور ، وآخرون يقفون اموالهم لعمل الخير بعدهم ، وغيرهم يبنون الكنائس أو الجوامع أو السبل ونحوها . ولمثل هذا الغرض بنيت الاهرام ونحتت المسلات وأقيمت الانصاب فى زمن التمدن القديم . ومنهم من يستبقى ذكره بعمل جليل من فتح او بنيان او تأليف كتاب أو نحو ذلك . فالذين يعملون لبقاء ذكرهم انما يطلبون البقاء بعد الموت وهذا باطل والذكر ولو بقى لافائدة به لصاحبه لانه قد لاينفعه فى حياته وهو يرى ويتنفس ويسر ويحزن فكيف بعد ان يصير ترابا او يتحول الى نبات . . .

فالشهرة وان عددناها من ملازمات الاحياء فانها عند اهل الحقيقة من الاوهام الباطلة للاسباب التى قدمناها . على أننا لو نظرنا فيها من حيث الاجتماع البشرى واعتبرنا فائدتها بالنظر الى المدنية رأيناها من أقوى دعائم العمران ولو ذهبت لاختل نظام الاجتماع واصبح الناس فى خطر عظيم . لان

الناس مترابطون فى مصالحهم مشتركون فى اعمالهم لا يستغنى بعضهم عن بعض بين رئيس ومرءوس واستاذ وتلميذ وتاجر وصانع وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم . ولا بد لحفظ حقوقهم من وازع قوى يرد القوى عن الضعيف ويردع الظالم عن المظلوم . والوازع العام الحكومة . ولكنها مهما بلغ من تيقظها وعدالتها لاترد من الحقوق الا نقطة من بحر لانها انما تحكم فيما يتصل به علمها من الحوادث التى يعرفها الناس بل هى لا تطلع الا على جزء صغير من تلك الحوادث . فكيف مايبقى فى طى الكتمان من المنكرات التى يرتكبها البشر ولا رقيب عليهم . فكم فى عالم الغيب من سرقات ومظـــالم وفظائع ارتكبها بعض الناس ولم يعلم بها أحد سـواهم وقد يكون مرتكبوها من أهل المناصب الكبرى وذوى المقامات الرفيعة . وكم تحت التراب من أعمال ذهب اصحابها ولا تزال سراً مكتوماً فى عالم الخفـاء ولن تزال الى الابد

فالحكومة لا تكفى وحدها لانصاف المظلومين وكبح جماح الظالمين ورد القوى عن الضعيف ومنع الناس عن إتيان المنكرات ـ فهى الوازع الأصغر الثانوى . وأما الوازع الاكبر الرئيسى فهو « الدين » لانه يقاص المجرمين على ما يرتكبونه فى الخفاء وان لم تقع عليهم عيون بشرية وعقابه أشد كثيراً من عقاب الحكومة وأطول زمناً بل هو يغرس فى نفس الانسان ما يردعه عن المعاصى أو يوبخه على ارتكابها وهو الضمير . فلولا شيوع التدين وخصوصاً فى الطبقات السفلى من الناس لكانت الحقوق فوضى وأكل القوى الضعيف مما لايتصوره العقل ولم يتفق فى عصر من العصور

فالدين اذا كان عاماً فى طبقات الناس ومتمكناً فى نفوسهم أغناهم عن الحكومة وكان خير ضـامن لحقوقهم وأحسن رادع للقوى عن الضعيف . ولكن البشر يتفاوتون فى مواهبهم ومعارفهم ومعتقداتهم وفيهم المؤمن والمعطل والجاحد . فما الذى يردعهم عن ارتكاب الجرائم السرية التى لا يخافون وصولها الى الحكومة ؟ قد يكون الجواب انهم انما يردعهم عن ذلك آدابهم أو فضائلهم أو شرفهم . ولكن هذه الالفاظ لا معنى لها ان لم يرد بها حسن الأحدوثة أو المحافظة على الشهرة . فالمعطلون انما يردعهم عن ارتكاب المنكرات السرية خوف اشتهارها فينثلم صيتهم وتتشوه شهرتهم فيقل احترام الناس لهم . فكم من بطل خاض غمار الحرب فلم يقلقه اطلاق القنابل ولا خاف مراهف السيوف فلما خشى ان ينثلم صيته من انكشاف منكر ارتكبه سراً أعظم الامر ولم يجد له مخرجاً من ذلك الشقاء الا بالانتحار وكم من سيد قادر لايمنعه من ارتكاب المحرمات وهضم حقوق الناس دين وانما يمنعه خوف الفضيحة وذهاب الشهرة

على ان حب الشهرة لا يقصر على منع المظالم والمنكرات ولكنه كثيراً ما يكون حاثاً على الفضائل حتى فى المتدينين . فان اكثر المحسنين واهل البر يلتمسون مع الاجر فى الآخرة حسن الاحدوثة فى الدنيا . ناهيك بالذين يحسنون التماساً للشهرة فقط وقلما يهمهم أمر الاجر والثواب وهم كثيرون . ولو دققت النظر واعملت الفكرة لرأيت الجانب الاعظم من اهل الاحسان انما يحسنون فى سبيل الصيت الحسن وخصوصاً فى هذا العصر فان الناس لا يعملون حسنة إلا وهم ينظرون من ورائها اما الى نفع مادى او الى « نفع أدبى » وهو الشهرة ، حتى الحكام أنفسهم فانهم انما ينصفون الناس عملا بالواجب

ومفاد هذا الواجب انهم اذا لم يعملوا بالحق اضروا بشهرتهم . فالاسباب الحاثة على الفضيلة (غير الدين) كثيرة ولكنك اذا تدبرتها وحللتها رأيتها ترجع الى حب الشهرة والتماس حسن الاحدوثة فى أثناء الحياة أو بعد الممات . وقد يفعل بعض الناس الخير لانه خير بما تمكن فى نفوسهم من حب الفضيلة بالتربية الحسنة او العادة وهم قليلون (عن المجلد الثالث عشر)

هل الانسان شخصان

اذا عرض لك شيء تشتهيه شعرت فى نفسك بميل الى أخذه وقد لا يكون لك حق فى ذلك فتشعر بشيء ينهاك عن أخذه فتبقى ساعة وانت تتردد بين الرأيين حتى يغلب عليك احدهما . فاذا غلبت الشهوة فأخذت ذلك الشيء شعرت وانت تأخذه انك أطعت قوة فيك وخالفت قوة أخرى . ويعبرون عن هاتين القوتين بالعقل والعواطف . وقد يحتدم الخلاف بين هذين العاملين احتداماً شديداً حتى يظهر أثره فى صاحبهما فيصاب بالصداع أو بانقباض النفس . ويختلف شعور الناس بهما باختلاف درجات الاحساس فيهم ، على انهما يتعاظمان فى بعض الناس حتى يتوهمهما ذاتين مستقلتين فيه . ومن هذا القبيل ما ذكرته التواريخ عن بعض المشهورين من عظماء الناس انهم كانوا يسيرون فى أعمالهم بمشورة روح يسمعون صوته يعبرون عنه بالهاتف

فبناء على ذلك وأمثاله قام فى اذهان بعض علماء النفس ان فى الانسان غير قوة أو ذات . ودارت البحوث بينهم فى : هل الانسان ذاتية واحدة او ذاتيتان او اكثر – اى هل فى الانسان قوة واحدة تدير شؤونه أو قوتان تتناوبان العمل فيه والتأثير عليه أو تعملان معاً ، وهل له وجدان واحد او وجدانان ، ولهم فى ذلك اقوال عدة اكثرها مبنى على المشاهدة ومسند الى نواميس الطبيعة . وآخر من ألف فى هذا الموضوع عالمان امريكيان من علماء النفس وهما هرفرد ويال ألفا كتاباً كبيراً ظهر فيما مضى وكان له رنة فى عالم الادب الانجليزى لما حواه من الحقائق الجديدة والامثلة الواقعية مما يندر مثاله . ونكتفى فى هذا المقام بمثل مما اورداه لاثبات تعدد الذاتيات فى الانسان وهو حكاية قسيس انكليزى اسمه القس حنا اصيب بصدمة تغير فيها ادراكه وانقلب شعوره على اسلوب غريب وذلك :

ان القس المذكور اسمه توما كرسن حنا من طائفة البابتست . اصله من عائلة عريقة فى الحسب والنسب فضلا عن تقواه وعقله وفصاحته وانقطاعه الى واجباته فى التبشير والوعظ ، ويعرف العبرانية واليونانية واللاتينية والانكليزية والألمانية . ولذلك لم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى صار رئيس كنيسة كبيرة . وكان صحيح العقل والجسد لم يظهر فى سيرة حياته ما يدل على غير التعقل والتقوى وصفاء الذهن ونقاوة السيرة . ففى سنة ١٨٩٧ بلغ السادسة والعشرين من عمره واتفق فى مساء ١٥ ابريل من تلك السنة انه كان راكباً فى مركبته فاصطدمت بشيء وانقلبت فوقع القس حنا على أم رأسه فأصيب بغيبوبة فحملوه وقد غاب رشده ولم يبق فيه من دلائل الحياة إلا تنفس ضعيف جداً ، فظنه الاطباء فى

حالة النزع فحقنوه تحت الجلد بجرعة كبيرة من الستركنين ففتح القس عينيه ونهض بغتة وهجم على أحد الاطباء يريد اغتياله . فخافوا منه وتعاونوا عليه فلم يستطيعوا رده وقد اصبحت قوته اضعاف ما كانت عليه من قبل فتكاتفوا حتى غلبوه وشدوه بالحبال الى السرير فلما ذهبت نوبة الهياج حلوا وثاقه وكأنما كان نائماً وأفاق فتلفت يميناً وشمالا ولم يتكلم ولا ظهر فى ملامح وجهه انه يريد التكلم ولا انه يفهم الكلام . ثم علموا ان « حنا » بعد الوقعة غير حنا قبلها وكأنه ولد ولادة جديدة وقد ذهب علمه واختباره وعقله وأضاع آدابه وتهذيبه وعاد الى حال الطفولة يشعر ولكنه لا يفهم ولا يتكلم ولا يميز الأبعاد او الأوزان ولا يستطيع الازدراد ولا يعرف كيف يحرك اعضاءه . ونسى سابق حياته نسياناً تاماً ، على انه كان يمتاز عن الاطفال باقتداره على التقليد بسرعة فاذا علموه حركة كما يعلمونها الاطفال كان اسبق منهم الى فهمها . وكان أول وهلة يتوهم الاطباء وسائر ما فى غرفته صورة لا جسم لها . ثم جعل يميز تجسمهم وحركاتهم وصار يسمع اصواتهم ويقلدها ، فأصبح فى اليوم الثالث قادراً على التلفظ ببعضها . وأول كلمة تعلم نطقها « تفاحة » ثم لفظ « الساعة » وعلموه الضمائر البسيطة وكانوا يغذونه بالسوائل لأنه لا يحسن المضغ ثم تعلمه كما يتعلم الطفل وكان الازدراد من اصعب الامور عليه . وقدموا له المرآة فلما رأى وجهه فيها قلبها إذ توهم انه يرى رجلا وراءها كما يتبادر الى اذهان الاطفال فى مثل تلك الحال

وخلاصة القول انه تدرج من حال الطفولة الى الحداثة الى البلوغ كما يتدرج الاولاد بالفهم والنطق والاختبار ولكن بسرعة عظيمة . فلم يمض عليه أسبوع حتى تعلم القراءة وكل شىء فيها جديد عنده ولم يستطع لفظاً لم يعلموه إياه ولم يكن يعرف شيئاً عن الدين أو المسيح أو الله . وفى ١٥ مايو أى بعد مضى شهر من وقوعه تعلم الكتابة وقواعد اللغة ولم يعد يغلط فى الاملاء أو الاعراب ونضجت فيه قوة الحكم ـ قضى فى ذلك ستة أسابيع تحول فيها من الطفولة الى الشباب وهو فى كل حال شخص آخر غير ما كان عليه قبل وقوعه من المركبة وان تشابهت قواه ومداركه فى الحالين . فحنا الثانى غير حنا الاول وكأنهما شخصان لا يعرف احدهما الآخر

ثم بدأ التعارف بين ذينك الشخصين فى المنام فأخذ حنا الثانى يرى حنا الاول فى الحلم ولما قص رؤياه على أبيه ادرك للحال انه يحلم بطفولته الاولى لأنه رأى فى منامه الاشباح التى كان حنا الاول رآها فى صباه . ثم تدرج فى ذلك فأخذ ماضيه ينجلى له رويداً رويداً ، ولم يكن حنا الثانى يعرف العبرانية فقرأ عليه بعضهم فصلا من سفر التكوين فتذكر انه يعرف ذلك من قبل وقرأ ما بعده . وكان اذا سئل عن شعوره يقول انه يشعر بشخص آخر يتكلم فيه فيخاف

ثم رجعت اليه صحته وشفى تماماً وهو ما يزال شخصاً آخر فحملوه الى نيويورك لتبديل الهواء لعله يسترجع رشده . فأخذوه الى ناد عام مضاء بالكهربائية تعزف فيه الموسيقى وقد علت ضوضاء الناس وكثرت جلبتهم وأبقوه فى وسط الضوضاء ثلاث ساعات ثم اخذوه الى فراشه فنام وأفاق بعد ثلاث ساعات أخر وسأل أخاه « أين أنا ؟ » يخاطبه بلسان حنا الاول . فاخبره انه فى نيويورك فاستغرب وجوده هناك ولم يفهم كيف انتقل الى تلك المدينة لأنه لا يذكر شيئاً مما أصابه بعد وقوعه . وسئل عن اليوم الذى هو فيه فقال انه ١٥ ابريل والحقيقة انه ٨ يونيو . ولما أخبروه انه كان مريضا ظنهم يمازحونه .

وكان فى الليل الماضى قد دخن تبناً وهو لم يتعود التدخين من قبل فلما رجع الى حاله الاولى فى ذلك الصباح استغرب طعم التبغ فى فيه ـ قضى فى تلك الحال نحو اربعين دقيقة ثم عاد الى رقاده وأفاق فى الصباح وهو حنا الثانى بطباعه الجديدة وأخلاقه الجديدة و بما اكتسبه من المعارف فى عمره الجديد ، فأخذ أطباؤه يسعون فى إرجاع الرجل الى رشده الاول وفى جملة وسائلهم انهم سقوه القنب الهندى (الحشيش) فنام طول ليله ولما أفاق اذا هو حنا الاول ثم عاد فنام وأفاق فرجع الى حنا الثانى تردد فى ذلك أياماً والأطباء يخبرونه بما كان منه فى كل مرة لعلهم يسترجعون رشده وبعد تعب شديد اختلط الشخصان وعاد القس حنا الى ما كان عليه فى حاله الاولى

نقول : وقد اتفق مثل هذه الحادثة على يد صديقنا الدكتور شميل فى القاهرة سنة ١٨٨٧ ورأيناها رأى العين وقد شرحها فى السنة الثانية من الشفاء . وذلك ان رجلا من اهل القاهرة عصبى المزاج نحيف البدن سنه ٣٧ سنة أصابه وهو فى العشرين من عمره نوب تشنجية لازمته بضعة اشهر ثم زالت وعادت اليه بعد سبع سنين على اثر حزنه على وفاة أبيه ولم يطل مكثها فزالت بعد ثمانيـة ايام وكان قد تزوج منذ بضع عشرة سنة وولد له أولاد كثيرون لم يعش منهم إلا بنت وتوفى الباقون بالتشنج . وكان الرجل المذكور حسن العشرة لطيف الخلق متكلما فصيحاً يعرف العربيـة والفرنسية جيداً وبعض الايطالية والفارسية والتركية مع ثبات فى مشروعاته الى حد العناد . فعرض له قبل الحادثة بخمس سنوات دعوى مالية مهمة يتوقف عليها مستقبل حياته . وبعد التعب فى المحاكمات ونحوها خمس سنين خسرها نهائياً فى اول يونيو سنة ١٨٨٧ فاصابه فى ذلك اليوم ذهول وانقطع عن الكلام . وكان يومئذ فى الاسكندرية فسافر به بعض أصدقائه الى القاهرة وعهدوا بمعالجته الى الدكتور شميل فاهتم بشأنه لغرابة الحادثة فبقى الرجل ١٥ يوماً لم يتناول فيها غير الماء والقهوة مع تدخين التبغ ـ قضى هذه المدة فى اختلاط الذهن ولم يكن يستيقظ إلا اذا صبوا الماء على رأسه فينتبه قليلا ثم يرجع الى حاله ، ورضى اخيراً ان يتناول شيئاً من اللبن . ثم أصابه الرعاف بكثرة ولازمه عدة ايام ولكنه لم يؤثر كثيراً فى صحته . وكان فى كل مدة اختلاطه يتصور نفسه فى اليوم الذى أصيب فيه وفى المكان الذى كان فيه يوم الاصابة فاليوم يوم الاربعاء أول يونيو والمكان اللوكاندة التى كان نازلا فيها بالاسكندرية . وكان وهو فى اختلاطه فى أطوار وأخلاق غير التى كان عليها فى حال صحوه . فهو من طبعه لا يدخن التبغ فكان اذا اختلط دخنه فاذا صحا من اختلاطه استغرب رائحة التبغ فى غرفته ونفر منها وطلب الى اهل المنزل ان يفتحوا النوافذ لتنظيفها من تلك الرائحة . وتقلب على الرجل احوال شتى كلها غرائب وكثيراً ما كان يكشف اموراً حدثت فى مكان بعيد وهو فى فراشه مما يطول شرحه . وقد تنبأ بيوم شفائه فقال انه سيكون فى يوم كذا وتمت نبوءته . وجملة القول ان بين هاتين الحادثتين مشابهة من اكثر الوجوه إلا ان هذا لم ينس علمه ولا عاد الى الطفولة

فبمثل هذه الحوادث يستدل بعض علماء النفس على ان الانسان شخصان او اكثر . والموضوع ما يزال فى حاجة الى التمحيص والتعديل (عن المجلد الثالث عشر)

رباطة الجأش عند الموت

أنفة عربية وشجاعة بدوية

روى ان هدبة بن حشرم العذرى قتل زيادة بن زيد العذرى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان فلما حملوه الى معاوية تقدم عبد الرحمن أخو زيادة المقتول فادعى عليه فقال معاوية لهدبة : « ما تقول ؟ » قال : « أتحب أن يكون الجواب شعراً أم نثراً ؟ » قال : « بل شعراً فانه أمتع » فقال هدبة :

رمينا فرامينا فصادف سهمنا ... منية نفس فى كتاب وفى قدر
وأنت امير المؤمنين فما لنا ... وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تك فى أموالنا لا تضق بها ... ذراعاً وان صبراً فتصبر للصبر

فقال له معاوية : « أراك قد أقررت يا هدبة » قال : « هو ذاك » فقال له عبد الرحمن : « اقدنى » فكره ذلك معاوية وضن بهدبة على القتل . وكان ابن زيادة صغيراً فقال معاوية : « وما عليك أن تشفى صدرك وتحرم غيرك » . ثم وجه به الى المدينة فقال : « يحبس الى ان يبلغ ابن زيادة » فبلغ ووالى المدينة سعيد بن العاص . ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى إلا القود ، فلما خرج به ليقاد جعل ينشد الاشعار وامرأته تولول خلفا ، ومن قوله :

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ... ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أبتغى للشر والشر تاركى ... ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحربنى مولاى حتى خشيتــــه ... متى ما يحربك ابن عمك تحرب

ثم نظر الى امرأته فدخلته غيرة وقد كان جدع أنفه فى حربهم فقال :

فان يك أنفى بان منه جماله ... فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت : « قفوا عنه ساعة » ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت أنفها وقالت : « أهـذا فعل من له فى الرجال حاجة ؟ » فقال : « الآن طاب الموت » ثم أقبل على أبويه فقال :

ابليانى اليوم صبراً منكما ... ان حزناً منكما اليوم لشر
ما نظن الموت إلا هيناً ... ان بعد الموت دار المستقر

ثم قال : ـ أذا العرش انى عائذ بك مؤمن ... مقر بزلاتى اليــــك فقير
وانى وان قالوا أمير مسلط ... وحجاب ابواب لهن صرير
لأعلم ان الامر أمرك ان تدن ... فرب وان تغفر فانت غفور

ثم أقبل على ابن زيادة فقال : « أثبت قدميك وأجد الضربة فانى أيتمتك صغيراً وأرملت أمك شابة » . ويزعم بعض اهل الاخبار انه قال : « ما اجزع من الموت وآية ذلك انى أضرب برجلى بعد القتل ثلاثاً » ، وهو باطل موضوع ولـكنه سأل فك قيوده ففكت فقال :

فان تقتلونى فى الحديد فاننى　　　قتلت أخاكم مطلقاً لم يقيد

(عن المجلد الرابع عشر)

أقدم مدن العالم

هى مدينة « بسميا » اكتشفها فى أنقاض بابل الدكتور بانكس وكان قد استأذن الدولة العليـة سنة ١٩٠٠ فى التنقيب عن آثار مدينة « أور » التى خرج منها ابراهيم الخليل فلم يؤذن له وأراد ان يستأذن لمكان آخر فمنع . وتمكن سنة ١٩٠٣ من الحصول على الارادة السنية للبحث عن بسميا . ولاقى مشقات كثيرة فى أثناء العمل لقلة المياه للفعلة . ووصل اخيراً الى خرائب مساحتها ميل فى نصف ميل ولا يزيد علو انقاضها على اربعين قدماً . وعثر على قرميدات بعضها منقوش سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد ، واكتشف أخيراً مصطبة مبنية من القرميد المحدب وكان البابليون يستخدمونه فى البناء نحو سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد ولم يعثر على أقدم من ذلك . فآثار هـــذه المدينة تختلف قدماً بين سنة ٢٧٥٠ و ٤٥٠٠ قبل الميلاد . ووجد بين الأنقاض تماثيل من الرخام فى جملتها رأس من الألاباستر ، وجهه مستطيل نحيف أنفه سامى وعيناه مجوفتان فيهما مقلتان من عاج قد ألصقتا بالقار وذهب انساناهما . ولم يسبق لعلماء الآثار انهم عثروا على مثل هذا الرأس ، وهو أول رأس سامى كشف فى آثار بابل ، وتاريخه ٣٨٠٠ قبل الميلاد . ثم اكتشف الدكتور بانكس تمثالا كاملا تاريخه على ما يظن سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد ويستدل من قراءة ما عليه من النقوش ان التمدن البابلى كان يومئذ فى إبانه . وكان هذا التمثال خاتمة النقب لأن الفعلة اختصموا وكفوا عن العمل . ومما تحققوه باكتشاف هذه المدينة ان البابليين كانوا يحرقون جثث موتاهم وكان العلماء قبلا يقولون ذلك على سبيل الظن فوجد الدكتور بانكس فى بسميا المكان الذى كانوا يحرقونها فيه

(عن المجلد السادس عشر)

حرية القول عنوان ارتقاء الأمة

الحرية ثلاث درجات : حرية الفكر ، وحرية القول ، وحرية العمل . فحرية الفكر هى أن تطلق الحرية للفكر ليتصرف فى المسائل التى تعرض عليه ويحكم فيها على مقتضى نواميس العقل . وقد يستغرب القارىء هذا التعريف لاعتقاده ان ذلك هو الواقع وان كل انسان ينظر فى الامور على هذه الكيفية فهو حر الفكر . والحقيقة ان احرار الفكر قليلون ولا سيما بين اهل التقاليد والتعصب . إذ لايخلو الانسان من عوامل أثرت فى فكره من الصغر او رسخت فيه بالمزاولة حتى صارت جزءاً من وجدانه كأنها أظلال ذات ألوان تغشى العقل فلا ينظر فى القضايا المعروضة عليه إلا من خلال تلك الأظلال فتتلون أفكاره بها . وقد يغلب عليه اعتقاد يسبق الى ذهنه صدقه فيجعله قاعدة يقيس عليها ما يعرض له ولا تصدر عليه أحكامه إلا اذا وافقت ذلك الاعتقاد . ولا ينتبه الناس الى قيود الفكر إلا اذا امعنوا النظر فى اسرارهم وخاطبوا وجدانهم بعد تجريده من العوامل الراسخة او الاعتقادات الغالبة

وحرية الفكر اول خطوة فى سبيل الرقى الاجتماعى بل هى اساس ذلك الرقى . ولكن حرية القول أعظم اهمية منها بالنظر الى سير ذلك الرقى ونموه لأن الانسان اذا أخطأ فى فكره انحصر ضرر ذلك الخطأ فى نفسه فلا خوف على الامة منه . اما حرية القول فهى عنوان ارتقاء الامة وأصحابها هم خدمة المصلحة العامة . ويراد بحرية القول أن يقول الانسان ما تدله عليه حرية الفكر أى أن يصرح بما يعتقده بلا تدجيل او مداجاة او تمويه فلا يقول شيئا وهو يعتقد خلافه . وتظهر حرية القول بمظاهر تختلف باختلاف الاحوال . ففى المعاملات الشخصية بين الناس يعبر عنها بالصدق ، وفى معرض الارشاد أو التنبيه يقال لها صدق اللهجة او الصراحة فى القول ، وفى سبيل الانتقاد او الاعتراض تسمى الشجاعة الادبية . ومهما اختلفت اسماؤها وألقابها فانها ترجع الى تحديد بسيط هو « ان يقول الانسان مايعتقده » وأرقى طبقاتها جميعاً « الاعتراف بالخطأ والاقرار بالعجز » أى ان يقول الانسان ما يعتقده ولو كان على نفسه . وعندنا ان الانسان لا يزال مخطئاً حتى يستسهل الاعتراف بالخطأ فيصير مصيباً . ولا يزال ضعيفاً حتى يعترف بالعجز فيصير قوياً — لأن الاعتراف بالخطأ صواب والاقرار بالعجز قوة . . .

ومن نتائج المداجاة كثرة الألقاب ونعوت التفخيم . وقد شاع ذلك حتى بين العامة فى مخاطباتهم فبعد أن كان الخلفاء يخاطبون الناس بمراسلاتهم بقولهم : « من عبد الله فلان (الخليفة) الى فلان» أصبحوا يقولون : « انا سلطان السلاطين وملك الملوك الفاتح الغازى » الخ وبعد ان كان الناس يخاطبون الخليفة بقولهم : « امير المؤمنين فلان » لقبوه بظل الله على الارض ونور العالمين و و ... الخ

واذا نظرت الى الأمم الراقية اليوم رأيتها تقرب من الارتقاء بقدر تعويلها على حرية القول أى ان اكثرها حرية أرقاها منزلة وأقواها شوكة . هذه أمة الانكليز وليس من ينكر منزلتها فى السياسة والثروة والجاه فان اهلها اكثر الامم صراحة فى اقوالهم . وقد يبالغون فى تلك الصراحة حتى تظهر منهم أحياناً مظهر الفظاظة والخشونة كأن يذكر احدهم لصديقه او رفيقه عيبه فى وجهه مما يعده الشرقيون خشونة ويعدلون عنه الى المجاملة ولكنهم يتمادون فى مدلولها ويتطرقون منها الى المداجاة والرياء حتى

أصبح احدنا يستحيل عليه ان يعرف حقيقة منزلته بين اقرانه . ومن كان سريع التصديق صغير النفس أخذه الغرور وقضى ايامه وهو يعتقد نفسه فى منزلة هو بالحقيقة أحط منها كثيراً ولو أتيح له أن يسمع اقوالهم فى غيابه لرأى فرقاً بعيداً

ولا يخفى ما فى ذلك من الضرر لأن الانسان اذا عرف خطأه اجتهد فى اصلاحه واذا فهم عجزه وقف عند حده . فالمداجاة تقف فى سبيل تقدمه وتقضى على مستقبله ـ انه ضرر بليغ ولكنه لا يذكر بالقياس على الضرر الذى يعود على الجماعات اذا غرر بهم الخطباء أو المعلمون . وأبلغ من كليهما الضرر الذى ينجم عن مداجاة الصحافة لأن اصحابها قادة الافكار وهى عنوان آداب الامة ، اذا قال الخطيب قولا يسمعه مائة او مئات مرة واحدة فقط ، اما الصحيفة فيقرأها الألوف وقد يراجعونها مراراً ويتناقلونها فى الاعقاب . ان مهمة الصحافة فى خدمة الامة اعظم كثيراً مما يتبادر الى أذهان الناس . فهل هى تقوم بما عليها فى مصر ؟

ان الصحافة العربية بمصر ارتقت فى أوائل هذا القرن ارتقاء بيناً فاتسعت موضوعاتها وتعددت صفحاتها وصارت تبذل الاموال فى استخدام مهرة الكتاب والمكاتبين وفى الحصول على الرسائل التلغرافية واستطلاع الاخبار الهامة ، وهى تكتب المقالات الضافية فى الاحوال الداخلية والخارجية وقد ارتفع صوتها وقوى نفوذها ـ فلو كانت مع ذلك كله حرة القول أى لو كانت تقول للناس ما تعتقده نهضت بالامة نهوضاً حسناً ـ لا نتهم الصحف كلها بهذا القصور على السواء وان كانت تشترك فى المجاملة والمجاملة لا بأس منها أحياناً ولكنها لا تخرج عن كونها تخالف حرية القول ولا فاصل بينها وبين المداجاة . والصحافة منبر يعلوه الخطيب والمعلم والناصح والمتظلم يعظون ويخطبون وينقمون ويتظلمون يسمعهم المئات والالوف فيتوقف على نشر اقوالهم العمران او الخراب . فأرباب الصحافة مسؤولون عن ارشاد الامة الى ما فيه خيرها جهد طاقتهم . وقد نغتفر لهم خطأ يقعون فيه عن تسرع أو جهل لان العصمة لله وحده ولكنهم مسؤولون عما يفهمونه ويقولون فيه غير ما يعتقدون مراعاة لمصلحة أو اكراما لخاطر

ان الامة التى بلغت مثلما بلغت اليه مصر فى العهد الاخير من الرقى الاقتصادى والسياسى حتى كأنها جزء من أوربا وقام اهلها يتمثلون بأمم تلك القارة ـ ان الامة التى هذا شأنها لا تزال فى خطر التقهقر أو السقوط حتى تتعود صحافتها حرية القول فتصدق قراءها النصيحة وترشدهم الى الصواب وتكون قدوة لهم فى صدق اللهجة والشجاعة الادبية . وقد يعتذر بعض أرباب الاقلام بأنهم يكتبون فى صحفهم ما يروج لدى قرائهم ولو كتبوا الحق لكسدت بضاعتهم وعادت عليهم بالخسارة . وهو عذر ضعيف لان الصحافة غير التجارة او الحياكة أو الخياطة لا ينبغى أن تكون رهن ارادة « الزباين » فى شكل ما يطلبونه من الادوات او الاثواب ـ حتى النجار أو الحائك اذا رأى زبونه على ضلال ارشده الى الصواب وبين له خطأه فى طلبه بما له من الاختبار فى صناعته . فكيف بالصحافة وهى مدرسة تعليم وارشاد وأصحابها أساتذة الامة وقادة افكارها ؟ فاذا كان القراء فى ضلال فعلى الصحافى ارشادهم ولو أغضبهم ، فلا يلبثون ان يعرفوا الصواب فيشكروه . وقد لا يغضبهم اذا احسن الاسلوب فى تفهيمهم

(من المجلد السابع عشر)

هل السوريون عرب أو ما هم

السوريون قبل الاسلام

ان السوريين ويراد بهم غالباً اهل الشام والعراق وما بين النهرين وفلسطين يصعب تعيين أصولهم لكثرة ما توالى عليهم من الدول قديماً وحديثاً . فقد كانت هذه البلاد فى أقدم أزمنة التاريخ مأهولة بشعوب سامية تتقارب نسباً ولغة . اما قبل نزول الساميين فكانت مقاماً لامم لايعرف أصلها . وكان الساميون أقوى منهم فغلبوهم واستقروا فيها وأخذ اولئك بالانقراض قبل الميلاد بعدة قرون . وهاك ترتيب مساكن الساميين هناك من الشمال الى الجنوب : الآراميون (السريان والكلدان) فالفينيقيون فالعبرانيون فالانباط . وخالطتهم أمم شتى غير سامية أقامت بين أظهرهم فى بقاع مختلفة من بلادهم غير بقايا الشعوب الاصلية مما يطول بيانه ، ولكن الساميين تغلبوا عليهم جميعاً وعاشت أديانهم وآدابهم وعاداتهم

على ان مركز هذه البلاد الجغرافى جعلها عرضة لمطامع الفاتحين من الامم القديمة كالحثيين والمصريين والاشوريين والفرس ، فكانوا يتناوبون فتحها او اكتساحها وتتقاطر شعوبهم اليها . ولكن الامر لم يستقم لدولة من الدول فى سوريا كما استقام لليونانيين خلفاء الاسكندر . فان هذا القائد العظيم فتح هذه البلاد فى القرن الرابع قبل الميلاد وأوغل فيها ثم صيرها خلفاؤه يونانية وتوافد اليها اليونان وأقاموا فيها واختلطوا بأهلها ولا سيما بعد ظهور النصرانية . وقد دخلت فى سلطة الرومان ولكن العنصر اليونانى ما زال متغلباً عليها واكثر تغلبه على سواحل بحر الروم ، ويضعف شأنه فى الداخل تدريجاً

ومع ذلك الاختلاط ظلت الشعوب السامية محافظة على آدابها وعاداتها ولغاتها ولا سيما اليهود فانهم مع ما أصابهم من الاضطهاد والسبى ظلوا من حيث الآداب والدين نحو ماكانوا عليه فى أيام داود وسليمان ، إلا ما أصاب لغتهم من التغيير فى أثناء السبى ببابل فانها اختلطت بالسريانية والكلدانية وعرفت باللغة الآرامية أو الكلدانية ، وبها كتبوا التلمود وانقسموا الى اليهود والسامريين . أما من بقى من الشعوب السامية ـ ولا سيما الآراميين ـ فتنصروا وانفردوا بآدابهم وعاداتهم واكثرهم كانوا يقيمون فى العراق وما بين النهرين وأعالى سوريا الى فلسطين

فكانت حدود الشام الغربية على سواحل بحر الروم يغلب فيها العنصر اليونانى . وحدودها الشرقية مما يلى البادية يغلب فيها العنصر العربى . وكان هناك من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد أمة عربية عرفت بالأنباط او النبط كان مقامهم وراء فلسطين شرقاً جنوبياً على أنقاض الادوميين وهى دولة بطرا التى فصلنا أخبارها فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » فانهم اختلطوا باهل الشام وفلسطين أجيالا متوالية . ولما ضعف شأنهم ظهر مكانهم على حدود الشام والعراق أجيال جديدة من العرب اتخذهم الفرس حلفاء يردون غارات اخوانهم اهل البادية أو ينصرونهم فى الحروب التى كانت تنشب بين الدولتين قبيل الاسلام . فأقام حلفاء الروم فى جهات حوران وهم الغساسنة ، وأقام حلفاء الفرس على

شاطىء الفرات فى الحيرة وهم المناذرة ، فاذا انتشبت الحرب بين الروم والفرس تجند الغساسنة للروم والمناذرة للفرس ودافع كل منهما عن أصحابه . ولنحو هذا السبب أقام العرب على الحدود بين الفرس والروم فيما بين النهرين والعراق وفيهم بطون من اياد وربيعة

فسكان الشام والعراق عند ظهور الاسلام كان معظمهم من بقايا الآراميين الاصليين فى الشمال والشرق ، واليهود والسامريين فى الجنوب وبقايا الأنباط فى الجنوب الشرقى يليهم العرب الغساسنة والمناذرة ثم قبائل اياد وربيعة بين النهرين . ويتخال هذا المجموع شتات من أمم أخرى كالجراجمة فى جبل اللكام والجرامقة فى الموصل وأخلاط من مولدى اليونان والرومان على الشواطىء ومولدى الفرس والاكراد فى الشمال

السوريون بعد الاسلام

ولما رسخت قدم العرب فى الشام والعراق اختلطوا بأهلها وأقاموا فى مدائنها ثم نزح اليها غيرهم طلباً للرزق ونزلوا الارياف . ولما قامت الدولة العباسية وعظم شأن الفرس وتولوا الاعمال فى المملكة نزح جماعة منهم الى الشام والعراق . ثم تكاثر الجند التركى فى الدولة فكثر تقاطر الاتراك وأقاموا فيهما. وكانت الدولة تستعين فى حربها برجال من الاكراد والديلم والأرمن . وتزايد الاكراد على الخصوص فى عهد الدولة الايوبية ، ثم تكاثر الاتراك والجركس فى عهد الدولة السلجوقية والنورية والسلاطين المماليك . فلما تسلطت الدولة العثمانية أضيف اليهم جماعة من الانكشارية وهم أخلاط من أمم شتى وجماعة الارناؤوط وغيرهم ـ ناهيك بتقاطر الافرنج الى سوريا فى أثناء الحروب الصليبية وما بعدها وفيهم الفرنسى والانكليزى والالمانى والايطالى ، وقد اجتاحوا الثغور والأراضى المقدسة وأقاموا ردحاً من الزمن فى مملكة معززة الاركان بمن كان يأتيها من نصارى الافرنج ، وقد بقى منهم جماعة توطنوا وتناسلوا

وكانت المهاجرة متواصلة الى سوريا من جيرانها سكان شواطىء البحر المتوسط من الغرب وسكان البادية من الشرق ولا سيما اليونان وعرب حوران فان مهاجرتهم اليها لم تنقطع حتى الآن . وفى سوريا كثير من العائلات المسيحية ترجع بأنسابها الى احدى هاتين الامتين (عن المجلد السابع عشر)

أقصى أماني الانسان في الحياة الدنيا

ما هي مطالب الانسان أو أمانيه

مطالب الانسان فى هذه الحياة كثيرة ترجع إلى التمتع بالملذات وهى اما مادية أو معنوية . فالملذات المادية تشتمل على ما يتطلبه البدن من الشهوات المحسوسة أو تقتضيه الطبيعة من ضروريات الحياة كالطعام والشراب وغيرهما . وهى محدودة أى ان طالبها مهما يكن من شرهه أو نهمه لابد من وصوله

إلى حد يقف عنده . فالجائع وان كان بطيناً لابد من وصوله إلى حد يشبع عنده واذا تجاوزه أضر نفسه وهدم جسمه وكذلك العطشان وغيرهما

أما الملذات المعنوية فلا حد لها لان النفس لا تشبع منها وكلما زدتها منها زادت تطلباً لها . وهى كثيرة ترجع الى « حب التفوق على الاقران بالقوة البدنية أو العقلية أو الادبية » أى الامتياز على الآخرين بشيء يتحدث به الانسان عن نفسه وهو « التفاخر » أو يتحدث به الناس عنه وهو « حسن الأحدوثة » التى تنتهى بالشهرة

والشهرة مرجع الملذات المعنوية يتطلبها كبار النفوس ورجال المطامع . وان كانت فى الحقيقة وهماً وطلابها يطلبون وهماً لانها لا تسد جوعا ولا تدفع مرضاً ولا تقى من برد أو حر . ولكن النفس ترتاح اليها وتلتذ بها ويندر فى الناس من لا يشتهيها وانْ تفاوتوا فى أساليب السعى فى سبيلها . وهم يطلبونها كأنها من جملة حاجات الحياة

وحب التفوق على الآخرين أو الشهرة يطلب من طرق مختلفة وعلى أساليب شتى تختلف باختلاف الطلاب وتفاوت قواهم ومشاربهم وأميالهم . فمنهم طلاب الشهرة بالعلم أو طلابها بالثروة أو بالسياسة أو الاحسان أو الجاه أو الشجاعة أو القوة أو غير ذلك . والحقيقة أن نفس الانسان تشتهى الشهرة بكل هذه الفضائل معاً لكنه يعجز عنها كلها أو بعضها تبعاً لمواهبه وأمياله فيوجه قواه الى واحدة منها يرى فى نفسه استعداداً لنيلها

فمطالب الانسان كثيرة وأمانيه تشمل كثيراً من الملذات المادية والمعنوية لان كل انسان يطلب الطعام والشراب وغيرها من ملاذ الجسد وهو أيضاً يتمنى لنفسه الملاذ المعنوية من حسن الاحدوثة أو الشهرة فيريد أن يكون ممتازاً بالقوة البدنية والعقلية وان ينال الشهرة بالعلم والادب والسياسة وان يتسع جاهه ويتحدث الناس بثروته وان يقيموا له التماثيل على احسانه ومبراته

كل انسان يميل إلى احراز كل هذه الملذات لكن ميله اليها يختلف باختلاف مزاجه وباختلاف قدرته على الظهور بهذه الفضيلة أو تلك . فقد يميل أحدهم فى شبابه الى الشهرة بالشجاعة ثم يعلم بالاختبار ان الاحوال لا تساعده على الظهور بها فيتحول إلى طلب الشهرة بالعلم أو السياسة . وقد يطلب الشهرة بالقلم ثم يرى المشقة التى يقاسيها أرباب الاقلام فيعدل عنها إلى سواها . وهو فى كل حال يطلب سائر الملذات ولكنه يختص واحدة منها بالاهتمام ويجعل أقصى أمانيه فى حياته أن يصل اليها . فبعضهم يجعل أقصى مطالبه التمتع بملاذ الجسد وهو مع ذلك يريد أن يكون شهيراً محبوباً . وآخر يطلب الشهرة بالعلم مثلا لكنه يطلب ان يتمتع بالطعام والشراب وان يكون صاحب جاه أو ثروة . وقس على ذلك سائر المطالب وطلابها

قل من جد فى أمر يحاوله . .

ويقال بالاجمال ان الانسان إذا وجه فكره الى مطلب جعله أقصى أمانيه من دنياه وكان فيه ذكاء وثبات فانه نائله لا محالة . وهذه حقيقة اجتماعية تؤيدها المشاهدة . فمن كان أقصى أمانيه جمع المال مثلا

فلا بد من نيله عاجلا أو آجلا لانه يصرف قواه الى وجهة واحدة يجعلها همه ومرجع سعيه ويغضى عن سائر المطالب فلا يهمه طلب العلم أو طلب المجد أو التمتع بالملاذ الجسدية . وهذه كلها تقتضى الانفاق وهو لا يلتذ بغير الاقتصاد . فاذا اشتهت نفسه طعاماً لذيذاً ورأى الحصول عليه يقتضى انفاقا كثيراً عدل عنه وتكون لذته فى استبقاء ثمن ذلك الطعام فى جيبه اكثر كثيراً من تلذذه بتناوله فلا يمضى زمن حتى يرى نفسه من الأغنياء . وكلما زاد غنى زاد شحاً ولكنه يكون قد نال أقصى أمانيه

وقس على ذلك من كان أقصى مطالبه أن ينال الرتب أو الأوسمة فهذا يجعل مدار سعيه نحوها فيتقرب من أصحابها بكل ما لديه من الأسباب ، إما بالمال أو بالعلم أو بالتزلف أو التملق ولا ينفك حتى ينال منها ما يكفيه

واعتبر ذلك فى الذين يطلبون المناصب السياسية أو الادارية فاذا صرفوا ذكاءهم وسعيهم نحو تلك الجهة فانهم يصلون الى غايتهم . وهكذا فى سائر المطالب ، فان الانسان إذا وجه عنايته وقواه الى مطلب واحد منها وبذل سائرها فى سبيل نيله فانه نائله ولذلك قالوا :

وقل من جد فى أمر يحاوله   واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

فالانسان لابد له من مطلب رئيسى يوجه اليه اهتمامه ويقف عليه سعيه . وعلى هذا المطلب الرئيسى تتوقف منزلته عند أهله أو معاصريه لأن علاقته بهم تختلف باختلاف ذلك المطلب . فمن كان أقصى أمانيه ان يتمتع بملذات الجسد لا تكون منزلته عند الناس مثل منزلة من كانت غايته القصوى من دنياه ان يشتهر بالاحسان وعمل المبرات (عن المجلد الثامن عشر)

الحرب : هل تبطل من الارض

مهما بلغ شأن هذه المدنية من الارتقاء بكثرة الاختراعات والاكتشافات ، وان تربع اصحابها على الرياش الوثير وركبوا البخار واستضاءوا بالكهربائية وألجموا الهواء ، ومهما أنشأوا من الصحف وشكلوا من الجمعيات والأندية أو ألفوا من الاحزاب ونادوا بالحرية والاستقلال - لا يهمك دفاعهم عن الفرد وسعيهم فى تحرير الرقيق - فانهم مهما يكن من امرهم لا يزالون بعيدين عن المدنية الصحيحة ما دام فيهم الميل الى الحرب لأنها من بقايا الهمجية تمثل الانسان فى أفظع أحواله الوحشية

أصل الحرب

كان الانسان فى أقدم أدواره يقتات بالأثمار يقتطفها من أشجار أنبتتها الطبيعة لا يغرس ولا يحرث . واذا نفد الثمر عمد الى طير صغير او حيوان ضعيف التقطه وقتله وأكله نيئاً قبل اختراع الطبخ ، وما يزال يقتات بما يجده من ذلك فى البقعة التى احتلها بأهله حتى تخلو من الثمر والحيوان فينتقل الى

سواها . وهو يفضل المقام بجوار الينابيع او على ضفاف الأنهار لأنه يجد أكثر حاجاته فيها ، وقد يكون هناك جماعة سبقوه الى الماء فينازعهم عليه فيفوز القوى ويملك الماء ـ ذلك هو أول أسباب الخصام بين القبائل

ثم اهتدى الى الاختزان مما فى يده خوفا من الجوع فى غده . واضطر بتوالى الاعوام الى الزرع وتربية الماشية واقتناء الطيور الداجنة . وبعد أن داهمه الجوع مراراً أصبح يخاف القحط قبل وقوعه بأعوام فعمد الى التوسع فى الارضين الخصبة . فجره ذلك الى التنازع مع معاصريه من بنى الانسان وأصبح كل كبير منهم يستكثر من اهل عصبيته ليتقوى بهم على سلب جاره ما بيده من أسباب الحياة ـ وهذا هو الغزو بأبسط أحواله

فتألفت بذلك العصبيات وانتشبت الحروب وأهم أسبابها طمع الانسان بما يملكه غيره مما يحتاج هو اليه من وسائل العيش . وقد ألف كل كبير جنداً من أهل عصبيته هو زعيمهم وقائدهم يأتمرون بأمره . فلذت له الرئاسة وحب الاستئثار فزاد ميله الى الغزو والاستكثار من القوة رغبة فى السيادة وهى من ملاذه الفطرية . فاصبحت الحرب يراد بها السيادة فضلا عن اختزان الاقوات . ثم صارت الى مجرد حب السيادة والتوسع فى الفتح طمعاً بما للآخرين ليقال ان فلاناً أقوى من فلان وان مملكته أوسع من مملكة سواه . والسيادة يومئذ للغالبين المستبدين لا دستور ولا نواب وانما يسود القاهر

أقوال العظماء في الحرب

ويتبادر الى الاذهان ان الحروب من شأن العصور الاستبدادية لرغبة الملوك فى السيادة فيسوقون الناس الى الحروب فيقتل الألوف وألوف الألوف من الابرياء وفيهم النساء والاطفال ليقال ان القائد الفلانى فتح البلد الفلانى عنوة وغلب الأمة الفلانية . وهو عمل لا يمكن تفسيره بغير الجنون الحربى أى ان الناس يصابون بجنون فى طلب الفخر كما يصابون بجنون فى طلب المال أو فى التدين أو الكفر أو غير ذلك ـ قال أحد الفلاسفة : « الحرب داء الامراء »

وما من فيلسوف ولا عالم لم يطعن فى الحرب وعواقبها ويعنف اصحابها ـ حتى القواد وأعظمهم بونابرت فقد قال فى الحرب : « انها عمل بربرى وحشى » وقال : « ان القوى الادبية تنحط فى الحرب حتى تصير نسبتها الى البدنية كنسبة ٣ الى ٤ » وقال ولنتن : « لو شهدت يوماً من أيام الحرب لتوسلت الى الله ألا يريك يوماً ثانياً منها » وقال ايضاً : « ليس افظع من الانكسار فى المعركة إلا الانتصار فيها » وقال مونتسكيو : « ان خراب أوربا انما يكون على ايدى قوادها فى الحروب » . وقال نابيه : « ان الانتصار فى الحرب يخفى سيئاتها كما تغطى الحسنات السيئات » وقال لويس نابوليون : « ما الحرب إلا اعمال بربرية منظمة وهى من بقايا الهمجية مهما اختلفت مظاهرها وأشكالها »

هل تبطل الحرب

ويذهب بعض الفلاسفة المعاصرين الى ان الانسان سيصل الى عصر تبطل فيه الحروب ويتآخى الناس فيعيشون برغد وهناء ووفاق . وحجة هذا القول ان الارتقاء والتهذيب مستمران . وبتوالى

الأعصر يقتلع من أذهان الناس النزاع والخصام فتبطل الحرب . ولكنه قول مبنى على النظر والخيال ـ ان الانسان لن يصل الى ما ذكروه ولو توالت الادهار على تمدينه وتهذيبه . ان التمدن لا يبطل الحرب وانما ينقلها من صورة الى صورة . كانت أدواتها الفأس والحربة والرمح فصارت البنادق والمدافع والألغام وهى أشد فتكا وأسرع تدميراً . لا ننكر ما للنظامات السياسية من الوسائل المساعدة على تخفيف الحروب بتوسط الدول الاخرى . ولكن هذه لا تتوسط ان لم يكن فى توسطها نفع لها ـ وهو الطمع الذى قدمنا انه أقدم اسباب الحرب

ان سبب الحرب الرئيسى التنازع على السيادة كما رأيت وهو فطرة غريزية فى الانسان مبنية على حب الذات . وليس حب الذات خاصاً بطبقة من طبقات الامم ، وانما هو غريزة من غرائز الانسان كالجاذبية للاجرام . بل هى فى الامم المتمدنة أقوى منها فى سواهم لأن العلم يوسع دائرة العقل ويكثر مطالب الانسان فتكثر حاجاته ويضطر للتنازع . على ان الامم البدوية الباقية على الفطرة مع ما يظهر من إغراقها فى الغزو والنهب فان فى أخلاقها البدوية ما يخفف وطأة تلك المطامع ـ نعنى الاريحية والنجدة التى يعبر عنها الافرنج بقولهم « شفاليرى » . فكثيراً ما كانت هذه النجدة سبباً فى الكف عن الحرب وحقن الدماء كما تكون سبباً لسفكها

أما المتمدنون من اهل الحضارة فالحرب عندهم مبنية على المطامع الشخصية فقط ولا معرفة لهم بالأريحية أو النجدة . ولذلك قالوا ان السياسة لا قلب لها . فكل أمة أو دولة تنظر الى جيرانها أو معاصريها بعين الحسد ولو استطاعت أن تخضعهم جميعاً لسلطانها لفعلت . فهى تتربص حتى تسنح لها فرصة تثب بها على بلد لتوسيع دائرة سلطانها . وهى طبعاً لا تقدم على حرب إلا بحجة وما اكثر الحجج واكثرها كاذب . وانما الحجة الحقيقية طمعها فى ذلك البلد ـ فاذا طمعت دولة فى دولة ورأت فى نفسها القدرة على التغلب انتحلت سبباً للحرب مهما يكن طفيفاً فانها تعظمه وتبالغ فيه وتحشد رجالها للقتال ـ تدعوهم الى ذلك باسم الدين أو الوطن أو اللغة أو غير ذلك من الجامعات التى تعتقد انها تثير عواطف رجالها . ويختلف ذلك باختلاف الأمم . لكنها فى كل حال تختار من الجامعات ما يوافقها. فان أرادت الاعتداء على أمة من مذهب دينى غير مذهبها دعتهم الى حربها باسم الدين وزعمت انها انما قامت لنصرة الدين . وان كانت من مذهبها وتختلف عنها باللغة أو بالوطنية دعتهم باسم الوطن وادعت انها تحارب فى سبيل الوطن . وهى بالحقيقة انما تحارب فى سبيل المصلحة الخاصة والمطامع الذاتية . والمعتدى عليهم يجرون على نفس الخطة فى الدفاع يستنصرون جيرانهم أو أنصارهم بالجامعة التى توافق حالهم

ومن غرائب الحروب الدينية ان أصحابها يلصقون بالدين ما ليس منه فى شىء . وما من دين إلا وهو ينهى عن قتل النفس إلا فى سبيل القصاص او الدفاع . ومع ذلك فان الجنود المتحاربة لا تتقدم الى ساحة الوغى قبل ان تصلى كل طائفة منها الى ربها وتطلب اليه أن يعينها على الفتك بالطائفة الاخرى ولا يكون ذلك إلا بكثرة القتل ـ فكأنهم يكلفون الله ان يساعدهم على قتل الانفس !

(عن المجلد العشرين)

الجرأة الأدبية أو الجرأة في الرأى

ونريد بها الجرأة فى إبداء الرأى بلا خوف ولا حذر . ومهما قيل فى فضل الشجاعة البدنيـة أو الحربية فان الجرأة فى الرأى أو الشجاعة الادبية أفضل كثيراً . ويرى علماء الاخلاق والطبائع البشرية ان الشجاعة الادبية أرقى فى سلم الفضائل لأنها نتيجة الاقتناع بالحق وتجعل صاحبها اذا عمل بها فىالدفاع عن الحق لا يخاف مقاومة ولا يخشى اهانة . وقالوا : « ان الشجاعة البدنية فى الحرب تزرى بالاخطار فتجعل صاحبها صالحاً للجندية . وأما الشجاعة الادبية فصاحبها لا يهاب سائر الآراء فيصلح ان يكون مشيراً للدولة . والرجل العظيم ينبغى ان يتصف بكلتيهما »

١ ـ الجرأة في سبيل الدين

الجريئون فى سبيل الدين يثبتون فى اعتقادهم ولو أدى بهم ذلك الى القتل . وهم كثيرون ، منهم فى النصرانية ألوف ومئات الالوف . يكفى الشهداء الذين قتلوا فى الاضطهادات الدينية فى الاجيال الوسطى ولا يحيط الحصر بعددهم . وناهيك بديوان التفتيش الظالم ـ قال فلورنتى ان عدد الذين قتلهم ديوان التفتيش فى اسبانيا ٣٢٠٠٠ والذين نالوا العذاب وظلوا أحياء ٢٩١٠٠٠ نفس غير الشهداء فى أوائل النصرانية باضطهادات الامبراطوريين الرومانيين قبل تنصرهم ، آخرها اضطهاد ديوقليطيان . وفى أخبار الرسل حوادث كثيرة تدل على جرأة أدبية فى الآباء الاولين يندر مثلها فقد قتل بعضهم صلباً وبعضهم نشراً مما يطول شرحه ـ وهم ثابتون

أما المسلمون فقد استشهد منهم كثيرون فى سبيل الجرأة الأدبية فى الدين . وينظر فى ذلك من وجهين : الأول ما كان بين الاحزاب الاسلامية أو أصحاب الآراء الدينية ، والثانى بين المسلمين وغيرهم

لحوادث الاستشهاد بسبب اضطهاد احدى الفرق الاسلامية للفرق الاخرى اكثرها بين السنة والشيعة . وكان فى أول أمره بين بنى أمية وأتقياء المسلمين من الصحابة أو التابعين ، لان الاسلام كان فى زمن الراشدين مؤسساً على التقوى والحق والعدل ، فلما قبض بنو أمية على الدولة حولوه الى السياسة واعتمدوا على التغلب بالسيف والقهر واضطهدوا اهل التقوى وعذبوهم . فمن هؤلاء الاتقياء من فضل الموت على الرجوع عن اعتقاده فظل ثابتاً فى قوله ومعتقده ولو خالف رأى الخليفة أو الامير

وأقدم من استشهد فى هذا السبيل ابو ذر الغفارى الذى جاهر باستقباحه جشع بنى أميـة وكان معاوية ما يزال عاملا للخليفة عثمان بن عفان فى الشام ولم يبال ابو ذر بالقوة الغالبة . واحتال معاوية فى استرضائه أو تهديده فلم يبال فاتهمه بالفتنة وكتب الى عثمان « انك أفسدت الشام على بأبى ذر » فكتب اليه « احمله إلى على قتب بغير وطاء » تعذيباً له . فلما جاء المدينة حاكمه عثمان فلم يرهب سلطانه وجاهر بما يراه من طمع بنى أمية وخروجهم عن الحق . فأخرجه عثمان من المدينة الى الربذة بالعنف وظل هناك وهو ثابت فى عزمه حتى مات

ومنهم حجر بن عدى الكندي المتوفى سنة ٥١ هـ فقد كان يعتقد فضل على بن أبى طالب وحقه

فى الخلافة وان الامويين اغتصبوها منه . فلما تغلب بنو أمية على على حملوا المسلمين على لعنه . فمنهم من أطاع ومنهم من أبى واحتمل القتال من أجل ذلك . وأشهر الذين استشهدوا فى هذا السبيل حجر بن عدى المذكور ـ وذلك ان المغيرة والى الكوفة من قبل معاوية كان يقف على المنبر فيستغفر لعثمان ويلعن علياً والناس يسمعون وا كثرهم غير راضين ولم يجسر على مقاومته إلا حجر بن عدى . فانه كان يعترض الوالى فى كلامه ويقول : « أنا أشهد ان من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم » وكان المغيرة يخوفه غضب الخليفة وهو لا يبالى فقاصه بقطع أرزاقه . فاعترضه مرة فى المسجد وانحاز اليه بعض الناس وحدثت ثورة طال امرها . وأخيراً قبضت الحكومة على «حجر» وقد صارت الامارة الى زياد بن أبيه . وكان مع حجر جماعة قالوا مثل قوله واتحدوا معه فكلفوهم لعن على فأبوا وهددوهم بالموت فلم يبالوا . ومن أقوال أحدهم واسمه صيفى وقد سأله زياد : « ما تقول فى على ؟ » قال : « أحسن قول » فأمر بضربه حتى لصق بالارض ثم قال : « اقلعوا عنه .. ما قولك فى على » فقال : « والله لو شرحتنى بالمواسى ما قلت فيه إلا ما سمعت منى » فقال : « تلعنه أو لأضربن عنقك » قال : « لا افعل » فأوثقوه وحبسوه . ثم أرسل زياد حجراً وبعض أصحابه الى معاوية فى الشام وزوروا عليهم شهادات توجب قصاصهم . فلما جاءوا معاوية أمر بقتلهم فجاء الذين تولوا قتلهم فقالوا لهم : « اذا كنتم تتبرأون من على وتلعنونه لا نقتلكم وإلا قتلناكم » فقالوا : « لسنا فاعلين » فحفرت القبور وجىء بالاكفان وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل وفى الصباح قتلوهم فرضوا بالقتل ولم يرجعوا عن رأيهم فى « على »

ويقال نحو ذلك فيمن قتلهم الحجاج بن يوسف بعد واقعة الجماجم فان الحجاج ألزم من بقى حياً من رجال ابن الاشعث أن يعترف انه كفر بعصيانه على الخليفة فيخلى عنه وإلا قتله فكان يؤتى بالاسير الى ما بين يدى الحجاج فيقول له الحجاج : « اشهد انك كفرت » فان قال « نعم » أطلقه وإلا قتله . فكان كثيرون ينكرون قوله فيقتلهم ، ومن هؤلاء رجل من خثعم كان معتزلياً فسأله الحجاج عن حاله فأخبره باعتزاله فقال له : « أتشهد انك كافر؟ » قال : « بئس الرجل ، أنا أعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسى بالكفر ؟ » قال : « اذاً أقتلك » قال : « وان قتلتنى » فقتله . ومنهم سعيد بن جبير التابعى الشهير وغيره . وحوادث اضطهاد الشيعة كثيرة بتفضيلهم الموت على الخروج من طاعة العلويين أو انكار فضل «على»

ومن حوادث الاستشهاد فى سبيل الثبات فى الرأى الدينى حادثة احمد بن حنبل وأصحابه لانكارهم القول بخلق القرآن بعد ان أمرهم الخليفة المأمون ان يقولوا بخلقه ، وكان المأمون يعتقد ذلك ، وشدد فى نشر هذا الاعتقاد بين رعاياه فكتب الى نائبه فى بغداد أن يمتحن القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أقر انه مخلوق خلى سبيله ومن أبى اعلمه به ليرى رأيه فيه . ففعل ذلك فأجابه الاكثرون وأبى جماعة فبعث المأمون الى نائبه المذكور أن يرسل اليه بهم موثقين بالحديد . فلما رأوا ذلك التهديد خافوا واعترفوا بما أراده الخليفة إلا اربعة ، منهم احمد بن حنبل الامام المشهور . ثم أعادوا عليهم القول وهددوهم فأجاب اثنان وظل اثنان وهما ابن حنبل وابن نوح فشدا بالحديد وحملا الى المأمون فى طوس ومات المأمون فى تلك السنة . فلما تولى المعتصم أحضر احمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن وأمره ان يقول انه مخلوق فأبى فأمر به فجلد جلداً عظيما حتى غاب عقله وتقطع جلده وحبس مقيداً وظل على اعتقاده حتى مات

اما حوادث استشهاد المسلمين بسبب اضطهاد اهل الاديان الاخرى فلا يخلو التاريخ من شواهد صريحة فيه غير ما يؤخذ من القرائن العديدة التي يطول بنا شرحها . اما الحوادث التي ورد ذكرها في هذا الشأن فاكثرها في أثناء حروب الروم والمسلمين في الشرق أو الافرنج والمسلمين في الاندلس . من ذلك أن تيودورة ملكة الروم كان قد وقع في حوزتها عدة آلاف من المسلمين فعرضت عليهم سنة ٢٤١ ﻫ ان يتنصروا فمن تنصر استبقته وجعلته أسوة من قتله من المتنصرة ومن أبى قتلته . فأبى كثيرون وذهبوا ضحية ثباتهم في اعتقادهم . وهكذا يقال في مسلمي الاندلس لما غلب عليهم الافرنج وهموا باخراجهم فخيروهم بين النصرانية والموت فاختار الموت جماعة كبيرة منهم

واعتبر ذلك في اكثر الانبياء والمصلحين فان ثباتهم في دعواتهم والاستهلاك في نصرتها حتى الموت ساعد على نشرها . ومن لم يثبت منهم ضعفت عزائم أنصاره وانفض الناس من حوله . كما أصاب آريوس لما انكر لاهوت المسيح في اوائل القرن الرابع للميلاد وهو من كهنة كنيسة الاسكندرية . فالتف حوله جماعة كبيرة واشتد ساعدهم فاهتم الامبراطور قسطنطين بالامر فارسل اليه وحاكمه وحكم بضلال بدعته وألزمه ان ينكر تلك البدعة فغلب خوف الموت على قلبه وأنكرها مؤقتاً فأطلق سراحه فعاد الى التعليم فاستقدموه وخوفوه فاقسم انه يرجع عن ذلك التعليم وعاجلته المنية بعد قليل

ويعد من قبيل الجرأة الادبية ظهور لوتيروس صاحب المذهب الانجيلي فانه حارب اعتقادات راسخة وتقاليد متوارثة وقوانين مدونة وطغمات مسلحة ، ولم يبال باللعنات والاضطهادات فوفق الى تأسيس شيعة من أعظم الشيع النصرانية الآن . وهكذا يقال في اكثر أصحاب المذاهب والمصلحين فانهم يلاقون عقبات كالأطواد راسخة منذ أجيال يصعب تمهيدها ولا يفلح في ذلك إلا اهل الثبات والصبر وسعة الصدر

وما يزال عهدنا قريباً بما قاساه المرحومان الشيخ محمد عبده في سبيل الاصلاح الديني الاسلامي وقاسم بك امين بشأن الاصلاح الاجتماعي فاظهرا جرأة ادبية كبيرة في مقاومة تيار التقاليد والعادات وقد وضعا أساساً لاصلاح كبير سيكون له شأن عظيم في الاجيال القادمة وسيذكره لهما التاريخ

٢ ـ الجرأة والثبات في نصرة العلم

كثيراً ما يكتشف العلماء حقائق علمية تخالف ما تعوده الناس من العادات أو تمسكوا به من الاعتقادات . فالتصريح بتلك الحقائق يحتاج الى جرأة أدبية خصوصاً في القرون الماضية يوم كان الناس عبيد التقاليد والاعتبارات . وأقدم من ذهب ضحية هذه الجرأة على ما نعلم سقراط الفيلسوف واضع الفلسفة الادبية العلمية أو محول الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل . نخالفت تعاليمه تعاليم كثيرين من معاصريه وربما وقفت عثرة في سبيل أرزاقهم فنقموا عليه ـ كما ينقم عبيد التقليد على رجال الاصلاح في كل عصر . فتصدى له خطيب اسمه انيتوس وأخذ في مقاومته وتحقير تعاليمه وسعى بالدسائس والوشايات عليه ورفع للحكومة تقريراً بين فيه ما ارتكبه سقراط من احتقار الآلهة وخرق حرمة القانون ـ وهي حجة المقلدين على المصلحين ـ وطلب قتله

فطلبت الحكومة من سقراط أن يدافع عن نفسه فابى لعلمه انهم قاتلوه لا محالة فحكموا عليه بالاعدام فاستقبل الحكم بثبات وهدوء ، فسجنوه قبل الاعدام مدة تردد عليه فى أثنائها بعض محبيه ونصحوا له ان يفر وسهلوا له الفرار فقال : « أخبرونى عن مكان لا موت فيه فافر اليه »

ولما آن الاعدام أتوه بالسم ودفعوه اليه فشربه دفعة واحدة وأصحابه حوله فلما رآهم يبكون قال : «ما بالكم تبكون ونحن انما أخرجنا النساء حتى لا نسمع بكاء ؟ كونوا رجالا وتصرفوا تصرف الرجال»

ويقال نحو ذلك فى غليليو صاحب مذهب دوران الارض فى القرن السابع عشر وان لم يقتل فى سبيله ولكنه سجن واضطهد . وقد حوكم فى مجلس دينى يرى ان هذا الرأى يخالف تعاليم الكتاب . وحاولوا إقناعه بان يعترف بفساد رأيه ويرجع عنه فابى

وألزموه مرة أن يقول بثبوت الارض وهددوه فقام ثم عطف ورفس الارض برجله وصاح : « ومع ذلك فانها لتدور » وقضى بقية حياته معذباً بالمراقبة والدسائس ولكنه كان مطمئناً لثباته فى اعتقاده العلمى . ويعد من هذا القبيل قيام دروين فى القرن الماضي بمذهب النشوء والارتقاء ولا يزال صدى المجادلات التي احتدمت بشأنه ترن فى آذاننا

(عن المجلد العشرين)

بماذا يشعر الطيار

وصف الدكتور فون شروتر احد الاطباء فى فينا التأثيرات الغريبة التى تعترى الطيارين فى الهواء فقال : « ان أول مايلقاه الطيار بعد اجهاد الاعصاب والاعضاء البدنية التقلبات الفجائية فى الضغط الجوى أو بالحرى فى الاكسيجين فان ذلك يهيج الدورة الدموية والتنفس أكثر مما يهيجهما الصعود التدريجى على الجبال . فان مجرى الهواء الشديد يسبب الاصابة بالزكام وهو أول الاعراض التى يشكو منها الطيارون ويليه سرعة الصمم . ثم ان تقليل مقدار الاوكسيجين الذى يحدث من سرعة الحركة وتناقص الضغط الجوى يسبب القيء والمناظر الوهمية . ومن الاعراض الخطرة الكثيرة الحدوث للطيار اشتياقه للنوم احياناً فى خلال طيرانه مع شدة مقاومته لسلطان الكرى . فضلا عن الدوار الذى يصيبه من جراء ارتفاع الطيارة . ونتيجة هذا الدوار ظهور الاشياء التى تكون على الارض معوجة أمامه أو غير موجودة فى أماكنها المعتادة أو متحركة حركة سريعة غير مألوفة لديه مما يفضى إلى كون الطيار كثيراً ما يجهل مركزه الحقيقى . ولعل هذا سبب سقوط الطيارات من الارتفاعات المعتدلة سقوطاً لا يعرف سببه . واحياناً لا يدرى الطيار اذا هو كان فى وضع افقى أو غير أفقى وبالاخص اذا كانت الغيوم تكتنفه من كل جهة . وقد أخبر المرحوم المستر لاثام الطيار الشهير الدكتور فون شروتر انه تحير مرة حيرة شديدة بعد طيرانه ببضع دقائق وكان هذا من جراء السبب المتقدم ذكره فهبط الى الارض وهو غير عالم بما هو فاعل »

(ع . ج .) (عن المجلد الحادي والعشرين)

لماذا نضحك ؟

بحث بسيكولوجي

تصور نفسك في ملعب والممثلون على المرسح يقوم كل واحد منهم بدوره ويقول أحدهم كلمة أو جملة يضحك منها الحضور ويقهقهون ـ بعد ان كانوا صامتين ومصغين . وقد تغيرت ملامح وجوههم وأخذت أجسامهم تهتز باجمعها مما يدل على انقلاب حدث فى حالتهم النفسية فما الداعى الى هذا التغيّر ولماذا ضحك الجمهور فى هذا الموقف دون غيره ؟

أو افرض انك مار فى شارع من الشوارع القذرة فتزلق رجل أحد المارة فجأة لكثرة الوحل فجعل يتلوى وهو يحاول ان يحفظ موازنة جسمه عبثاً . . . ان هذا المنظر لاشك يضحكك ويضحك كل مار معك فما هو السبب ؟

وقس على هذين المثلين سائر بواعث الضحك . وعند كل مرة يقف المفكر سائلا نفسه : ما الذى اضحكنى هنا ؟ وما هو الضحك وما هو عمله فى حياة الانسان ؟ وقد شغلت هذه الاسئلة وأمثالها ادمغة كبار الفلاسفة فتضاربت آراؤهم فيها . واذا سألت رجلا من العامة : « لماذا تضحك ؟ » لاجابك : « أضحك لان الموضوع مضحك » على ان هذا الجواب مع بساطته وبداهته لايصح دائما فكثيراً ما يضحك الناس فى مواقف لاتستدعى الضحك فيضحكون وهم لايريدون أن يضحكوا . وانما يندفعون الى الضحك بقوة داخلية لا يسعهم إلا الامتثال لها . والامثلة من هذا القبيل كثيرة :

يحكى أن رجلا رجع يوماً الى بيته فوجده خراباً وامرأته وأولاده اجساماً هامدة فأخذه الضحك حتى مات بعد برهة على أثر انفجار بعض الاوعية الدموية . ويحكى أيضا ان اجتماعاً ضم عدداً من الشبان نعى اليهم فيه يوماً صديق لهم فأخذوا يتفرسون بعضهم فى بعض برهة ثم ضحكوا ضحكا طويلا . وكثيرون من الناس ولا سيما النساء يضحكون فى اخطر المواقف وأكثرها دعوة الى التهيب والوقار . وبعضهم يضحكون عند الألم الجسدى الشديد . ولاشك اننا كثيراً مانضحك وليس هناك أمر يستدعى الضحك كما يحدث عند ماتمس بعض الأماكن الحساسة فى الجسد وهو ما يسمى عند العامة بالزكزكة أو الدغدغة واليك بعض التعليلات عن سبب الضحك :

قال توماس هوبس الفيلسوف الانكليزى : « يدعو الى الضحك شعور الضاحك بتفوقه على موضوع ضحكه كأنه يشعر بعظمته امام حقارة مايضحك منه . ويؤيد هذا التعليل اننا لانحب ان يضحك الناس منا » لاشك ان فى هذه النظرية شيئاً من الحقيقة اذ لو تأمل كل واحد منا فى دواعى ضحكه وجد كثيراً منها ناتجا عن هذا الشعور مثل الصبى عند مايرى رفيقه فى مأزق ضيق لايعرف كيف يخرج منه وهو يعرف ذلك ، أو امام مسألة لا يقدر على حلها وهو يقدر ان يحلها . لكننا كثيراً ما نضحك بدون أن نشعر بعظمة أو تفوق . وبعكس ذلك كثيراً ما نشعر بعظمة وتفوق على اقراننا بدون ان نضحك ـ

كل ذلك مما يدل على أن الارتباط بين الشعور بالتفوق والضحك ليس محكما كل الاحكام ولا يصح في جميع الاحيان

وقد أصلح الفيلسوف باين هذا التعليل فقال : « الضحك يتأتى من الشعور بالتفوق على الاقران اذا لم يكن هناك عواطف أخرى أقوى منه كالحزن والغضب ونحوهما » . لكن كثيرين يضحكون بدون أدنى دخل للشعور المذكور كضحك الطفل مثلا وضحك الاولاد بعضهم مع بعض في أغلب الاحيان

أما سبنسر فقد ارجع الضحك الى فقد التناسب بين الاعمال والأشخاص وتتابع الأفكار المتباينة في الذهن فقال : « ان سبب الضحك انتقال العقل فجأة من الأمور الكبيرة الى الصغيرة أو من الاشياء المهمة الى الأشياء التافهة أو نحو ذلك » . وقد وسع دارون نطاق هذه النظرية فقال : « المضحك هو الغريب المخالف للمعتاد » لكن المسألة لاتزال مع هذا الاصلاح لاتشفي غليلا لأن كثيراً من الأشياء الغريبة التي تطرأ على الانسان لا تضحكه قط لكنها قد تهيج احساسات أخرى . اذا اطلعت على اكتشاف عجيب غريب لم تكن تعهد وجوده فقد تستغربه وتعجب بصاحبه ولكنك لا تضحك منه

وأحدث نظرية في هذا الباب نظرية هنرى بيركسن الفيلسوف الفرنسي الشهير . فالضحك في اعتقاده يأتي عفواً وللغرابة فيه دخل كبير . ولكن يجب ان تكون من نوع مخصوص ـ كأن تتسبب عن حركة ميكانيكية غير مقصودة تقرب الاحياء من الجوامد في ذهننا . فاذا اضحكك المهرج وقد لبس اشكالا وصبغ وجهه ألوانا . فذلك لانك في الحال تشبهه بآلة ميكانيكية لا تفكر فيما تعمل . وبعبارة أخرى اننا نضحك كلما ظهر لنا الانسان بمظهر الجماد . فالرجل الذى تزلق رجله فيقع يذكرك بجامد لا حياة فيه . وهكذا في سائر الاحوال المضحكة فانك تجد وراءها كلها هذا السبب ـ حركة ميكانيكية في حي عاقل ـ على اننا كثيراً ما نرى أشياء من هذا القبيل ولا نضحك ، انظر الى فرقة من العسكر تسير في المدينة فهل من حركة ميكانيكية أكثر من هذه ، ومع ذلك فاننا لا نضحك منها . بل ان الجزء الاكبر من أعمال الأنسان ميكانيكى كالأكل واللبس ونحوهما فلماذا لا نضحك من جميع هذه الاحوال ؟

ثم ان بيركسن بحث في عمل الضحك نفسه فقال انه « مصلح اجتماعى » يعنى بذلك انه يقاوم ميل الأنسان الى التحول لآلة ميكانيكية في جميع اعماله بدلا من التفكير والاستنباط والعمل بهمة . فكأن الضحك ينبهنا الى نقائصنا واغلاطنا ويحضنا على اصلاحها وإلا اصبحنا عرضة له . لاشك في ان هذه النظرية لطيفة ولكنها لا تصح إلا في احوال مخصوصة . وهى تعجز عن تعليل سبب الضحك الموجود على الاجمال في جميع طبقات الناس وسعيهم وراءه بدليل الكتب والجرائد الهزلية والروايات التمثيلية المضحكة . ناهيك بضحك الاطفال الطبيعى المتواصل

كل التعليلات لاتجيب إلا أجوبة ناقصة ولا تشمل كل الظواهر التي تدخل في هذا الباب ، لانها تسعى في ادراك كنه سبب الضحك . والاختبار يعلمنا ان الأمور المضحكة تتغير حسب الاشخاص . وليس هناك ماهو مضحك مطلقاً وانما يتوقف الضحك على أحوال المرء ودرجة علمه وتهذيبه . ولذا فافضل طريق لشرح هذه المعضلة هو أن ندرس فعل الضحك نفسه فننظر الى الشخص الضاحك لا الى موضوع ضحكه

وأول ما نلاحظه كثرة الضحك فى أيام الطفولة فكل والد يعلم ان الطفل يضحك لكل شيء تقريباً بدون أقل داع معقول . مما يدل على ان الضحك يرافق سنى النمو الجسدى فهو بمثابة مصرف لما زاد من القوة العصبية . واذا سألت ولداً يضحك : « لماذا تضحك الآن ؟ » اجابك : « ضحكت رغم ارادتى » أو « لم اتمالك عن الضحك » أو نحو ذلك ويؤيد هذه النظرية ان للضحك وظيفة فسيولوجية فى حياة الانسان ترافقه على الخصوص فى الطفولة وهى سن النمو الجسدى وخزن القوى العصبية فيفرجه من الضغط العصبى ويريح الجسم على الاجمال

والشاب ايضا فى اول نشأته يحب الضحك ويكثر منه . وايام الشباب هى ايام الدرس والعمل العقلى فللضحك هنا وظيفة أخرى نعنى اراحة القوى العقلية ، وقد تنبه الى هذه الوظيفة أكثر دارسى النمو العقلى فى الاطفال واتفقوا على ان الضحك ياتى عادة بعد عمل عقلى شاق كأنه يعطى العقل فرصة تمكنه من مواصلة العمل بعد برهة

فللضحك اذن وظيفتان : احداهما فسيولوجية تتعلق بالجسد ، والثانية بسيكولوجية تتعلق بالعقل . والانسان يقل ضحكه كلما نما جسمه وعقله . اذ يقل احتياجه الى اراحة جسده ومجموعه العصبى . وقواه العقلية قد كمل نموها ، ولان التعليم والتهذيب ايضا يعودااننا الامتناع عن الضحك فى بعض المواقف

(عن المجلد الثاني والعشرين)

متى يجب أن أتزوج

جواب العلم الحديث على هذا السؤال

هل يجب على الشاب ان يتزوج عند دخوله معترك الحياة فيجعل زوجته شريكته فى متاعبه ومخاوفه ونجاحه أو سقوطه ؟ أم الافضل له أن يجاهد وحده فى هذا العالم ريثما يتمكن من مركزه ويضمن مستقبله فحينئذ يقترن بمن تجنى معه ثمار جهاده ؟

يعتقد كثيرون من الكتاب الاجتماعيين ورجال الدين ان المسافة الطويلة بين السن التى يكون فيها الانسان قد كمل نموه وصلح فيها للزواج (وهى حول العشرين) والسن التى يتعذر لشاب هذا العصر ولا سيما فى المدن ان يقترن قبلها (وهى عادة حول الثلاثين) - يعتقدون أن هذه المدة التى تتجاوز احيانا عشر سنوات انما هى السبب الاساسى لما نراه فى المدن من انواع المفاسد والشرور التى لا وجود لها فى القرى حيث يتزوج الشاب فى السن التى يستكمل فيها نموه

ومن الجهة الاخرى فان فريقاً كبيراً من الاطباء لاسيما اصحاب مذهب اليوجنية (Eugenics) القائل بتحسين الجنس البشرى يضادون هذا الرأى ويبينون مضار الزواج الباكر ويدعون ان هذا

الزواج أضر للهيئة الاجتماعية وأشد تأثيراً فى هدم كيانها من المفاسد والشرور التى تنشأ عن الزواج المتأخر . فالزواج الباكر فى نظرهم أصعب الشرين . وللدلالة على صحة مزاعمهم يبينون ما للزواج الباكر عند بعض قبائل الهنود وسكان جزر الباسيفيك وأهل سيام وكمبودج وجميع الاجناس الملونة على العموم من الاضرار وكيف انه من أهم أسباب الانحطاط البشرى

يقف الشاب أمام هذين الرأيين المتناقضين فيحار ايهما يصدق ولا افضل له من الاسترشاد بالواقع للخروج من هذا المأزق الضيق . فما هو الواقع وما هى النتيجة التى يمكن الوصول اليها من درس أحوال الناس والامم ؟

قال أحد كبار الاطباء فى نيويورك : « رأيت امهات لا يتجاوزن الخامسة عشرة من عمرهن وقد بدت على وجوههن علامات الضعف وفقر الدم . ويكفى ان يلقى الطبيب نظرة الى أمثال هؤلاء الامهات ليتحقق انهن أصبحن عرضة للامراض لانهن قد فقدن قواهن الحيوية فى الولادة ومهام البيت فى سن لم يكن قد استكملن فيها نموهن . وقد يتفق ان بعض الشابات يصلحن للزواج فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ولكن ذلك لا يكون إلا من قبيل الشواذ ، وأنا أعتقد ان الشاب لا يصح ان يتزوج فى حال من الاحوال قبل الخامسة والعشرين والشابة قبل الثانية والعشرين »

ان اضرار الزواج الباكر ظاهرة للعيان فانها تحط القوة الحيوية فى الرجال وتسبب فى المرأة فقر الدم وما يتبعه من الامراض واهمها الامراض العصبية وعسر الهضم والسل وغيرها

انظر الى الاقطار التى تتزوج فيها المرأة باكراً تجد النساء يشخن فى سن الثلاثين وقد تجعدت وجوههن وانحطت قواهن ، وبعكسها الاقطار التى تتزوج المرأة فيها بعد العشرين فانك تجد المرأة قوية نشيطة تحافظ على شبابها ونضارتها زمنا طويلا

ثم إنهم فحصوا اولاداً كثيرين بالنظر الى سنى والديهم فوجدوا صحة الاولاد فى تقهقر كلما نقص عمر والديهما . ولا يقتصر هذا التقهقر على الحالة الجسدية بل يرى ايضا فى القوى العقلية ـ واذا استمر التناسل بضعة اجيال فى سن باكرة فلا شك ان النسل يضعف وينحط جسما وعقلا

ويقدر بعض العلماء اليوجنيين Eugenists انه لم يولد رجل عظيم كان اسلافه يتناسلون بمعدل اربعة اجيال فى القرن الواحد . ويذهب البعض الى أبعد من ذلك فيقولون انه لا يوجد رجل عظيم تناسل اسلافه ثلاثة أجيال فى القرن . اى ان الاب منهم يجب ان يكون قد بلغ الثالثة والثلاثين قبل أن يولد ابنه

ويتعذر لاول وهلة التسليم بهذا القول إذ ان معظم الناس يتناسلون أكثر من ثلاثة اجيال فى القرن الواحد . إلا ان المباحث الدقيقة تثبته على الاجمال (ما عدا شواذ لا يعول عليها) فقد وجدوا مثلا ان اعظم نوابغ الاميركان كان آباؤهم فى الاربعين من عمرهم عند ولادتهم بينما لم يوجد واحد منهم كان ابوه دون الخامسة والعشرين

ويعلق العلماء اليوم أهمية عظمى على سن الاب عند ولادة اولاده ويعتقدون ان لهذه السن تأثيراً

كبيراً فى حالة النسل فقد تختلف حالة الاخوة الذين ولدوا من نفس الابوين اختلافاً يذكر مسبباً عن الابوين عند ولادتهم . واليك اعمار آباء نفر من الرجال العظام عند ولادتهم (وسن امهاتهم كانت ايضاً على نفس هذه النسبة) :

فرنكلين	٥١	ملتون	٤٥
ارفنج	٥٢	كونفوشيوس	٤٥
وبستر	٤٣	بسمارك	٤٤
بيتشر	٣٨	اديسن	٤٣
واشنطن	٣٨	شكسبير	٤٠
غوته	٥٣		

وقد بلغ اعتقاد بعضهم فى هذا الرأى انه وضع جائزة قدرها اربعون جنيها انكليزياً لمن يجد واحداً من الرجال العظام كان اسلافه يتعاقبون بنسبة ثلاثة اجيال فى القرن الواحد . ولم يحز هذه الجائزة احد بالرغم من أن كثيرين سعوا لاحرازها فلم يفلحوا

ثم اننا اذا نظرنا الى متوسط اعمار الناس وجدنا ما يدعم قضيتنا فقد درس أحد الاطباء ١١٠٥ أشخاص بالنسبة الى أعمار والديهم ، فوجد أن الواحد منهم (بعد ان يبلغ الخامسة والعشرين) يعيش على الاجمال ٦٢ سنة اذا كان متوسط عمر ابويه دون الخامسة والعشرين عند ولادته ، ومن كان والداه بين الثلاثين والاربعين عاش ٦٥ سنة ، واذا كانا بين الاربعين والرابعة والاربعين عاش ٦٦ سنة ، واذا كانا بين الرابعة والاربعين والتاسعة والاربعين عاش ٦٨ سنة ، واذا كانا فى الخمسين أو بعدها عاش نحو ٧٠ سنة

وتعليل ذلك ان الانسان كلما تقدم فى السن قل تعرض جسمه للامراض فيورث اولاده قوة المقاومة التى اكتسبها مع الايام

هذا فضلا عن أن الزوجين اذا كانا فى سن مكنتهما من الحصول على اختبارات ومعارف كافية فان كلا منهما يكون أشد تساهلا مع الآخر وأكثر اغضاء للهفوات والزلات مما لو كانا حديثى العهد بين الناس فيقل بذلك الشقاق الذى يسبب تعس عائلات كثيرة

فيا أيها الشبان الراغبين فى الزواج لا تسرعوا فى هذا السبيل وانتم ما يزال عودكم رطباً واختباركم قليلا حتى تطيلوا اعمار اولادكم واحفادكم وتورثوهم اجساماً صحيحة وعقولا نامية وقوة مقاومة للامراض التى تزيد كلما تقدمتم فى السن ، ولا أمل للجنس البشرى من بلوغ حالته المثلى الا بتأجيل سن الزواج

(عن المجلد الثالث والعشرين)

الجبابرة * لجبران خليل جبران

ليس من يكتب بالحبر كمن يكتب بدم القلب
وليس السكوت الذى يحدثه الملل كالسكوت الذى يوجده الالم

أما أنا فقد سكت لأن آذان العالم قد انصرفت عن همس الضعفاء وانينهم الى عويل الهاوية وضجتها ومن الحكمة ان يسكت الضعيف عندما تتكلم القوى الكامنة فى ضمير الوجود ـ تلك القوى التى لا ترضى بغير المدافع ألسنة ولا تقنع بسوى القنابل الفاظاً

نحن الآن فى زمن أصغر صغائره أكبر من كبائر ما تقدمه . فالامور التى كانت تشغل افكارنا وميولنا وعواطفنا قد انزوت فى الظل . والمسائل والمشاكل التى كانت تتلاعب بآرائنا ومبادئنا قد توارت وراء نقاب من الاهمال . أما الاحلام المستحبة والأشباح الجميلة التى كانت تميس متنقلة على مسارح وجداننا فقد تبددت كالضباب وحل محلها جبابرة تسير كالعواصف ، وتتمايل كالبحار ، وتتنفس كالبراكين

وما عسى ان يصير اليه العالم بعد ان تنتهى الجبابرة من صراعها ؟

هل يعود القروى الى حقله فيلقى البذور حيث زرع الموت جماجم القتلى ؟

هل يقود الراعى مواشيه الى مروج مزقت أديمها السيوف ، ويوردها مناهل يمتزج ماؤها بنجيع الدماء ؟

هل يركع العابد فى هيكل رقصت فيه الشياطين ، ويردد الشاعر قصائده أمام كواكب حجبت بالدخان ، وينغم المنشد أغانيه فى ليل عانقت سكينته الاهوال ؟

هل تجلس الام بجانب سرير رضيعها مرتلة بالهدوء أغانى النوم وهى لا ترتجف وجلا مما سيجلبه الغد ؟

هل يلتقى الحبيب بحبيبته ويتبادلان القبل حيث التقى العدو بعدوه وتبادلا القذائف ؟

وهل يعود نيسان الى الارض ويستر بقميصه اعضاءها المكلومة ؟

ليت شعرى ! هل يعود نيسان الى الحقول ؟

* * *

وماذا عسى تصير اليه بلادكم وبلادى ؟ وأى من الجبابرة يضع يده على تلك التلال والهضبات التى انبتتنا وسيرتنا رجالا ونساء أمام وجه الشمس ؟

وهل يطلع الفجر فوق قمم لبنان ؟

كلما خلوت بنفسى أطرح عليها هذه السؤالات غير ان النفس كالفضاء تبصر ولا تتكلم وتسير ولكنها لا تلتفت ، فهى ذات عيون تتجلى واقدام تتسارع ، أما لسانها فثقيل

ومن منكم أيها الناس لم يسأل نفسه فى كل يوم وليلة عن مصير الارض وسكانها بعد ان تختمر الجبابرة من دموع الأرامل والايتام ؟

أنا من القائلين بسنة النشوء والارتقاء ، وفى عرفى ان هذه السنة تتناول بمفاعيلها الكيانات المعنوية بتناولها الكائنات المحسوسة ، فتنتقل بالاديان والحكومات من الحسن الى الاحسن ، انتقالها بالمخلوقات كافة من المناسب الى الانسب ، فلا رجوع الى الوراء الا فى الظاهر ولا انحطاط الا فى السطحى

ولسنة الارتقاء سبل متشعبة يتفرع بعضها من بعض ولكنها متلازمة الاصول ، ومظاهر قاسية ظالمة مظلمة تنكرها الافكار المحدودة وتتمرد عليها القلوب الضعيفة . اما خفاياها فعادلة منيرة ، متمسكة بحق اسمى من حقوق الافراد ، محدقة بفرض أعلى من مرام الجماعة . صاغية الى صوت يغمر بهوله وعذوبته تنهدات المنكوبين وغصات المتوجعين

حولي بكل مكان اقزام يرون عن بعد اشباح الجبابرة متناضلين ويسمعون في المنام صدى تهاليلهم فيضجون كالضفادع قائلين : لقد رجع العالم الى فطرته الوضيعة ، فما بنته الاجيال بالعلم والفن قد هدمه الانسان الوحشي بالطمع والانانية . فحالنا اليوم حال سكان الكهوف ولا يميزنا عنهم سوى آلات نبتدعها للدمار وحيل نستخدمها للهلاك

هذا ما يقوله هؤلاء الذين يقيسون ضمير العالم بمقياس ضمائرهم ويحللون مراد الوجود بالفكرة القصيرة التي يستخدمونها لحفظ وجودهم الفردي . فكأن الشمس لم تكن الا لتدفئتهم ، وكأن البحر لم يوجد الا لغسل ارجلهم

* * *

من أحشاء الحياة ، من وراء المرئيات ، من أعماق الكون المدبر حيث تصان سرائر الكون المدبر قد انبثق الجبابرة كالريح وتصاعدوا كالغيوم ثم تلاقوا كالجبال وهم الآن يتصارعون ليحلوا مشكلة الأرض لا يحلها غير الصراع

أما البشر وكل ما في رءوسهم من المدارك والمعارف ، وما في قلوبهم من المحبة والبغضاء وما يعانق نفوسهم من الصبر والجزع والأوجاع فآلات يتناولها الجبابرة ويديرونها توصلا الى غاية علوية لا بد من بلوغها

أما الدماء التي اهرقت فسوف تجرى أنهاراً كوثرية ، وأما الدموع التي نثرت فستنبت ازهاراً ذكية ، وأما الارواح التي فاضت فسوف تجتمع وتتآلف وتتطلع من وراء الافق الجديد صباحا جديداً فيعلم الناس بأنهم قد ابتاعوا الحق في سوق البؤس وان من ينفق في سبيل الحق لن يخسر

وأما نيسان فسيعود ـ ولكن من يطلب نيسان من غير كف الشتاء فلن يجده

(عن المجلد الرابع والعشرين)



أبو العلاء المعرى

تصوير جبران خليل جبران

هل يعيش الانسان بلا دماغ ؟

حى بلا دماغ ؟.. لا ريب ان معظم الناس يرون فى هذا القول تناقضاً واضحاً فقد ثبت فى الأذهان أن الدماغ مركز الظواهر النفسية وان ادنى خدش فيه يؤول حتما الى اختلال القوى العاقلة فكيف به لو أصيب اصابة بليغة أو فقد جانب منه ؟ السواد الأعظم يتوقعون موت المصاب أثر حادث من هذا النوع على أن أحدث المباحث فى هذا الموضوع تدل على خلاف ذلك

بل تكاد تلك المباحث تقضى على نظرية علمية كان لها المقام الأول لدى علماء النفس ـ نعنى النظرية القائلة بتعيين مراكز القوى النفسية فى الدماغ . فقد كان العلماء يقسمون الدماغ الى بقع وتلافيف وينسبون الى كل منها بعض الظواهر النفسية أو القوى العاقلة. فللكلام مركز وللكتابة مركز ولتحريك العضلات مركز وللسمع مركز وللبصر مركز الخ . . . وكانوا يظنون أنه اذا أصيب مركز من تلك المراكز فلا بد من اختلال الوظيفة المقابلة له أو فقدانها

على أن الحوادث المفردة المثبتة أبلغ من النظريات . ففى الحادثة يرى العالم حقيقة الواقع الذى لاريب فى صحته . وأما النظرية فانها ترشده الى مايتوقع حدوثه . وانما تبنى النظريات أثر جمع الحوادث المفردة وفحصها واستخراج الصفات والقوانين المشتركة بينها ، فالعالم يفحص مثلا عشر حوادث أو عشرين حادثة من نوع واحد فيرى فى جميعها صفة مشتركة فيحدوه ذلك الى توقع تلك الصفة المشتركة فى سائر الحوادث التى من ذلك النوع . فاذا تحقق ظنه ثبتت النظرية ولكنه اذا وجد حوادث لا تتفق مع استنتاجه وجب عليه تغيير نظريته او تعديلها

هذا شأن النظرية التى نحن فى صددها فقد اجتمعت حوادث و مشاهدات مختلفة لا تتفق معها فتحتم تعديلها . ولننتقل الآن الى درس الحوادث والمشاهدات المتعلقة بهذا الموضوع فنقول :

من الشواذ الغريبة أن بعض الأطفال يولدون بلا دماغ . فقد ذكر بعض الأطباء الثقات حادث طفل ولد على هذه الحال وعاش بالرغم من ذلك ٣٩ ساعة ـ نقول « عاش » اذا اعتبرنا التنفس بين فترات بعيدة ونبض القلب من غير انتظام وتراجع الارجل عند لمسها ظواهر كافية للدلالة على الحياة

وذكر آخر أن كلباً صغيراً ولد بلا دماغ تمكن من الوقوف على ارجله ورضع لبن أمه وعاش على هذا الحال ٣٠ ساعة

ولكن تلك حوادث شاذة ونادرة فلندرس الآن حوادث أخرى أكثر صراحة وأجلى دلالة

من أهل أواخر القرن السادس عشر طبيب اشتهر بعلمه ومهارته اسمه زاكوتس لسبون وقد عاش أولا فى البرتغال ثم انتقل الى هولندا وخلف كتباً كثيرة نقتبس من احدها القصة التالية :

«أصيب ولد فى التاسعة من عمره بضربة سيف شديدة فى مؤخر رأسه فشقت جمجمته وأخذت المادة الدماغية تتساقط من الشق ، على أنه بالرغم من ذلك عاش الولد ثلاث سنوات . فلما مات فتحوا رأسه فوجدوه فارغا أى بلا مادة دماغية وانما وجدوا فيه سائلا صافياً ذا رائحة طيبة ، وقد ذاقها بعض الحاضرين فلم يجد لها طعماً . . . »

على أنه لابد لنا الآن من الاشارة الى أن الطبيب المذكور معروف بين علماء اليوم بحب المغالاة ولذا فانهم لم يحفلوا بكل ما ذكر فى كتبه . والقصة المتقدمة من جملة ما غضوا الطرف عنه . الا أن الحوادث الاخيرة قد اضطرتهم الى الرجوع عن سوء ظنهم بذلك الطبيب

ذكر أحد الأطباء المعاصرين حوادث شاهدها بنفسه نذكر منها الحادثين التاليين :

اصيب بناء بضربة شديدة ذهبت بالجانب الأيمن من رأسه بما فيه المادة الدماغية فبقى فى حالة سبات مدة ١٥ يوماً ولما أفاق لم يفقد شيئاً من قواه العقلية مع أن نصف رأسه ودماغه كان مفقوداً فقد كانت الحفرة فى رأسه تسع يداً مطبقة . وقد غطى ذلك المكان بجهاز واق وداوم الرجل معيشته

وذكر هذا الطبيب أيضاً حادثاً شاهده فى الجزائر اذ جاءه يوما جزائرى وقد أصيب بصدمة شديدة فى جبهته من جهة اليسار وكان قادماً من بلدته على قدميه واستغرق سفره عشرين يوماً . فرأى الطبيب قيحاً عند الجرح فطهره وضمده وما لبث ان رجع الرجل الى عيشته المعتادة . ولكنه فى ذات يوم مات فجأة ففتحوا رأسه فوجدوا مكان الاصابة خراجاً كبيراً يعادل حجمه سدس حجم الدماغ فكأن ذلك الرجل عاش بعد اصابته ـ أى نحو ثلاثة أشهر ـ بلا سدس دماغه

على ان الدكتور روبنسو قدم قبل الحرب الى أكاديمية العلوم الفرنسية حادثاً اغرب من الحادث المتقدم اذ أن الخراج فى تلك الحادثة التهم معظم دماغ المصاب

ولكن تلك الحوادث متشابهة فى أن فقدان المادة الدماغية ناشىء عن خراج . فهل يمكن بتر جزء من الدماغ ويبقى المصاب حياً ؟ هل فى الامكان اجراء عمليات جراحية فى هذا العضو كما فى سائر الاعضاء بحيث اذا فقد جانب منه أو أصيب اصابة خطرة يستخرج الجانب الفاسد ويقطع ؟

قد حدثت فى هذه الحرب حوادث مختلفة تمكننا من الاجابة على هذا السؤال نذكر منها حادثين :

فى ١٢ يناير سنة ١٩١٥ أصيب جندى بجوار سواسون بقرب فرنسا بقذيفة أصابته فى مؤخر رأسه فاضطر أثر ذلك أن يترك موقفه وسار مسافة ٣٩٠ مترا على قدميه الى أن بلغ المستشفى النقال فضمد جرحه ثم ذهب الى المستشفى الثابت فى حالة يرثى لها . وقد كان من تأثير القذيفة أنها أحدثت فتقاً فى الدماغ مصحوباً بخراج بليغ . فلم ير الطبيب بداً من تحكيم مشرطه فى الدماغ ـ فعل ذلك ثلاث مرات وقدر مجموع ما فقده المصاب من مادته الدماغية بثلث شطر الدماغ على أقل تقدير . على أنه فى ٢٢ مارس سنة ١٩١٧ بدأ المصاب بدور النقه وفى شهر أبريل التالى كان على ما يرام من الصحة الا ضعفاً طفيفاً ألم ببصره

أما الحادث الثانى فهوايضا فتق فى الدماغ أصاب جندياً فى ميدان القتال . وقد كانت المادة الدماغية هابطة من الشق فلم ير الجراح مناصاً من بتر ذلك الجزء البارز وهو يعادل ربع الشطر الايسر من الدماغ تقريباً فنجحت العملية والمصاب آخذ فى النقه الآن

* * *

تلك بعض الحوادث الغريبة التى حدثت أخيرا . وهى تضطرنا الى تبديل آرائنا بشأن أهمية الدماغ

نعم إن الانسان لا يستطيع ان يعيش لو فقد كل دماغه كما تبين من الحوادث الاولى المذكورة سالفاً ولكنه بلا ريب يعيش وان فقد جزءاً كبيرا منه

ثم إن الدماغ أصبح كسائر الاعضاء عرضة لمشرط الجراح كما ثبت مما تقدم

أما نظرية تعيين المراكز الدماغية التى أشرنا اليها فلا ريب أنها تزعزعت وفقدت من مكانتها

(عن المجلد الخامس والعشرين)

العظمة

بقلم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

ان رأيت شاعراً من الشعراء ، أو عالماً من العلماء ، أو نبيلا فى قومه ، أو داعياً فى أمته ، قد انقسم الناس فى النظر اليه وتقدير منزلته انقساماً عظيما ، وانفرجت مسافة الخلف بينهم فى شأنه ، فافتتن بحبه قوم حتى رفعوه الى رتبة الملك ، ودان ببغضه آخرون حتى هبطوا به الى منزلة الشيطان ، فاعلم انه رجل عظيم

العظمة أمر وراء العلم والشعر والامارة والوزارة والثروة والجاه . فالعلماء والشعراء والنبلاء كثيرون ، والعظماء منهم قليلون ، وانما هى قوة روحية موهوبة غير مكتسبة تملأ نفس صاحبها شعوراً بأنه رجل غريب فى هذه الحياة فى نفسه ومزاج عقله ومنازع أفكاره غير مطبوع على غرار الرجال ، ولا مقدود على أمثالهم ، ولا داخل فى كلية من كلياتهم العامة ، فاذا نزلت نفسه من نفسه هذه المنزلة أصبح لا ينظر الى شىء من الاشياء بعين غير عينه ، ولا يمشى فى طريق غير التى مهدها بيده لنفسه ، ولا يجعل لعقل من العقول مهما عظم شأنه وشأن صاحبه سلطاناً عليه فى رأى أو فى فكر ، أو فى مشايعة لمذهب ، أو فى مناصبة لطريقة . بل يرى لشدة ثقته بنفسه ، وعلمه ضعف ثقة الناس بنفوسهم أن حقاً على الناس أن يستقيدوا له ، وينزلوا على حكمه ، ويترسموا مواقع أقدامه فى مذاهبه ومراميه . فترى جميع أعماله وآثاره غريبة نادرة بين آثار الناس وأعمالهم تبهر العيون ، وتختطف الأنظار ، وتملأ القلوب دهشة وروعة . فان كان شاعراً كان مبتكراً فى معانيه أو طريقته ، أو كاتباً ملك على النفوس مشاعرها وأهواءها ، أو فقيهاً هدم من المذاهب قديماً ، وبنى جديداً ، أو ملكا شغل من صفحات التاريخ ما لم يشغله ملك سواه ، أو وزيراً ساس أمته بسياسة جديدة لا عهد لهم بمثلها ، أو قائداً ضرب الضربة البكر التى تردد الآفاق صداها

تلك هى العظمة ، وهذا هو الرجل العظيم . ومن كان هذا شأنه كان فتنة الناس فى خلواتهم ومجتمعاتهم ، ومعترك أنظارهم وأفهامهم ، ومثار الخلف والشقاق بينهم فى استكناه أمره وتقدير منزلته

فيعجب به الذين يعجبون بكل غريب ، ويستهدون بكل جديد ، ويدينون للشجاعة فى جميع مظاهرها ومرائيها ، حتى يبلغ بهم الاعجاب به الافتتان بأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ، والاغراق فى حبه والمشايعة له والسير بعجائبه وغرائبه فى كل صقع وناد . فيقع ذلك من نفوس مناظريه وحاسديه والمتمردين على عبقريته ونبوغه موقعاً غير جميل . فلا يجدون لهم بداً من مقابلة الأغراق فى حبه بالاغراق فى بغضه ، على قاعدة المشادة والمعاندة ، وهنالك تحتدم المعركة الهائلة بين أنصاره وأعدائه فيهاجمه هؤلاء يحاولون استلاب عظمته منه ، ويناضل عنه أولئك يريدون استبقاءها فى يده . وهو واقف بينهم يدير أنظاره فيهم هادئاً مغتبطاً لا يحزن ولا يبتئس . لأنه يعلم ان جميع هذه الاصوات الصارخة المختلطة حوله انما هى أبواق شهرته وعظمته

لا أريد أن أقول ان الرجل العظيم مصيب فى كل ما يرى وما يفعل وما ينتهج لنفسه وللناس من سبل الحياة . فربما كان من هو أضعف منه قوة وأخمل ذكراً أسد منه رأياً وأصدق نظراً . وانما أريد أن أقول ان أحداً من الناس لا يستطيع أن يشغل أقلام الكتاب وعقول المفكرين وألسنة الناطقين وقلوب المحبين والمبغضين إلا الرجل العظيم

أحب علياً قوم حتى كفروا بحبه ، وأبغضه آخرون حتى كفروا ببغضه . وسمى بعض الناس أبا بكر وعمر شيخى المسلمين ، وأنكر بعضهم صحبتهما واخلاصهما . وعاش محي الدين بن العربى بين فئة تراه قطب الأولياء ، وأخرى تراه شيخ الملحدين . واغتبط فريق من المسلمين بابن رشد فسموه فيلسوف الاسلام ، ونقم عليه فريق فملأوا وجهه بصاقاً فى المسجد الجامع . وسمى قوم صاحب كتاب الاحياء حجة الاسلام ، ومزق آخرون كتابه ونثروه فى مدارج الطرق . وعاش المعرى بين رضى الراضين عنه ، ونقمة الناقمين عليه ، يلثم الأولون مواطىء قدميه ، ويسحبه الآخرون على وجهه فى الطرقات العامة . وشرب سقراط كأس السم بين أفواه باسمة شماتة به ، وعيون دامعة حزناً عليه ، وجرت الاقلام بمدح المتنبى تارة فاذا هو سيد الشعراء ، وبذمه أخرى فاذا هو اكبر المتكلفين ، ورفع قوم شكسبير الى مرتبة الكمال الانسانى فقالوا نابغة الدهر ، وهبط به آخرون الى أدنى منازل الخسة والدناءة فقالوا المنتحل الكذاب ، وافتتن المفتتنون بنابوليون الأول فعلوا به الى رتبة الانبياء ، وتنكر له خصومه وأعداؤه فسلكوه فى سلك الحمقى المغرورين . وذاق كل من لوثر وكالفين وغليلو وفولتير ونيتشه وتولستوى كأسى الحب والبغض فى حياته وبعد مماته الى القطرة الاخيرة منهما . وما انقسم الناس فى هذا البلد فى هذا العصر فى شأن رجل من الرجال انقسامهم فى شأن جمال الدين ومحمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين واحمد شوقى

وما كان واحد من هؤلاء جميعاً بالمنزلة التى يرفعه اليها المغرقون فى حبه ، او ينزل به اليها الغالون فى بغضه ، ولكنهم كانوا قوماً عظماء فانقسم الناس فى شأنهم ، وذهبوا فى امرهم هذه المذاهب البعيدة المترامية . ولا ينقسم الناس هذا الانقسام العظيم إلا فى شأن الرجل العظيم

ليس معنى الوجود فى الحياة ان يتخذ المرء لنفسه فيها نفقاً يتصل أوله بباب مهده ، وآخره بباب لحده ، ثم ينزلق فيه انزلاقاً من حيث لا تراه عين ، ولا تسمع دبيبه أذن ، حتى يبلغ نهايته ، كما تفعل

الهوام والحشرات والزاحفات من الاحياء على بطونها . وانما الوجود قرع الاسماع ، واجتذاب الانظار وتحريك اوتار القلوب ، او استثارة الالسنة الصامتة ، وتحريك الاقلام الراكدة وتأريث نار الحب في نفوس الاخيار ، وجمرة البغض فى قلوب الأشرار . فعظماء الرجال اطول الناس اعماراً وان قصرت حياتهم واعظمهم حظاً فى الوجود وان قلت على ظهر الارض ايامهم

العظمة كالحقيقة يخدمها اعداؤها وأصدقاؤها ، ويحمل على رأسه أحجار هيكلها هادموها وبناتها ، فحيث ترى سواد الاعداء فهناك سواد الاصدقاء ، وحيث ترى الفريقين مجتمعين فى صعيد واحد فاعلم ان العظمة ماثلة على عرشها العظيم فوق أعناقهم جميعاً

العظمة قصر مشيد مرفوع على ساريتين منحوتتين من حب الناس وبغضائهم . فلا يزال ذلك القصر ثابتاً فى مكانه لا يتزعزع ولا يتحلحل ما بقيتا فى مكانهما . فاذا سقطت احداهما عجزت الاخرى عن الاستقلال به فسقطت بجانب اختها وسقط هو بسقوطهما

لا يعجبنك أن يتفق الناس جميعاً على حبك لأنهم لا يتفقون إلا على حب الرجل الضعيف المهين الذى يتجرد لهم من نفسه وعقله ورأيه ومشاعره ثم يقعى على ذنبه تحت أقدامهم اقعاء الكلب الذليل يضربونه فيصطبر لهم ، ويعبثون به فيبصبص بذنبه طلباً لرضاهم ، ويهتفون به فيقترب ، ويزجرونه فينزجر

ولا يعجبنك أن يتفقوا على بغضك لأنهم لا يتفقون الا على بغض الخبثاء الاشرار الذين لا يحبون أحداً من الناس فلا يحبهم من الناس أحد

وليعجبنك أن يختلفوا فى شأنك ، وينقسموا فى أمرك ، ويذهبوا فى النظر اليك وتقدير منزلتك كل مذهب . فتلك آية العظمة ، وذلك شأن الرجل العظيم

كن القائد الذى تعترك الجيوش حوله من بين ذائد عنه وعاد عليه . ولا تكن الجندى الأبله الذى يسفك دمه ليسقى دوحة العظمة التى ينعم فى ظلالها القائد

كن الناطق الذى تحمل الريح صوته الى مشارق الارض ومغاربها ، ولا تكن الريح التى تختلف الى آذان الناس بأصوات الناطقين من حيث لا يأبهون لها ولا يعرفون لها يدها

كن النبتة النضرة التى تعتلج ذرات الارض فى سبيل نضرتها ونمائها ، ولا تكن الذرة التى تطؤها الاقدام وتدوسها الحوافر والاخفاف

كن زعيم الناس اذا استطعت . فان عجزت فكن زعيم نفسك . ولا تطلب العظمة من طريق التشيع للعظماء والتلصق بهم أو مناصبتهم العداء والوقوف فى وجههم . فان فعلت كنت التابع الذليل ، وكانوا الزعماء الاعزاء

(عن المجلد السادس والعشرين)

مسرات العمل

بقلم الاستاذ خليل مطران

فصل معرب بتصرف من كتاب « تربيـة الارادة » للعـالم
الفرنسي « بايو » وهو جدير بأن يطالعه شبان الشرق باهتمام وتدبر

لا شيء أدعى للحزن وأنفى للسرور من عيشة الفراغ . فان الذين يعيشونها اذا التفتوا الى ماضيهم لم يشعروا به أكثر مما يشعر الحي بتقلص الظل ، واذا اعتبروا في حاضرهم وجدوه لا يزيد قيمة ولا كرامة عما غبر من عمرهم . فهم في غم وايجاس شر من قرب الموت . اذ أنهم سيقضون ولا يتخلف عنهم من أثر دال على مر لهم في طريق هذا الوجود . مثلهم مثل المقضي عليهم بالسجن يحملهم قطار سريع بغير ما يحبون والى حيث لا يحبون

أما أولئك الذين حياتهم مليئة بالعمل المنتج فانهم به يضاعفون معنى الحيـاة . فيتمتعون بها أملى وأحلى . ومهما يكن من سرعة القطار الذي يقلهم فهم يستبقون الماضي في صحبتهم بحسن الذكرى له ويزينون الحاضر بصنوف الزينات العقلية ، ويتحررون من أسر الحياة بكونهم يواجهون الموت وهو حق محتم المجيء مواجهة الذي أتى أمرا قيما ، مرضياً لضميره ، فاستوفاه ، أو معظمه ، وبلغ الى الوفاة كما يبلغ التعب الى الراحة . واوسع بالفرق بين كادح رقد ومستنيم جمد . فالحياة في الشعور بالحياة لا في تبديدها بالاستشراف من بعد . قال داروين « عندما أقمت في ماير متمرضاً أحسست بأن أيامي ثقيلة لا تطاق بسبب الفراغ »

وفي الحقيقة ليس المكسال الا منتحرا على مهل . لانه يخترط الملل ويسلط السأم على نفسه فيودي به . على أن الفراغ باطلاق المعنى لا وجود له و«من لا عمل له أوجد له الشيطان عملا» فحيث لا يكون شغل بغرض شريف حل محله شغل بغرض زري أو سافل . وقد تكون من هذا الشغل صغار الهموم ودنايا المعاكسات . فهي لا تقوى العقل بل تنهكه وتدكه . وقد يكون من هذا الشغل أن قوة الاحساس التي لم تضبط ، ولم تسير في ترع منصوصة لتروي الارجاء العليا من السليقة الانسانية ، تندفع منحدرة الى قاذورات الطبيعة الحيوانية فتسقط فيها وتزيدها فساداً . يخال ان المترفين من أولي اليسار في نعيم . والصواب ان المسرات مع البلادة تصبح مشقات ، وان لا قيمة لغبطة ما لم تكن ناتجة من نشاط . على ان الكسل يضر بالجسم فيضعف فيـه الجهاز الهضمي . ويحدث الجمود والاسترخاء كما أنه يضر بالنفس فيجعل الذكاء متوزعا تتناتشه صغار الهموم وتنتابه صغائر الحزازات فيتأكل بها ويتضاءل ، ومن ثم جاء ان المكسال يجد العناء والنصب في كل عمل يضطر للقيام به . وعلى نقيضه الكدود يوالي عمله متجها الى قصد معلوم بقدر طاقته ، متسلطة فيه ارادته على أفكاره ونزعاته فلا تأذن لها بالشتات

فاذا عكف العامل العقلي على شأنه بنظام ومن غير اجهاد ، ثم انصرف الى الراحة لتجديد قواه في

الوقت الملائم كان فى ذلك سر السعادة لانه يجمع به الى حسن الانتاج حضور الذهن فى كل حالة ، ويقظة الرقابة للنفس

الا ان الكثيرين من جهلة الحقائق على ان العمل مشقة . وما من تصور يدخل فيه الالم أو الضغط أو الكمد الا أدخلوه قسرا فى تصور العمل . مع انه ثابت فى علم النفس ان العمل هو السعادة ما لم يتجاوز الكد فيه القدر الذى تسمح به الحالة الهضمية . وان الهناء الذى ينجم عن العمل لهناء ايجابى مثمر لا سلبى عقيم . فهو يبقى للحقيقة فى الحياة طعمها ورونقها ولا يحولها الى وهم موهوم ، ثم يعصم العقل من سلطان الدنايا والهموم الصغيرة . ويمنح النفس من الترضيات الشافية مثل ما تجود به الينابيع الفياضة من نقع الغلة

ومن مسرات العمل العقلى أنه يرفعنا فوق مستوى العامة . ويأذن لنا بدخول ندوة اولى الالباب من عظماء كل زمان فيزيدنا بذلك أسباباً للابتهاج والاهتمام بالحياة . فى حين ان المتفرغ يحتاج فى الغالب الى معاشرة من هم دونه لقضاء وقته . وذلك لانه لا يكفى نفسه فيقع فى صنوف من العبودية للآخرين لا يعرفها العاملون من أهل العلم ، ولذا صدق من قال : « ان العمل هو الحرية » فتلك حقيقة وليست مجازا . ومزية العامل ان سعادته يلتمسها من نفسه ويجدها فى نفسه . اما المتفرغ فان كان له هناء فهو ما يستمده من سواه

ثم ان توالى الأيام لا يزيد المتفرغ سوى تقدم فى السن . وتماد فى عمر بلا نتيجة . ولكنه يزيد مجموع المعارف التى يكتسبها المتعلم الجاد زيادة مطردة لا تلبث مع كر السنين ان تجعله ذا مقام عال بمعارفه الواسعة . وذا سلطان بذكائه على القوم الذين يحيطون به يكاد يضارع سلطان الخلق العظيم

فاذا جاءت الشيخوخة شهد المتفرغ انطفاء لذاته واحدة بعد الاخرى . على حين ان مسرات العامل لا ينضب لها معين بل تنمو على توالى الايام ، وتتنوع تنوع اهتمامه بالعلم أو الادب أو الطبيعة او الانسانية أو الفنون على اختلافها . قال كينه « : رأيت الشيخوخة حين بلغتها أقل مرارة مما وصفوها لى ورب ساعات منها وردتها أشهى من ساعات الشباب »

اذن فحياة العامل العقلى أسعد حياة . لا تحرمه لذة حرية بان يرغب فيها . بل تمتعه بما لا يتمتع به الا أمثاله من الشعور بكنه الوجود . وتحرره من الرق المعنوى الذى يجعل الكسالى ألاعيب فى ايدى الصروف . وتعصم عقله من السفاسف القاتلة

أضف الى ذلك ان الحياة المنتجة تقوى الارادة بكونها منبع السعادة الثابتة . وتجعل صاحبها من سكان الحاضرة الراقية ، حاضرة المفاخر التى انما يأهلها أولو الالباب ، وعظماء الدنيا بصنوف الاحساب . وتمنحه سلطاناً على غيره . وتزيده على مسرات العقل والنفس الازدهاء بتفوقه على الآخرين . ثم هى تكرمه عن الممذوق والمكذوب من المجد الذى يتظاهر به ذوو الثروة والمناصب السياسية بمنحها اياه المجد الصحيح الذى تصحبه السعادة الفائقة . ونعم الثوابان لمستحقهما هذا السعد الموموق وذلك المجد المصدوق

(عن المجلد السابع والعشرين)

لكي تكون سعيدا

طالع هذه الحكم بترو وامعان

كثيرا مايبحث المرء عن سعادته كما يبحث عن نظاراته . . . حين تكون معلقة على انفه

جوستاف دروز

هذه غايتى من الحياة ـ ان اعيش هنيئاً بوسائل قليلة ، ان اطلب الجمال لا البذخ ، أن أكون لطيفاً رقيق الاحساس مع قلة الاختلاط بالناس ان تصان كرامتى لا كبريائى ، ان احوز الراحة لا الثروة ، ان أعرف كيف أصغى للنجوم والطيور وللاولاد والشيوخ فافتح للجميع قلبى على الدوام ، ان ادرس كثيرا وأفكر بهدوء واعمل بصراحة واتكلم بترو ، أن أرقب الاحوال الملائمة لاعمالى فلا اتسرع قط فى شىء منها ، وبكلمة واحدة ان غايتى من الوجود ان تغمر الاعتبارات الروحانية السامية كل الامور والشواغل الدنيوية ـ فى ذلك سعادتى واغتباطى تشاننج

الرجل الذى لا يرضيه القليل لا يرضيه شىء ابيقورس

لنكن جذلين ولنتذكر على الدوام أن أشد المصائب وطأة على الانسان هى تلك التى لا تنزل به قط

لويل

ما أقل الحظوظ السيئة لو خلص الناس انفسهم من تلك التى يستطيعون تجنبها بيتهوفن

ما الشقاء فى الحقيقة الا منا وفينا وانه لمن الخطأ ان ننسبه الى الحوادث الخارجية . فاننا انما نصوره فى داخل نفوسنا ونكونه من جبلتنا التى بها جبلنا اناتول فرانس

اذا صرفت ذهنك الى ماكان امامك وعملت بجد ونشاط ورزانة وفقا لما يوحيه اليك عقلك من دون ان يلهيك عن عملك أمر او طارىء ـ اذا سلكت هذا المسلك وحافظت على طهارة ضميرك كما لو كنت مطلوبا للدينونة فى ساعتك . . . فلم تشته شيئا بل كنت مقتنعا بصنع يديك وواثقا بجميع أقوالك وجميع اعمالك ـ فانت انت السعيد ولن يستطيع أحد أن ينتزع منك تلك السعادة

مركس اوريليوس

يجب ان نلبس الحقائق التى نشاهدها ثوبا خيالياً روحيا كما يجب أن نسعى لتحقيق الامانى الخيالية الروحية التى تنزع اليها نفوسنا دوماس الصغير

السعادة تترتب على العواطف اكثر من ترتبها على الحوادث مدام رولان

لاريب فى ان قسطا كبيرا من سعادتنا يتوقف على براعتنا فى اختيار الاصدقاء لوردا فبرى

السعادة القصوى هى ان نكون محبوبين لاجل انفسنا أو بالحرى بالرغم من انفسنا

فكتور هوغو

الصداقة تقوم مقام كل شىء فانها تزيد اغتباطنا فى افراحنا وتخفف حزننا فى اتراحنا امرسن

(عن المجلد الثامن والعشرين)

كن سعيدا

بقلم الآنسة مي

فى هيكل الاشجان الانسانية وقف الزعيم الاكبر يخطب فى القوم فسمعته يقول : « إذا كنت غنياً كن سعيداً ! لان مزاولة الامور الخطيرة هيئت لك وكنت مشكور الصالحات مرجو الجميل . لقد عز جانبك ، ومنعت حوزتك ، ونشر رواق العزفوق ذمارك فتم لك وجه من وجوه الحرية والاستقلال . وان كنت فقيراً كن سعيداً ! لأنك سلمت من شلل معنوى ابتلى به من دانت لرغبته جميع المطالب ، ووقيت ما عرض له السرى من حسد وكره ، فلا تتلظى الصدور لنعمتك ولا ينظر الى متاعك بعين مريضة

« اذا كنت محسناً كن سعيداً ، لأنك ملأت الايدى الفارغة ، وسترت الاجساد العارية ، وكونت من لا كيان له فرضيت عن نفسك وودت اسعاد عشرات ومئات . لتتضاعف مسرتك النبيلة الواحدة بتعدد المنتفعين باسبابها . وان عجزت عن الاحسان كن سعيداً ! فقد أجلت ساعة تشهد فيها نكران الجميل ممن صانعت فاتخذ المعروف سلاحاً يهددك به حاسباً التجنى شجاعة والسفاهة حذقاً . تلك الساعة لا بد من مرورها فتتوتر لها اعصابك ، ويفور سخطك ، وتقسو عواطفك ، ويجف منهل كرمك ، وتحتقر الانسان وتيأس من إصلاحه ـ قبل ان تصل الى قمة التغاضى الحكيم والغفران السامى

« اذا كنت شابا كن سعيداً ! لان شجرة مطالبك مخضلة الغصون ، وقد بعد امامك مرمى الآمال فتيسر لك إخراج الاحلام الى حيز الواقع ان كنت بذلك حقيقاً . وإذا كنت شيخاً كن سعيداً ! لأنك عركت الدهر وناسه وألقيت اليك من صدق الفراسة وحسن المعالجة مقاليد الامور ، فكل أعمالك ان شئت منافع ، والدقيقة الواحدة توازى من عمرك اعواماً لانها حافلة بالخبرة والتبصر واصالة الرأى كأنها ثمرة الخريف موفورة النضج ، غزيرة العصير اشبعت بمادة الاكتمال والدسم والرغبة

« اذا كنت رجلا كن سعيداً ! لأن فى شهامة الرجولة يتجسم معنى الحياة الاكبر . واذا كنت امرأة كن سعيداً ! فالمرأة منشودة الرجل ، ونبلها موضع اتكاله ، وعذوبتها مستودع تعزيته ، وبسمتها مكافأة أتعابه

« اذا كنت رفيع الحسب كن سعيداً ! فقد فزت بثقة الجماعة دون أن يوصى بك أحد . وان كنت وضيع النسب كن سعيداً ! لأنه خير لك أن تكون مؤسس عيلتك ورافع عمادها الذى تعرف به وتفاخر بذكراه من أن تكون أحد أبنائها المرغمين بطبيعة الحال على حمل اسمهم ولا فضل لهم باعلائه

« اذا كنت كثير الاصدقاء كن سعيداً ! لأن ذاتك ترتسم فى ذات كل منهم والنجاح مع الصداقة أبهر ظهوراً والفشل أقل مرارة . وجمع القلوب حولك يستلزم صفات وقدرات لا توجد فى غير النفوس ذات الوزن الكبير ، أهمها الخروج من حصن أنانيتك لاستكشاف ما عند الآخرين من نبل ولطف وذكاء . واذا كنت كثير الاعداء كن سعيداً ! لأن الاعداء سلم الارتقاء وهم أضمن شهادة

بخطورتك . وكلما زادت منهم المقاومة والتحامل ، وتنوع الاغتياب والنميمة زدت شعوراً بأهميتك ، فاتعظت بالصائب من النقد ، الذى هو كالسم يريدونه فتاكا ولكنك تأخذه بكميات قليلة فيكون لك أعظم المقويات . وتعرض عما بقى ، وكان مصدره الكيد والعجز ، إعراضاً رشيقاً . وهل يهتم النسر المحلق فى اقصى الآفاق بما تتآمر له خنافس الغبراء ؟

« اذا كنت صحيحاً كن سعيداً ! فقد استبان فيك توازن الناموس الكلى وانسجامه ، وأهلت لمعالجة المصاعب ودحر العقبات . وان كنت عليلا كن سعيداً ! لأنك مسرح تتقاتل فيه قوتا الكون العظيمتان فالغلبة لما تختار منهما والشفاء موقوف على ماتريد

« اذا كنت عبقرياً كن سعيداً ! فقد تجلى فيك شعاع ألمعى من المقام الاسنى ورمقك الرحمن بنظرة انعكست صورتها على جبهتك فكراً ، وفى عينيك طلسما ، وفى صوتك سحراً ، والالفاظ التى هى عند الآخرين أصوات ونبرات ومقاطع صارت بين شفتيك وتحت لمسك ناراً ونوراً تلذع وتضىء ، وتحرق وتهنىء ، وتخجل وتكبر ، وتذل وتنشط ، وتوجع وتلطف ، وتسخط وتدهش ، وتقول للمعنى « كن ! » فيكون . وان كنت خاملا كن سعيداً ! لأن الالسنة لا ترهف حدها لتذكرك والانظار لا يستعر فيها لهيب التفحص وحب المنافسة إذ تتجه اليك . هاك القمة فاقتحمها ان كنت كفؤاً ، وإلا فاقنع بأنك جزء مهم من أجزاء الكون تستعملك الكفاءة وقوداً . فالايوانات الباذخة لا تقوم بغير الحجارة الصغيرة ، وأنت متمتع براحة لا ينعم بها من لا ترتوى شفتاه بغير ماء الحياة ولا تغتسل روحه بغير سيول الالهام

« اذا كان صاحبك وفياً فكن سعيداً ! لأن الايام حبتك بكنز من أثمن كنوزها . وان كان خائناً كن سعيداً ! لانه لم يكن على استعداد لتلقى أمثولة خفية تلقيها عليه نفسك . ولا يغادر امرؤ حظيرة المحبة إلا ليفسح مكاناً لمن هو خير منه وأجدر

« اذا كنت حراً كن سعيداً ! ففى الحرية تتمرن القوى وتتشدد الملكات وتتسع الممكنات . وان كنت مستعبداً كن سعيداً ! لأن العبودية أفضل مدرسة تتعلم فيها دروس الحرية ونقف على ما يصيرنا لها أهلا

« اذا عشت فى وسط يفهمك ويقدرك كن سعيداً ! فهناك اكتسبت كل يوم شباباً جديداً وقوة جديدة ونمت روحك ثم نمت حتى أذهلتك منها الآفاق والبحار . وان عشت فى وسط متقهقر منحط ، أيها التعس ، كن سعيداً ، لأنك فى حل من أن تخلق لك جناحين تطير بهما فوقه ، الى حيث تبدع من أشباح روحك عالماً حوى قوتاً لجوع فكرك وسراباً لظمأ جنانك

« اذا كنت محباً محبوباً كن سعيداً ! فقد دللتك الحياة وضمتك الى أبنائها المختارين ، وأرتك الالوهية عطفها فى تبادل القلوب ، واجتمع النصفان التائهان فى المجاهل المدلهمة فتجلت لهما بدائع الفجر ، وتراءت لعيونهما خمائل السعادة ، وهنأتهما الشموس بما لم تهتد بعد اليه فى دورتها بين الافلاك ، وأفضى اليهما الاثير بمكنون أسراره . لذلك هما يتأملان حيث يتصابى الخالى ، ويصمتان حيث يتكلم ،

ويمزحان حيث يجد ، ويتفرسان فى خطوط البقاء حيث لا يلمح هو خيالا . وان كنت محباً غير محبوب كن سعيدا ، ! لأن النابذ يحب المنبوذ فى أعلى طبقات كيانه - حباً لا يدانيه افتتانه بمن يهوى ، والهجران حالة جمة المعانى والألغاز ترقق ما ضخم من الرغبات وتصفى ما عكر من الانفعالات حتى يغدو الفؤاد شفافاً نورانياً متلألئاً كآنية تتناول فيها الآلهة كوثر الخلود . ولسوف تفوز بمن تريد ان لم يكن فى تلك الصورة الانسية المتباعدة ففى سواها . تهيأ للحب مهما أثقلتك المشاعر لأن للحب هبات وسكنات وأنت لا تعرف ساعة مروره . كن عظيما ليختارك الحب العظيم ، وإلا فنصيبك حب يسف التراب ويتمرغ فى الاوحال ، فتظل على ما أنت أو تهبط به بدلا من أن تسمو الى أبراج لم ترها عين ولم تخطر عجائبها على قلب بشر . لان هياكل مطالبنا انما تقام على خرائط وهمية وضعتها منا الاشواق

« كن سعيدا لان ابواب السعادة شتى ، ومنافذ الحظ لا تحصى ، ومسالك الحياة تتجدد مع الدقائق . كن سعيدا دواماً ، كن سعيدا على كل حال ! »

* * *

انفض القوم فاذا بالجماعات تقف عند بقية جدار خارج الهيكل لتنتحب وتبكى بينما مضى غيرها فى سبيله ضاحكا هازئاً . فنظرت الى شبح انتصب قربى نظرة استفهام فقال : « أنا روح الخطاب جئت أرى تأثيرى فى الناس »

قلت : « إذاً أنت تعلم ما هذا الذى يبكى الناس عنده »

قال : « هذا جدار الدموع »

قلت : « وهل هؤلاء يهود وهل نحن فى أورشليم ؟ »

فقال : « للانسانية (كما لليهود) جدار دموع تبكى عليه وتتحسر »

قلت : « ولماذا يبكى هؤلاء بعد تلك الخطبة المعزية الموحية الرجاء ، خطبة السعادة الجميلة ؟ »

قال : « منهم من يبكى لانه لم يسمعها من قبل . ومنهم لانه سمعها قبل الآن ولم يستفد . وآخر لانه استفاد أياماً ثم تغلب عليه المحيط وجرته الوراثة بأثقالها الباهظة الى هوة القنوط . وغيره يبكى بكاء عصبياً لأن الباكين يحيطون به ، ولو ضحكوا ورقصوا لكان أول المقلدين . وغيره ليظهر انه ذو نفس حساسة تستوعب كل تأثير صالح . ويبكى غيره لأنه يرى فى الجدار المحطم صورة لآماله الذاوية وهو من الذين يندبون حيال متراكم الاخربة ، ومندثر الديار ، ومتعفى الآثار »

قلت : « وأولئك الضاحكون ؟ »

قال : « هم ذوو الاذهان المحددة التى لا تعترف بما لا تفهم وتهزأ بكل ما لا تعرف . انهم أحق بالاشفاق من الباكين »

قلت : « وهناك خيالان لا يبكيان ولا يضحكان ، رجل وامرأة يسيران جنباً الى جنب بخطوات هادئة بطيئة منحنيى الجبهة وفى عيونهما تتالى دوائر الافكار . أتدرى من هما ؟ »

فرنا اليهما الشبح وقال : « هما الارض المخصبة . هما الشعلة المقدسة . هما اللذان فهما واستفادا »

فقلت حزينة : « أسفاً على الخطاب البليغ تسمعه الجماهير الغفيرة فلا يستفيد به سوى اثنين ! »

فتألق وجه الشبح بنور سماوى وقال : « بل ما أنفعه خطاباً ، هو فى هذين الروحين غلة للدهور ، وفى هذين الفكرين مجدد للقديم ، وفى هذه الايدى مشعال يتطاير منه الشرر فتتقد به شموس الافلاك وشموس الاذهان . بورك به خطاباً بورك به ! »

وغادرنى الشبح وسار الى ذينك الخيالين فنشر من كتفيه جناحين خفيفين وحلق فوق رأسيهما يقودهما ويرعاهما

(عن المجلد الثلاثين)

الشعر الذهبى

خطرة حسناء تبشر بانفراج الازمة

حورية لاحت لنــا تنثنى	كالغصن ثناه الصباحين هب
مرت فما فى الحى إلا فتى	فؤاده فى أثرها قد ذهب
ســواد عينها اذا مارنت	يوقع فىالانفس منها الرهب
والوجه كالجنة حسـنا فان	ظننت عدناً قد تراءت فهب
والشعر منضود على رأسها	كالعسجد الحر زها والتهب
أعجب به كنزاً على ذروة	اذا سما الطرف اليه انتهب
يشــبه فوارة نورلهـا	أشــعة مواجة بالصهب
ورب راء راعه فيضــه	فاكبر الواهب فيما وهب
وصاح مذهولاً ألاانظروا	فى هذه الازمة هذا الذهب

(عن المجلد الثاني والثلاثين) خليل مطران

قواعد لتقوية ذاكرتك

لاغنى لك ـ مهما يكن عملك ـ عن تقوية ذاكرتك . فالذاكرة خير حليف للانسان فى حياته ، بل هى رأس مال عظيم يجدر بكل منا تعهده واستغلاله . وقد ذكرنا هنا ثمانى قواعد لتقوية الذاكرة وضعها أحد علماء النفس المشهورين . فاقرأها وتفهمها واستوعبها جيداً واعمل بها يوماً بعد يوم فلا تلبث أن تتوصل الى الغاية المنشودة

١ ـ تمرن على حصر ذهنك وجمع أفكارك

٢ ـ استخدم من حواسك أكبر عدد مستطاع لتثبيت الصورة المطلوبة فى ذهنك ، انظر الشيء وشمه وذقه واسمعه ان استطعت

٣ ـ قو مواهبك التى تبدو لك ضعيفة بالمثابرة على التمرن المتواصل

٤ ـ اجعل التأثير الاول فى ذهنك للشيء المطلوب حفظه شديداً عميقاً

٥ ـ ايقظ صورته المستقرة فى ذهنك ، بين حين وآخر ، أى استعد تلك الصورة واستظهرها

٦ ـ ثق بذاكرتك ولا تكن كثير الاركان الى المذكرات الكتابية أو الى ذاكرة غيرك

٧ ـ اربط صورة الشيء المراد حفظه باعظم قدر ممكن من الصورة الاخرى . فلتذكر أمر ما اقرنه بما اكتنفه من الاحوال والاشخاص وما سبقه منها وما لحقه

٨ ـ اجعل تمرنك فى سبيل تقوية ذاكرتك ذا فائدة عملية . فعامل التليفون مثلا يحدر به التمرن على حفظ الارقام لا حفظ الشعر وهكذا . .

(عن المجلد الثاني والثلاثين)

هل تود أن تعرف رأي الناس فيك ؟

استعمل الطريقة المبينة بعد : فيها ترى نفسك كما يراك غيرك

لله در الشاعر برنز القائل : « . . ما أحوجنا الى النعمة التى تمكننا من أن نرى أنفسنا كما يرانا غيرنا »

على ان احكام الناس على الناس تتباين كثيرا . فكل ينظر من جهة خاصة او بمنظار خاص . ومع ذلك فانك اذا وفقت الى جمع آراء طائفة من اصدقائك ومعارفك فى مواهبك وأخلاقك وسجاياك وتأملت فيها جيداً فلا شك انك تستفيد فوائد جمة وتتفطن لامور شتى لم تلتفت لها من قبل

وفى الصفحة التالية قائمتان تنطبق احداهما على مديرى الاعمال من أى نوع كانوا وتنطبق الثانية على الموظفين والمستخدمين على اختلاف اعمالهم . فاذا كنت من الفريق الاول فاستعمل القائمة الاولى أو كنت من الفريق الآخر فالقائمة الثانية

اصنع عدة صور من القائمة التى تنطبق عليك ـ أربعا أو خمسا أو أكثر ـ وابدأ أولا بقراءتها جيداً وتفهم ما بها من وصف . ثم قبل أن توزع هذه الصور على عشرائك وأصحابك الذين تلتمس رأيهم يحسن بك أن تبدأ بتدوين رأيك أنت فى نفسك حتى تستطيع المقابلة فيما بعد . وطريقة ذلك هى ان تضع علامة على الصفة التى تعتقد انها تنطبق عليك أمام كل بند من البنود . خذ مثلا « المقدرة على كسب الثقة والاحترام بتأثير الشخصية » (اذا كنت من مديرى الاعمال) ثم انظر أى الصفات المذكورة بجانبها أكثر موافقة لك : هل تعتقد انك حسن التأثير ؟ أو ضعيف التأثير ؟ اذن ضع على هذه أو تلك حسب ما ترى علامة × ثم ابدأ بالبند التالى وافعل مثل ذلك وهلم جرا

المقدرة على كسب الثقة والاحترام بتأثير الشخصية	جيد التأثير جداً	حسن التأثير	عادى التأثير	ضعيف التأثير	منفر
المقدرة على ابتكار طرق جديدة وتحسين القديمة والاستعداد لتعلم الطرق الحديثة واستخدامها	شديد الابتكار	صاحب حيلة	ميال الى الترقي	قليل الاستنباط	عادم الاستنباط
الانصاف فى معاملة الغير والمقدرة على كسب معونتهم واخلاصهم	مقتدر جداً		حسن التعامل مع الناس		كثير الاحتكاك وسيء الادارة
المقدرة على ادارة العمل وتنظيمه وتوزيع المسئولية للحصول على افضل النتائج	مقتدر حتى في الازمات		مقتدر في الاحوال العادية	قليل التدبير	سيء التدبير
المقدرة على استفزاز الهمم والحث على التقدم وبث روح النشاط	ينشيء رجالا من الطراز الاول	ينشيء رجالا ذوى كفاءة	يهمل انشاء الرجال		يثبط همم الرجال ويعرقل مساعيهم

صورة امتحان لمديري الاعمال

وبعد ان تفرغ من فحص نفسك على هذه الطريقة وزع الصور التى صنعتها من القائمة على من تود الوقوف على رأيهم فيك ليفعلوا فيما يخصك مثل ما فعلت انت (ويحسن ان يكون بين الفاحصين زوجتك أو شقيقتك فقد يكون لنظر السيدات ميزة على نظر الرجال) ثم استرجع تلك الصور وانظر ما هى الصفات التى تراها فيك أعين الغير وقابلها بعضها ببعض ثم قابلها بالصفات التى نسبتها لنفسك (ويشترط أولا وآخراً أن يكون الاخلاص رائد جميع المشتركين فى هذا الفحص)

لا شك فى انك اذا عملت هذا الفحص تستفيد فوائد عظيمة الشأن وترى أشياء لم تخطر لك قبلا . بل ان فحصا كهذا قد يكون فاتحة عهد جديد فى حياتك . جرب تر

الاقتدار على كسب الثقة والاحترام بتأثير المظهر وأدب السلوك	شديد التأثير	حسن التأثير	عادي التأثير	ضعيف التأثير	منفر
كمية العمل الممكن انتاجها	فائق	حسن		متوسط	قليل
نوع العمل من حيث دقته وجودته	دقيق جدا	يعتمد عليه		مهمل	يفسد العمل
النشاط والاجتهاد في تأدية العمل يوميا	فائق الهمة	مجتهد		عادي	كسول
المقدرة على القيام بالعمل من دون تلقي جزئياته كلها والمقدرة على تحسين الطرق القديمة	شديد الابتكار	صاحب حيلة		قليل الاستنباط	عادم الاستنباط
الاستعداد للتعاون مع الآخرين	يتعاون مع غيره	عادم التعاون		يصعب التعامل معه	يقيم العقبات

صورة امتحان للموظفين والمستخدمين

(عن المجلد الثالث والثلاثين)

بين الشرق والغرب

بقلم الدكتور طه حسين

... كان الساميون فى بابل وأشور وغيرهما قد بسطوا سلطاناً ضخما واسسوا حكومات قوية منظمة وانتهوا الى ألوان من الفن والعلم ما تزال تبهرنا الى الآن . ولست فى حاجة الى أن أحدثك عما كانت مصر قد انتهت اليه من الحضارة . واذن فليس من شك فى ان الاتصال قد وجد واشتد بين هذه الامم الشرقية الراقية والامة اليونانية الساذجة ، وجد هذا الاتصال واشتد وتأثرت الامة اليونانية من غير شك بالحضارات الشرقية المختلفة وأخذت عن الساميين فى آسيا وعن المصريين فى افريقيا اشياء كثيرة مختلفة . ولم تكن الامة اليونانية جاحدة ولا منكرة للجميل وانما كانت شديدة الاعتراف بالجميل وربما بالغت فيه مبالغة شديدة ايضا فنسبت كثيرا من الاشياء الى الشرقيين بل نسبت مدنا مختلفة الى المصريين حيناً والى الفينيقيين حينا آخر . وعدت نفسها دائما تلميذة للامة المصرية وغيرها من الامم الشرقية الاسيوية فى الحضارة وألوان الفن . فالى أى حد كان تأثير هذه الامم الشرقية فى الامة اليونانية ؟ ثم الى أى حد كان تأثير هذه الامم الشرقية فى تكوين الفلسفة اليونانية التى ما تزال تدبر حياة العقل الانسانى الى الآن ؟ هذه هى المسألة التى نريد ان نقول فيها كلمة موجزة ونأسف لان قوما قد لايرضون ولكن الحق أحق أن يتبع

نعتقد ونظن أن غيرنا من مؤرخى الفلسفة المحدثين يعتقد ايضا انه لم يكن للشرق فى تكوين الفلسفة اليونانية والعقل اليونانى والسياسة اليونانية تأثير يذكر . انما كان تأثير الشرق فى اليونان تأثيرا عمليا مادياً ليس غير . فقد أخذ اليونان عن الشرقيين اشياء كثيرة ولكنها عملية مادية كما قلنا ، أخذوا عنهم مثلا نظام النقد وأخذوا عنهم نظام المقاييس وأخذوا عنهم شيئاً من الموسيقى وتعلموا منهم فنونا عملية كالحساب والهندسة ، ولكنهم لم يأخذوا عنهم شيئاً عقليا يذكر . فلئن كان البابليون قد رصدوا النجوم ووصلوا من ذلك الى نتائج قيمة فهم لم يضعوا علم الفلك وانما هذا العلم يونانى لم ينشأ عن النتائج البابلية وانما نشأ عن البحث اليونانى والفلسفة اليونانية . ولئن كان المصريون قد وصلوا الى نتائج قيمة من الهندسة العملية والآلية فليس المصريون هم الذين وضعوا علم الهندسة وانما اليونان هم الذين ابتكروه ابتكارا . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد عند اليونان اشياء لا نجد شيئا يشبهها فى الشرق القديم نجد عندهم هذه المذاهب الفلسفية المختلفة التى حاولت منذ القرن السادس فهم الكون وتفسيره وتعليله . ثم نجد عندهم هذه الفلسفة : فلسفة ما بعد الطبيعة وما نشأ عنها من انواع البحث التى نظمت العقل الانسانى وما تزال تنظمه الى الآن . ثم نجد عندهم هذه الفلسفة الخلقية التى انشأت علم الاخلاق والتى لم يعرفها العالم القديم من قبل . ونحب ان نلاحظ ان العقل الانسانى ظهر فى العصر القديم مظهرين مختلفين ، احدهما يونانى خالص هو الذى انتصر وهو الذى يسيطر على الحياة الانسانية الى اليوم والى آخر الدهر ، والآخر شرقى انهزم مرات امام المظهر اليونانى وهو الآن يلقى السلاح ويسلم للمظهر اليونانى تسليما تاما

بينما نجد العقل اليونانى يسلك فى فهم الطبيعة وتفسيرها هذا المسلك الفلسفى الخصب الذى نشأت عنه فلسفة سقراط وافلاطون وارسطاطاليس ثم فلسفة « ديكارت» و « كانت» و « كونت » و «هيجل» و « سبنسر » نجد العقل الشرقى يذهب مذهبا دينياً خالصا فى فهم الطبيعة وتفسيرها . فلم يستطع العقل الشرقى ان يظهر شخصية فلسفية قوية فى فهم العالم وتفسيره وانما خضع للكهان فى عصوره الاولى وللديانات السماوية فى عصوره الراقية وامتاز بانبياء كما امتاز العالم اليونانى الغربى بالفلاسفة . هناك شيء آخر نجده عند اليونان ولا نجده فى الشرق وهو هذا التطور السياسى الخصب الذى احدث النظم السياسية المختلفة فى المدن اليونانية من ملكية وجمهورية وارستقراطية وديمقراطية معتدلة أو متطرفة ، والذى مايزال اثره قوياً فى أوربا الى اليوم والى آخر الدهر، والذى أخذ الشرق يتأثر به فى نظمه السياسية ايضا . بينما كانت المدن اليونانية تخضع لهذا التطور الغريب الذى حقق حرية الافراد والجماعات والذى انتصر حتى اصبح المثل الاعلى للحياة الحديثة فى الشرق والغرب ، كان الشرق خاضعاً لنظام سياسى واحد لم يتغير ولم يتبدل وهو نظام الملكية المطلقة المستبدة الذى تفقد فيه الجماعات والافراد كل حظ من الحرية . فكيف نستطيع ان نفسر هذا الاختلاف بين الشرق والغرب ؟ ولم نفسره ؟ وما حاجتنا الى هذا التفسير ؟ يكفى ان نسجل الحقيقة الواقعة وهى ان الحياة اليونانية التى خضعت للشعر فى أول أمرها ثم خضعت بعد ذلك للعقل كانت اخصب حياة عرفها الانسان فى العالم القديم

(عن المجلد الثالث والثلاثين)

الصحافة والادب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الصحافة على اختلاف مواعيدها وموضوعاتها قريبة اللحمة بالادب من حيث هو لغة وتعبير عن شعور فما من صحيفة مهذبة ـ أيا كان موعدها ومطلبها ـ الا وهى تزيد ذخيرة اللغة المكتوبة وتضيف الى محصول النفس من المعانى والخواطر ، وهى بهذه المثابة تخدم الادب وتوسع نطاقه بين طبقات القراء . ومتى كان هذا شأن الصحف عامة فأحر بالصحف المقصورة على الادب أو التى تفرد له باباً خاصاً بين أبوابها ان تعد فى مقدمة الوسائل الادبية وفى طليعة الفتوح التى تفسح حدود دولته وتضاعف عدد المعنيين به ، وكثير بين صحف العصر الحاضر تصنع هذا الصنيع وتفرغ بعض أبوابها لآثار الشعراء والكتاب والنقاد واصحاب القصص والطرف وسائر ما يسمى ادباً فى عرف القراء ، وهى تفعل ذلك لان الادب موضوع مشترك يقرأه الاديب وغير الاديب ويسهل على من شاء أن يأخذ بنصيب منه على قدر استعداده ورغبته . فهو مطلب لا غنى عنه لصحيفة تريد أن تستجمع أسباب الاقبال وتبز غيرها فى التنويع والتشويق ، ويرجع الى هذا اعتناء صحف السياسة اليومية فى أقطار العالم بباب الادب وما يتصل به ويجرى مجراه . فقد اصبح لبعضها كتاب اخصاء يمدونها بالنتف اليومية

أو الفصول الاسبوعية أو بالقصص القصيرة والطويلة المتتابعة . فاستفادت هي وافادت القراء والكتاب فائدة قل ان تتاح بغير هذه الوسيلة

فمن تحصيل الحاصل أن يقال إن الصحافة اداة كبيرة النفع للآداب والأدباء . خدمتها وخدمتهم باذاعة أشعارهم وآثارهم وتبليغ رسالتهم إلى طبقات وطوائف ما كانت لتسمع بها لولا الصحف والمجلات. ولا محل للاسهاب فى بيان فوائد الصحافة الادبية للادب لان الاسهاب فى بيان ذلك كالاسهاب فى القول بأن رواج الآداب وتكثير عدد قرائها مفيد للآداب . ومثل هذا القول فى غنى عن التبسيط والتدليل

الا أن سؤالا طبيعياً لابد أن يرد على الخاطر فى هذا المقام وهو : هل أفادت الصحافة الادب من جانب النوع والدرجة كما أفادته من جانب الكم والكثرة ؟ وبعبارة أوضح هل رفعت الصحافة مستوى الادب كما زادت عدد قرائه وضاعفت مادة مسطوراته ؟ والجواب فى رأيي الى النفى أقرب منه الى الايجاب

ذلك أن انتشار الكتابة بين جميع الطبقات يوكلها بالاعم الاشيع من الاذواق والاهواء ويجعل الحكم الغالب عليها لجمهور القراء ومن يطلبون من كل قراءة ملهاة تشبه ملاهيهم المسفة وتعجب أفكارهم الساذجة ، فلا يسع الصحيفة أن تقصر كتابتها على افانين القول التى تحتاج فى فهمها وتذوقها الى ملكة نادرة وذهن واسع وطبع مثقف ، ولا حيلة لها الا ان تلقى بالها الى الفئة الكبرى بين سواد قرائها مذ كان بقاؤها وذيوعها رهنا برضاهم عنها قبل رضى الهيئة الناخبة المختارة . وتلك آفة للديمقراطية الحديثة لاندرى كيف يطاق الصبر عليها ولا كيف يعالجها الزمان فيما يعالج من الغير والاطوار

يستبشر قوم برواج الآداب المسرحية ولا أرى فى رواجها الا علامة من علامات الكسل عن القراءة وانعام النظر ، ويستبشر آخرون بكثرة الموجزات التى تلخص بدائع القرائح ولا أرى فى كثرتها الا علامة أخرى على ذلك الكسل الوخيم ، فكأن هبوط درجة الآداب تبع لازدياد قرائها حين يكون أولئك القراء من أشباه الاميين أو من طلاب اللغو وتزجية الفراغ ، وكأن فكرة المساواة قد هبطت بالأعلى الى مقام الأدنى ولم ترتفع بهذا الى مقام ذاك ! فاصبح الاغمار قانعين باقدارهم زاهدين فى طلب المزايا الفكرية والفضائل النفسية ، ووقر فى أوهامهم انهم انداد اكبر كبير فى الذكاء والعلم فلا بغية لهم عنده الا أن يسليهم وينقدوه ولا حق له فى أن يقف منهم موقف الاستاذ من المتعلم والمرشد من المسترشد . . . ولا شك فى أن سلطان الشعب هو خير نظام عرفه الناس بعد من أنظمة الحكم واساليب سياسة الاقوام ، ولكن هذا الاثر الذى جناه على الآداب والفنون حق أيضاً لا شك فيه

وفى أوربا اليوم أدباء مشهورون يقرءون فى أنحاء العالم بأسره ، ولكن ليس بين هؤلاء المعاصرين الذين قرأت لهم من هو أجدر بالاحترام من ابانز الكاتب الاسبانى ومرجكفسكى الكاتب الروسى وبراندللو الكاتب الايطالى . لانهم أكرم أقداراً على انفسهم وانزه أقلاماً عن محاباة الشهوات وتمليق الجهالات من عامة الكتاب الغربيين ، ولست أعرف سبباً خاصاً لذلك الا انهم نشأوا فى أمم مختلفة بين امم أوربا لم يسيطر فيها سلطان الشعب على الآداب والاقدار ولم يسحب على الاقلام سنة المساواة والابتذال كما سحبها على الامم السابقة فى الحكومة الشعبية والتعليم

وبعد فهل الصحافة هى التى أوجدت هذه الحالة أو هى المسئول الاكبر عنها ؟ لا أظن . فانها حالة عمت الكتب والصحف وشاعت بين المصنفات ما كان له موعد مرسوم وما لم يكن له موعد للصدور.

ويجب أن نذكر هنا ان الصحافة هي اقدر من غيرها على علاج هذه الحالة لانها تستطيع ان تحمل الجيد على الردىء فيحمله معه ويستميل اليه جمهور القراء شيئا فشيئاً ، ولو على سبيل التجربة وحب الاستطلاع

(عن المجلد الخامس والثلاثين)

هل تدوم نهضة الاتراك ؟

بقلم فيلسوف العراق السيد جميل صدقي الزهاوي

خاض الاتراك معمعان الحرب العالمية مؤملين لانفسهم النصر المبين في جنب المانيا لشدة ثقتهم بمقدرتها واجهزتها وعددها وضخامة جيشها ونظامه الاجد فاصابهم ما اصابهم من الفشل والاندحار وضياع الشرق العربي برمته . واحتلت عاصمتهم جنود الحلفاء وطمعت فيهم اليونان وزحفت تكتسح بلادهم الداخلية حتى غلب الظن يومئذ ان لاقيام لهذا الجسد المشلول مما حاق باعصابه من الوهن وانه يضمحل كما تضمحل النجوم التي تصادمها نجوم اكبر منها في السماء وهي (النجوم الوقتية)

النواميس قضت ان لا يعيش الضعفاء
ان من كان ضعيفاً أكلته الاقوياء

ولكن الرماد الذي تراكم في مكان الحريق الهائل لم يخل من جمرة إذا نفخ فيها النافخ تأججت من جديد فكانت قوة كبيرة تستطيع عمل شيء جلل . وهكذا كان الامر فان الغازي مصطفى كمال نفخ في روع الأمة التركية من روحه تلك الروح الكبيرة وهو بمعزل عما كانت تكيده له الخلافة في دارها حتى أحياها ورأب صدعها واسترد بما جنده من فلول الجيش المدحور ـ وهو لا يملك إلا عزمه ـ ما احتلته اليونان من بلادها وكان الفوز باهراً وباهراً جداً اكبرته الامم جمعاء

لا يحسب الزحف غياً جند له عظموت
الجند للموت يحيا وللحياة يموت

ورأى الغازي ومن التف حوله من اولى الارواح الكبيرة والآراء الحرة الجديدة والنظر البعيد الوقاد ان الامم المجاورة لأمتهم قد تنتهز الفرصة فتمزق احشاءها قبل ان تشتد اعضادهم للذود عنها ويجمعوا امرهم للدفاع ، وان الداء العياء في الشعب هو الجهل والتمسك بالعادات الضارة والتقاليد المثبطة للعزائم وان الخروج بالتدريج من الحمأة التي ساخت ارجلهم فيها منذ العصور العديدة لا يجديهم في مثل موقفهم فهبوا هبة واحدة واوسعوا الخطى وركضوا الى الامام متواثبين واخذوا بايديهم المعاول يهدمون بها كل سد يقف دون تقدمهم وينسفون كل قديم رث علمتهم السنون ان لا خير لمجتمعهم منه ، مبدلين إياه بكل جديد اختاره الغربيون لأنفسهم بعد اختباراتهم الطويلة في معترك الحياة

وأول ما أجهزوا عليه هو الخلافة ميراث الماضي والعقبة الكأداء دون رقيهم الذي اعتقدوا جيداً أن لاحياة لهم في المستقبل إلا به فابطلوها وجعلوا حكومتهم جمهورية واختاروا لرياستها بطل النهضة

مصطفى كمال ثم أبدلوا المجلة (قانونهم المدنى) بقانون سويسرا مع تعديلات توافق نفسية الشعب التركى وعدلوا نظام الزواج والطلاق والارث وصدعوا بسفور النساء وأبطلوا الحجاب الذى كان سداً بين اختيار الشاب ومن تلائمه من الزوجات وسبباً لشلل نصف الشعب ووصمة فى صحيفة الانسانية ، ثم حظروا لبس الطرابيش والعمائم مبدلين اياهما بالقبعات فأتموا شبههم بالامم الراقية من كل وجه وقمعوا كل فتنة قامت فى وجه نهضتهم ، وعقدوا فى الأخير اتفاقية مع الحكومة العراقية والانكليزية ، وهذا خير ما عملوه لأنفسهم

أما دوام هذه النهضة فليس للانسان ان يتنبأ بما سوف تلده الأيام والليالى فيقول سيكون كذا وكذا . غير انى أظن - ولا يغنى الظن عن العلم - أنها ستدوم لان القائمين بامرها يمهدون لدوامها السبيل . نعم إن كل نهضة سريعة طائشة يعقبها شىء من رد الفعل ، وقد حدث هذا الرد فى صورة الثورة الكردية وحدثت كذلك مؤامرة لاغتيال الغازى ، ولكن الجمهورية كانت متيقظة فقد قمعت الثورة واطفأت جذوتها وكشفت الستار عن المؤامرة قبل أن ينفذ سهمها وجازت العاملين فيها وأخذت لنفسها الحيطة الكافية لما عسى أن يحدث من هذا القبيل فى مستقبل الأيام

وربما حدثت فى الآتى أحداث شبيهة بهاتين ولكنها تبقى عاجزة عن تغيير شكل الحكومة وارجاعها الى ما كانت عليه من الملكية ووقف النهضة او قلبها إلى الرجعة ، حتى ولو اغتيل الغازى - لا سمح الله - فان فكرة الجمهورية قد تأصلت فى أدمغة شباب القوم وجرت كالتيار الكهربائى فى أعصابهم

والخطر كل الخطر أن يثور الجيش على النظام الجمهورى ويقلبه ظهراً لبطن وهذا مستبعد لأن جميع ضباطه من الذين أخلصوا له يفدونه بأرواحهم اذا رأوا ما يمس كرامته ، وكلما مضت السنون ترصنت الجمهورية اكثر من ذى قبل وقل الخطر

كل اولئك يجعلنى اظن ان نهضة الاتراك ستدوم وتكبر وان الحرب المشبوبة بينهم على النظم الرثة القديمة والعادات الموروثة البالية والتقاليد الضارة ستكون اشد مما هى الآن ، وان الجيل الآتى سيكون اكثر تمسكا بالجمهورية فانه يكون قد نشأ عليها وابعد عن العادات المنافية لها تلك القيود المثقلة كاهل المجتمع متجهزاً بسلاح العلم الحديث على اختلاف صنوفه متأهباً لدرء الطوارىء وتخفيف شدتها

وليس هناك ما يهدد النهضة إلا حرب عالمية اخرى أو حرب خاصة جديدة ففى هاتين الحالتين قد ينتهز الساخطون - وهم غير قليل - الفرصة ويعملون للايقاع بها فى داخليتها واشغال الحكومة باطفاء نار الفتنة - التى تكون قد اندلعت السنتها فى داخل البلاد - عن إدارة الحرب فى الخارج كما ينبغى ودرء غوائلها فلا تستطيع ان تصرف جميع مالها من القوة فى مقاومة قوى الأعداء المناوئين لها بمدافعهم ورشاشاتهم وطياراتهم ودباباتهم واسطولهم . وهذا الخطر - وان كان كبيراً - لا ينتظر وقوعه لأن الحكومات المتيقظة تحسب لكل حالة حسابها ولا تغفل بما من شأنه ان يفكك اوصالها ويجلب عليها الويلات فوق الويلات ، والتاريخ - وهو يكرر نفسه - شاهد على ان الأمم الصادقة فى نهضتها لا تموت نهضتها بالحروب سواء أكانت داخلية ام خارجية ، مثال ذلك الأمة الفرنسية والامريكية فى حروبهما بعد نهضتهما

(عن المجلد الخامس والثلاثين)

السعادة وأركانها الاربعة

بقلم أمين الريحاني

قلما تجد فى حياة المرء نعيما لا يحول، أو بؤساً لا يزول. فقد تجيء قسمة بعض الناس مناصفة من الاثنين، وهم مع ذلك يتذمرون. وقد يجيء النعيم راجحاً فى كفة آخرين، وهم مع ذلك غير راضين. أما القسم الاكبر من اخواننا فى الانسانية فهم الذين يحق لهم التذمر، لو كان التذمر يفيد، لأن نصيبهم من البؤس اكبر

كيف التوصل إذاً إلى عكس هذه الحال؟ كيف السبيل إلى ترجيح النعيم فى قسمة الناس أجمعين؟ ان الحالين، ولا ريب، يتعاقبان فى حياة كل إنسان

وليس النسيان طوع الارادة. فالمرء ينسى أيام بؤسه ما لقى من نعمة وهناء (حتى أيوب الصديق نسى ذلك) وقلما ينسى الانسان حين سعادته انه كان من المظلومين البائسين. أى انه ينكر فضل الزمان عندما يقلب الزمان له ظهر المجن. قد ملأ أيوب الارض صراخاً وتذمراً لأنه، بعد نعمة سابقة، ابتلى فى ماله وفى جسده. ولو ذكر الاولى لهانت عليه الثانية

ولكن الحكيم والجاهل فى هذا سواء. لذلك نطلب للاثنين حماية العلم والشرائع والدين. لان بها يعم النعيم، ويخف البؤس، بقدر الامكان، فى حياة الانسان

أجل ان الواجب الاول على الدين والعلم والشرائع هو أن تساعد فى تحقيق أمل المصلحين الأعلى، وهو أن يكون الخير الاكبر نصيب العدد الاكبر من الناس. ولا ريب اننا سائرون فى هذا السبيل. لا ريب عندى ان عدد الذين يتقاسمون اليوم النعيم والبؤس هم اكثر جداً من عدد أمثالهم فى أيام توت عنخ آمون. وسيزداد هذا العدد، وسيرجح فى القسمة الهناء كلما تقدمنا فى العلم وفى الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية

أما أسباب هذا التقدم فمن أهمها إصلاح الانسان نفسه. وأهم ما فى هذا الاصلاح هو أن يعلم الحقيقة ويعمل بها. وهذه الحقيقة هى ان هناء العيش لايقوم بغير أركان أربعة هى: صحة الجسد، وصحة العقل، وصحة الروح، ثم اليسر أو الاستغناء. قد تتعدد الطرق الى ذلك، وقد يختلف فى بعضها الحكماء ولكنى أقدم للقارىء ما هو عندى فى أعلى منزلة من اليقين، وجله ثمرة الخبر والامتحان

﴿ كيف تحفظ، أو كيف تستعيد، الصحة والعافية ﴾

١ ـ لا تعود نفسك الأدوية والمقويات

٢ ـ لا تلجأ فى تخفيف ألم، أو فى إزالة هم الى المنبهات والمخدرات

٣ ـ لا تتعود الهوادة فيما تعتقده لازماً لصحتك

٤ ـ لا تسترسل فى الملذات، ولا تطلق العنان للشهوات

٥ ـ نم مبكراً وقم مبكراً

٦ ـ عود نفسك التنفس تنفساً علمياً بضع دقائق كل يوم . قف أمام النافذة أو فى الهواء الطلق واملأ رئتيك من منخريك وافرغهما من فمك

٧ ـ كل ما تشتهى نفسك ، ولا تأكل لتشبع . لتكن القاعدة انك عندما تنهض من المائدة لا تشعر بأن لك معدة . واذا انحرف مزاجك اذكر كلمة النبي محمد (ص) واعمل بها : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء »

٨ ـ صم أسبوعاً أو أسبوعين فى أول الربيع

٩ ـ عود نفسك الرياضة فى العراء كأن تتعلم السباحة مثلا ، أو الصيد ، أو ركوب الخيل ، أو « التانيس » . واذا كان عملك أو حالك لا يسمح بذلك فمارس قبل النوم وعندما تنهض فى الصباح بعض الحركات ترويضاً للجسد

١٠ ـ اغتسل بالماء البارد صباح كل يوم ، واذكر وأنت تتنشف ان جسدك هيكل مقدس فاحفظه سليما طاهراً نقياً

١١ ـ امش الى عملك ، أو امش نصف ساعة فى الاقل كل يوم ، تستنشق هواء الصباح فترقص الحياة فى دمك ، وينور الورد فى خديك . امش وأنت مدرك انك جزء صحيح سليم من الكون . امش وفى خطواتك ، وفى قلبك ، خفة الطيور ، وطرب الطيور . ولا بأس أن تصفر ولو خفضاً لنفسك فتقلدها فى تغريدها للفجر وللشمس

رأيت ذات يوم شابين يتصارعان ، فقال المشاهدون للمغلوب : لا يمكنك أن تغلبه وهو يتمرن ويمشى ، ويغطس فى الماء البارد كل يوم

وهناك فى حفظ الصحة وصية أخرى ، وهى الوصية الاخيرة . قد أشرت فيما تقدم الى التذمر ولم أذكر الحسد شقيقه الاول . فالتذمر اذا كنت مريضاً يزيد فى مرضك ، واذا كنت فقيراً لا يغنيك وقد يزيد فقرك لأنه يبعد عنك الاصحاب ، وفيهم من يستطيع مساعدتك . واذا كنت فى محنة فالتذمر لا يزيلها ولا يخففها

أما الحسد فقد يذهب بكل جمال بشرى ـ بجمال الروح ، وجمال العقل ، وجمال الوجه أيضاً ، إياك إذاً والتذمر وإياك والحسد

هذه الوصايا الصحية تغنيك اذا واظبت عليها عن الطبيب ، وهى الركن الاول للسعادة

* * *

أما صحة العقل وما يجيء معها من القوة وأصالة الرأى والحكمة فقوامها المطالعة والتفكير

١ ـ طالع ولو ساعة كل يوم ما يلذ ويفيد من الكتب والمجلات . قلت : ما يلذ ويفيد ، فلا تضجر إذ ذاك ، ولا يذهب وقتك سدى

٢ ـ تجنب الروايات المهيجة للاعصاب والمثيرة للشهوات

٣ ـ لا تنظر إلى الحياة ومشاكلها من وجهتك الخاصة فقط ، بل انظر اليها من وجهة جارك ووجهة خصمك أيضاً . واذكر ان لكل مسألة وجهين على الأقل

٤ ـ كن منصفاً فى أحكامك ، مخلصاً فى آرائك ، صادقاً فى أقوالك ، عادلا حتى فى نفسك

٥ ـ لا تدع الصغائر تزعجك، فتضعف بتكرارها المناعة النفسية فيك، فلا تقوى إذ ذاك على مقاومة الكبائر المفجعة

٦ ـ ادخر من قواك العقلية والروحية لأيام المحن والكروب

٧ ـ اخل بنفسك ساعة أو نصف ساعة كل يوم فتسترح عقلياً وجسدياً . واذا كنت مضطرب البال ، أو مكتئباً ، أو غاضباً ، فهذه الساعة تعيد اليك السكينة والرضى

واذكر ان فى مضمار الحياة تتبارى العقول على الدوام ، وان الفوز للعقل القوى المرن المجرب ، السريع فى التفكير ، الدقيق فى التحليل ، فيحيط علماً بالامور ، وينظر دائماً إلى ما وراء الظاهر منها . ان لمثل هذا العقل الغلبة فى صراع العقول

* * *

أما الصحة الروحية فركنها الاول الايمان بالله . ولكن هذا الايمان لا ينفع إلا اذا تمثل فى حالك ، وفيما يربطك بالحياة وبالكون ، أى فى الشوق الذى يتمثل فى الحب ، وفى الحب الذى يربطك بالحياة ، وبالامل الذى يربطك بالكون

عندما تخلو بنفسك إذاً ، اجلس مستسلماً مسترخياً عقلا وجسداً . ثم اغمض عينيك ولا تفكر فى شىء . وبعد الاستراحة ، وأنت فى فيض من الاثير الطيب ، ابتدىء بتأملاتك الروحية

تأمل نفسك جزءاً من الكون الذى كله نور وصحة وقوة ، وقل : اللهم زدنى قوة وصحة ونوراً ، ثم تأمل نفسك جزءاً من المجتمع الانسانى الذى ينبغى أن يكون كالجزء الاول صحيحاً سليما وقل : سأبدأ اللهم بنفسى فتصلح نفس جارى . ثم تأمل نفسك جزءاً من أسرة تقاسمها تبعة الحياة ، أو تدير شؤونها ، وقل : عونك اللهم فى كل ما فيه حب ، وتساهل ، وحكمة ، واعتدال

* * *

بقى الفقر ، أو الاتكال المادى ، فهو وان سلم الجسم والعقل والروح ، سم السعادة . وما الترياق لهذا السم غير العمل الذى ينبغى أن يكون مقروناً دائماً بثلاثة هى : كرامة النفس ، والثقة بالنفس ، والاتكال على النفس . واذا فشلت فى مساعيك أولا وثانياً وثالثاً ، فاذكر أن لا شىء يدوم غير دولاب الحظ الذى يدور على الدوام ، على انى لا أنصحك أن تتكل عليه فى غير أمل مقرون بعمل

واذا أفلح سعيك فلا أوصيك بالقناعة لانى أعلم ان القناعة سجن الآمال ، ومربط الخمول . أجل ، ان المرء ليجد قسما من سعادته فى العمل الدائم ، كما انه يجد السعادة الكبرى فى النجاح المستمر

ولكنى أقول لك : اقنع بما تحرزه كل يوم ، بل بجهدك كل يوم وان لم يثمر ، ونم راضياً مطمئناً ، واثقاً بالله وبنفسك ، فتنهض وقد تجدد فيك العزم والنشاط لاستئناف العمل

انى فوق ذلك أذكرك بهذه الكلمة البليغة الجميلة : « ان الغناء لفى الاستغناء » . أما اذا أثريت فلا يفوتنك ان الثراء مثل الفقر يذل صاحبه اذا كان لا يبذل منه فى سبيل الخير العام ، وفى سبيل البؤساء والمحاويج ، من زكى ماله حسنت حاله . واذكر ـ قبل الوداع ـ ان المباراة فى مضمار الحياة تشمل الارواح ، وان خيرها المباراة فى المبرات . جعلك الله من أربابها ، وأنت من المغبوطين السعداء

(عن المجلد السادس والثلاثين)

كيف يفكر الاديب

المنفلوطي . شوقي . حافظ . مطران

كيف يفكر الاديب وكيف يكتب وكيف تؤاتيه المعانى والألفاظ ويعينه الخيال على بلوغ الغرض؟

نظن ان كل ناشيء يود لو يدخل إلى سريرة الشاعر أو الكاتب لكى يقف منها على تلك الطريقة أو ذلك الأسلوب الذى يتخذه الاديب فى إتمام عمله . بل نظن أيضاً ان جميع القراء يلذ لهم ان يعرفوا « أساوب العمل » فى هذه المصانع الذهنية التى تمدهم من آن لآخر بالقصائد والتحف الادبية الاخرى

لذلك رأينا أن نقتبس من أحاديث الهلال مع كبار شعرائنا ومن مقدمة « النظرات » للمرحوم المنفلوطى ما يكشف للقارىء عن طريقة التأليف عند كل منهم ثم نعلق على هذه الاقتباسات بما يعن لنا من النظر فى نفسية الاديب

مصطفى لطفى المنفلوطى

قال فى مقدمة « النظرات » :

« يسألنى كثير من الناس كما يسألون غيرى من الكتاب كيف اكتب رسائلى كأنما يريدون أن يعرفوا الطريق التى أسلكها فيسلكوها معى ، وخير لهم ألا يفعلوا . فانى لا أحب لهم ولا لأحد من الشادين فى الادب أن يكونوا مقيدين فى الكتابة بطريقتى أو بطريقة أحد من الكتاب غيرى . وليعلموا ان كانوا يعتقدون لى شيئاً من الفضل فى هذا الامر انى ما استطعت أن اكتب لهم تلك الرسائل بهذا الاسلوب الذى يزعمون انهم يعرفون لى الفضل فيه إلا لانى استطعت أن أتفلت من قيود التمثل والاحتذاء . وما نفعنى فى ذلك شيء ما نفعنى ضعف ذاكرتى والتواؤها على وعجزها عن أن تمسك الا من المفردات التى كانت تمر بى . فلقد كنت أقرأ من منثور القول ومنظومه ما شاء الله أن أقرأ ثم لا ألبث ان أنساه فلا يبقى فى ذاكرتى إلا جمال آثاره وروعة حسنه ورنة الطرب به »

ثم يقول فى وصف طريقة الكتابة : « انى ما كنت أحمل نفسى على الكتابة حملا ، ولا أجلس الى منضدتى مطرقاً مفكراً : ماذا اكتب اليوم وأى الموضوعات أعجب وأغرب وألذ وأشوق وأيها أعلق بالنفوس وألصق بالقلوب ؟ بل كنت أرى فأفكر فأكتب فأنشر ما اكتب فأرضى الناس مرة وأسخطهم أخرى من حيث لا أتعمد سخطهم ولا أتطلب رضاهم »

احمد شوقى بك

سأله محرر الهلال : « هل يمكنك أن تصف لقرائنا كيف تشرع فى نظم القصيدة وكيف تحس بالوحى؟»

فقال : « أول ما يخطر لى حينما أفكر فى قرض الشعر ان اجمع النقط الهامة التى أرمى اليها من القصيدة فاذا انتظم لى هيكلها من هذه الناحية اخترت لكل قصيدة رويها وبحرها اللذين توحى إلى أذني ونفسى انهما ينهضان بالموضوع . وأعظم ما اكون ارتياحاً الى قول الشعر بعد منتصف الليل إذ

يجد الخيال مسرحاً متسعاً فى هدوء الليل وسكونه . لكن ذلك لا يمنعنى ان أقول الشعر اذا جاش به صدرى فى كل وقت وفى كل مكان لا يشغلنى عنه شاغل حتى فى المجالس والمحافل »

حافظ بك ابرهيم

قال محرر الهلال لحافظ بك : « أود لو تشرح لى كيف تنظم ؟ هل تفعل ذلك عن تدبر وروية وتمهل أو تنظم الشعر على البديهة طوع الطلب ؟ أو تنظم بقاهر من نفسك يقسرك على النظم ؟ أو تنظم وكأنك تحلم كالخواطر تجىء وتروح ؟ »

فقال بعد أن أخرج ورقة من جيبه بها نحو خمسة أبيات أو ستة : « نظمت هذه الابيات أمس ثم وقفت قريحتى ولا أدرى متى أتم القصيدة ولكنى أؤكد لك وأنا اكلمك الآن ان عقلى يشتغل وحده باتمام القصيدة ولا بد انى بعد ساعة أو يوم أو يومين سنهجم على المعانى فأتمها . وهناك عوامل تجعلنى أجيد . منها أن اكون فى حالة من الشجن تجاوز الحزن او اكون مضطراً متعجلا او اكون فى أرق . أما الصفاء والانس والفرح والسير فى الرياض وعند الماء والشجر فتحدث فى نفسى حالات لا تؤاتينى على النظم . فأنا لا أجيد القصائد فى التهانى نفسها إلا وأنا حزين . وأنا أومن بأن لكل شاعر شيطاناً لانى اكاد اسمعه يهمس فى أذنى المعنى وأحياناً يضرب فيغلق على . وأنا أقيد همساته ببيت اكتبه فى القهوة وآخر اكتبه وأنا بالقطار وآخر وأنا أحادث الاصحاب ... ومن عوامل الاحسان والاجادة عندى أن تكون هناك مجاراة كأن ينشد معى شاعر آخر »

خليل بك مطران

قال محرر الهلال : « كيف تنظم الشعر : عفواً وبداهة ؟ او باستعداد وتحضير؟ وفى أى وقت ومكان وفى أية حالة نفسية ؟ »

فأجاب مطران : « عندى نوعان من الشعر الاول شعر الطلب فى المدح والرثاء ونحوهما وهذا لا يكلفنى مجهوداً لأنى لا أتعنى فى اتقانه فأكتبه كما يتفق

« أما النوع الثانى فهو الشعر الفنى وهو يحدث لى وكأنى حسب الظاهر أختاره وانما هو فى الواقع بايحاء قاهر من حادثة أو قصة أو غاية اجتماعية أو سياسية يخطر لى تأييدها والدعوة اليها . وعندئذ تجتمع فى ذهنى على جملة أيام فكرة القصيدة بمجموعها ، وأحياناً أدون ما يخطر ببالى من الافكار بشأنها فى قالب النثر ثم أعود فأنظمها وأحياناً لا أدون هذه الافكار . ولكن المهم ان خاتمة القصيدة أو الغاية المنشودة تكون حاضرة فى ذهنى قبل الشروع فى النظم . ومعظم نظمى فى الصباح . وأحياناً أنشد الخلوة الذهنية فى قهوة ولا يعوقنى عن النظم عندئذ كلام الاشخاص أو لعبهم النرد او الموسيقى . وأنا أعيد النظر كثيراً فيما انظم ولا أتعجل . ولكن هناك ظروفاً كانت تجعلنى أحسن النظم فأوفيه حقه ولو كنت مع ذلك مستعجلا . فلما مات صديقى شبلى شميل مثلا حزنت عليه جداً ونظمت رثائى فيه فى يوم واحد ولكن هذا اليوم كان يعدل لدى ثلاثين يوماً فقد خرجت منه مجهوداً مقتولا . وكذلك حدث لى فى وفاة كل من صديقى ابرهيم اليازجى ونجيب الحداد »

نقد وتعليق

اتفق هؤلاء الاربعة فى شيء واحد وهو انهم لا يتعمدون الكتابة . ولكنهم مع ذلك لا يكتبون عفو الساعة . فشوقى ، وحافظ ، ومطران يضع كل منهم ترسيم القصيدة كما يضع المهندس ترسيم البناء قبل الشروع فيه . ولكنهم لا يشرعون عن عمد بل يتركون المعانى تطرأ وتخطر فيقيدونها

ولننظر اليهم بترتيبهم . فقد ذكر المنفلوطى انه قرأ كثيرا ولكنه نسى ما قرأه وعلل ذلك بأن ذاكرته ضعيفة . ولكن الواقع اننا لا ننسى شيئاً نقرؤه وانما هو يندس فى العقل الباطن ويبقى فيه مدخرا نستطيع أن نستنبطه منه عند الحاجة . وقال ايضاً انه لا يكتب عن عمد . ومعنى هذا انه يترك الفكرة تختمر فى عقله الباطن حتى اذا أتمت حضانتها وجمعت اليها قرائنها طمت به واحتاجت الى المنفذ وعندئذ يرى نفسه مضطرا الى الكتابة للتفريج عن هذه القوة المحتبسة

أما شوقى فقد اختصر الوصف ولكنه باح بأن المعانى تجيش بذهنه فى منتصف الليل أو بعده أى عند الارق . فهو فى هذا مثل حافظ . ونحن جميعاً نعرف من اختبارنا للأرق اننا نأرق لان الخواطر تتوارد بقوة واطراد لا نستطيع ضبطهما . واذا كانت هذه الخواطر ضعيفة فالاغلب انها تساعدنا على النوم لانها تنساق انسياق الحلم ولكنها اذا قويت منعت عنا النوم . بل الحلم نفسه اذا قويت خواطره أيقظنا ونبهنا . وقد باح ايضا بأن الشعر يجيش بصدره والجيشان يدل على قوة محتبسة هى قوة العقل الباطن

أما حافظ فقد أجاد كل الاجادة فى وصف نفسه وقت التفكير . فهو يترك الخواطر تنساب كما تشاء فاذا التمع له خاطر دونه . ثم صرح ايضاً بأن الشجن والارق يساعدانه على اقتناص المعانى . وهذا معقول لان الحزن يدل على قوة محتبسة نعبر عنها أحياناً بالبكاء أو النهوض والمشى ولكن الشاعر يمكنه ان يعبر عنها بالشعر لان هذا هو أسلوبه ، أما الارق فيورد الخواطر الكثيرة

وأجاد حافظ ايضاً فى قوله بأن وقت الانشراح لا يساعده على قرض الشعر . وهذا معقول ايضاً لانه ما دامت الخواطر تحتاج الى قوة محتبسة وهذه القوة لا تحتبس اذا كنا منشرحين نجد مشتهياتنا فى الملاذ التى نباشرها من طعام وأنسة اخوان وخضرة ونحو ذلك . اما الحزن أو الغضب أو المجاراة أو العجلة فانها تحدث لنا رغبات مقهورة نكبتها فى أنفسنا فتستحيل قوة أى عاطفة تحتاج الى التفريج ورجل الفن ينفس عن هذه القوة بتأدية فنه

وكذلك مطران أوضح بأنه يقرض الشعر بايحاء قاهر ليس له سلطان عليه وان الحزن الشديد يوم وفاة صديقه الدكتور شميل قد جعله يجيد لانه بدلا من ان يستسلم للدموع ويبكى أفرج عن ضيق نفسه وعاطفة الحزن التى عنده بتأليف القصيدة وخرج منها كالرجل المحزون يبكى حتى يكاد يقتل نفسه من البكاء

وعبرة ذلك كله ان العمل الفنى الراقى يحتاج لاجادته الى جملة اشياء اهمها :

أولا : انه لا يكون متعمداً مقصوداً عن وعى . ولا بأس من ان يقصد الترسيم الاولى . ولكن معظمه يتم بالعقل الباطن خواطر تطرأ على الذهن فى مدد مختلفة

وثانيا : انه يحتاج لاجادته الى قوة محتبسة من حزن أو رغبة مقهورة او نحو ذلك لان هذه القوة تجعل العقل الباطن ينشط ويحاول أن يطرق باباً للتنفيس فاذا وجهه صاحبه نحو الشعر وجد فيه مقنعاً

وثالثاً : ان العمل الفنى يحتاج الى حضانة وكأن الغرض فيها إيجاد قوة أى عاطفة للعقل الباطن لكى « يجيش » كما يقول شوقى . وهذه القوة تحتاج الى مدة . ولكن اذا كانت العاطفة شديدة كموت الصديق مثلا فان القوة تجيش بسرعة وتؤاتى صاحبها على تأدية عمله كما حدث لمطران

(عن المجلد السادس والثلاثين)

ماذا يقرأ الجمهور

تجربة للسير ارثور كيث

السير ارثور كيث عالم كبير يختص تقريبا بالبحث عن اصل الانسان وتطوره ولكنه لا يخشى الدخول فى بحوث أخرى ليس لها علاقة بموضوعه الاصلى . وقد طرق موضوعا طريفا وهو البحث عما يقرأه الجمهور الانجليزى ، وقام لتحقيق ذلك بتجربة حسنة يمكن القارىء الذى يريد أن يقف على مايقرأه الجمهور المصرى مثلا ان يقوم بها ايضا ويعرف منها اتجاه اذواقنا وميولنا

وقد مهد لتجربته بكلمة قال فيها : « هل الانسان كائن عاقل يعتمد على ذهنه ؟ ان كثيرين من فلاسفتنا المشهورين قد نفوا ذلك عنه بلهجة التأكيد ، ولكننا نسير فى هذه الحياة ونحن واثقون بخطأ فلاسفتنا ولو الى حد ما . ولكن ماهو هذا الحد ؟ وكيف نهتدى الى الحقائق التى يمكننا ان نعتمد عليها فى الاجابة عن هذا السؤال ؟

« يبدو لى انه يمكننا ان نظفر بجواب لهذا السؤال بطريق لم يكتشف ويدرس بعد . أليس فى الصحف التى نقرأها كل يوم مايظهرنا على ميولنا الطبيعية وبناء عقولنا ؟ انى واثق بان الصحف اليومية تعكس عقلية القراء . فان بين محررى الصحف منافسة حادة فى تزويد الجمهور بالاخبار التى يشتاق اليها . ويمكن ان يوجد محرر كبير ينشد تربية قرائه ، ولكن المحرر الناجح الذى سبر غور الطبيعة البشرية يقدم للجمهور مايسيغه . ومعظمنا ينتقل من جريدة الى اخرى الى ان يقع على احدى الصحف التى تدانى أذواقه . وبذلك يمكننا ان نقول ان صحف البلاد توضح لنا عقلية السكان

« واذا نجح أحد المحررين فى اصابة ذوق الجمهور فسرعان مانجد شخصا آخر قد برع فى فهم الطبيعة البشرية ، نعنى به التاجر صاحب الاعلانات . فاننا يمكننا ان نعرف من نقائص الانسان وتقلبات أذواقه وحاجات جسمه وعقله من أعمدة الاعلانات فى الصحيفة كما نعرفها مما يكتب فيها باشراف المحرر ...

وبعد هذه المقدمة المنيرة عمد السير كيث الى شرح تجربته . فانه اختار خمس صحف ورتب اخبارها واقوالها واعلاناتها . وهذه الصحف الخمس قد اختارها بحيث تمثل الرأى العام الانجليزى

من جميع الطبقات . وهذه الصحف هى : جريدة من جرائد الصباح المحترمة (وأغلب الظن أنه يقصد بها التيمس) ، وجريدة أخرى من جرائد الصباح العامة التى يقبل عليها الجمهور وجريدة من جرائد الاحد التى تنشر فى الاقاليم ، ثم جريدة المانشستر جارديان وهى جريدة الطبقة المستنيرة فى شمالى انجلترا ، وجريدة الافننج نيوز وهى اوسع الصحف المسائية انتشارا فى لندن

وأول مالاحظه السير كيث ان هذه الصحف تكاد تكون خلوا من اخبار البر والاحسان أو هى لم تزد عن جزء من مائة من الاخبار . ولكنه عزا ذلك الى ان الصحف تتحاشى هذه الاخبار لانها تعرف انها اذا فتحت هذا الباب لم تتسع اعمدتها لطلب الصدقات من الجمعيات الخيرية وما شاكلها

ثم نظر فى الدين فوجد ان جريدة الشمال تخصص من صفحاتها واحدا فى المائة لاخباره بينما صحيفة لندن « المحترمة » لم تخصص لهذه الاخبار سوى ٧ر. فى المائة . اما الجرائد الاخرى فليس فيها شىء من الكلام عن الدين . وقال السير كيث عن هذه النقطة : « واضح من هذا ان الصحف لا تمثل افكارنا واحساساتنا الدينية من حيث العمق او النشاط لانى اعتقد انها تشغل اكثر من واحد فى المائة من انتباهنا اليومى . او هل نحن لا نؤمن حقيقة بالدين كما ندعى ؟ »

ثم بحث عن العلم فوجد ان صحيفة الشمال تمتاز على صحيفة لندن « المحترمة » من هذه الناحية فان العلم يتحيز من أعمدتها ٤ فى المائة بينما هو نصف ذلك فى صحيفة لندن . اما فى الصحف العامة الاخرى فالعلم لا يتحيز منها سوى ١ فى المائة . وصحف الاحد لا تخصص له سوى نصف فى المائة وهذا مع العلم بأنه تسامح فى معنى « العلم » فضمنه كل شىء كتب فى هذه الصحف عن الصحة والطب وقصص التاريخ الطبيعى والتنبؤات عن الجو

ولكن القارىء يمكنه أن يكون على شىء من « النشاط الذهنى » ولو لم يقرأ العلم . ففى الصحف أشياء أخرى غير العلم جمعها السير كيث تحت عنوان « الاخبار الذهنية » وهى : المقالات الافتتاحية مهما كان موضوعها والمقالات الادبية والوصفية والتى تعالج الموضوعات العامة ونقد الكتب واخبار التعليم وتقاريره والقصص والالغاز المتقاطعة . فوجد ان جريدة الشمال تخصص ١٣ فى المائة منها لهذه الاخبار تليها فى ذلك جريدة الاحد التى خصصت ١٠ فى المائة منها ثم جريدة المساء فى لندن وقد خصصت ٨ فى المائة ثم الجريدة « المحترمة » التى خصصت ٦ فى المائة ثم جريدة الصباح العامة وقد خصصت « للنشاط الذهنى » ٥ فى المائة

وبحث الفنون فوجد ان كميتها فى الصحف الخمس لا تزيد إلا قليلا عن العلم . فاين تكون إذن سائر أعمدة الصحف وماذا يقرأ القراء فيها ؟

يقول السير كيث ان معظم ما تمتلىء به اعمدة الصحف ينقسم الى ثلاثة أقسام هى :

١ ـ الصناعة والاعمال ٢ ـ الرياضة بجميع انواعها ٣ ـ الحوادث والبوليس والمحاكم

فقد وجد ان الصحيفة « المحترمة » تخصص ٣٣ فى المائة من اعمدتها لاخبار الاعمال والصناعة بينما جريدة الشمال تخصص ٢٦ فى المائة . أما جريدة الاحد فقد قنعت بستة فى المائة . وهنا يقول : « ان اهتمامنا بالدين والفنون والآداب والعلوم لا يمكن ان يقابل باهتمامنا بالاعمال والصناعة »

ثم يقول : « أن عطشنا للاخبار الخاصة بالطلاق والقذف والقتل والانتحار والحرائق والحوادث والمواقف الخطرة لا يطفأ . فان هذه مسائل تخاطب فينا أعمق النواحى فى طبيعتنا واقدمها . . »

ووجد ان الصحيفة « المحترمة » تخصص لهذه الاخبار ٣ فى المائة فقط من أعمدتها وجريدة الشمال أقل منها ولكن الجريدتين الاخريين تزيد قليلا فى كمية هذه الاخبار . اما جريدة الاحد فانها ترصد ٢٥ فى المائة من أعمدتها لهذه الاخبار

أما فى الرياضة البدنية فان صحيفة الشمال أى (المانشستر جارديان) تفوز فى الميدان فان هذه الاخبار الرياضية تتحيز منها ٧ ر ١١ من مجموعها . وهنا يقول السير كيث : « ان النشاط الذهنى والرياضة لايتعارضان فكلاهما يروج فى شمالى انجلترا » أما الجريدة « المحترمة » أى التيمس (كما نظن) فقد خصصت للرياضة ٧ ر ٥ فى المائة منها . وخصصت جريدة الاحد ٥ ر ١٤ فى المائة للرياضة وأما الجريدتان الاخريان فقد بلغ المخصص منهما لهذا الغرض ٩ فى المائة

وقد عقب السير كيث على هذا البحث بجملة ملاحظات قال فيها : « ان حب الرياضة قوى فى الانسان وهو قوى لانه يوقظ ويلهب رغبتين من اعمق وأقدم رغباتنا المتأصلة هما رغبة المنافسة ورغبة الكسب . فالمنافسة والمجاهدة للربح هما مسرات الرياضة الحقيقية . وآخر الاشياء التى يمكن الناس ان يتسامحوا فيها هو الحياة الهادئة المتجانسة . فهم يطلبون مايثير ويهيج ويظفرون به بالمخاطرة أى انهم يخاطرون بالخسارة ويأملون فى الربح . . . وقد لانحب الرياضة بجميع مظاهرها ولكنا لانستطيع ان ننكر انها تفتح بصيرتنا فى فهم الطبيعة البشرية »

ثم يقول فى ختام كلامه : « لا يظن القارىء انى شخص سام انظر من عل واستصغر شأن سائر الناس . فانى واحد منهم عندى ميول الناس ونقائصهم . وانى أعترف بأن أول شىء أقرأه فى الصحف هو ما خص الرياضة ولا انظر فيما يخص النشاط الذهنى إلا فى الآخر . والاحظ أن زوجتى مثل سائر النساء الطيبات أول ماتتناول الصحيفة تنظر فى اخبار المواليد والوفيات والاعراس ثم الاعمدة الخاصة بالازياء . وغرضى هو ازالة الوهم الذى يتوهمه البعض من ان الانسان قبل كل شىء كائن مفكر يعتمد على ذهنه . فانه كذلك بالتعليم ولكنه ليس كذلك بالطبيعة . وليس شك فى ان عليه ان يجتهد لكى يجعل عقله دليله وهاديه فى تيه الحياة . ولكن معاينة طبيعته كما تبديها اعمدة الصحف التى يشتريها ويقرأها تثبت لنا ان الذى يسيطر على طبيعته ليس هو الجانب الذهنى بل هو جانب العاطفة والشهوة . فالانسان هو فى لبابه حيوان القلب وليس حيوان العقل وعلينا ان نذكر ذلك كلما فكرنا فى مستقبله »

(عن المجلد السابع والثلاثين)

خدمة الفكر في عصر المادة

بقلم الاستاذ اميل زيدان

نزاع الفكر والمادة قديم لم يخمد يوماً . ومع أن الغلبة فى النهاية للفكر فدون تغلبه عقبات وأهوال وضروب من الالم والاضطهاد

أجل يفوز الفكر فى آخر الامر ، ولكنه لايبلغ القمة إلا على اشلاء خدامه

كل المراحل التى قطعتها البشرية انما كانت بفضل فئة ممن فى صدورهم لهب مقدس . ولكنهم ـ وأسفاه ـ كانوا فى الغالب يحترقون ليبددوا الظلمات ويضيئوا العالمين

* * *

قال برليوز الموسيقى الكبير وهو على فراش الموت : « الآن ستذيع مؤلفاتى وتتداولها الايدى . . ! »

هذا فى الغالب نصيب رجال الذهن وخدام الفن . فانهم مابرحوا منذ القدم مغموطى الحق لاينالون الجزاء العادل لما ينتجون . وكثيرا مايقضى العبقرى حياته فى شقاء العوز حتى اذا قضى نال من التقدير ما لو نال بعضه فى حياته لرد عنه غائلة الدهر واتاح له العيش فى رغد وهناء

وهذا الاجحاف قد زادت وطأته كا زاد قبحه فى كنف هذه الحضارة ـ هذه الحضارة التى سخرت المادة واقامت على اساسها صرحها العظيم فاذا بهذا الصرح يخنق روحها ويكتم انفاسها . فبعد ان كانت المادة هى الخادم أصبحت هى المخدوم . .

إن حضارتنا الحالية مصابة « بتخمة » مادية فقد طغت المادة على الفكر وأصبحت الكلمة لها فى البدء والنهاية . فقيم الاشياء وقيم الناس مرتبة بحسب سلم حسابى مادى لا شأن فيه للعناصر الروحية . فجمال النفس لا يكاد يقدم فيه درجة ولا سمو الفكر أو رقى الفن والادب

فكم حولنا من ثراء وقح هبط عفواً ، وكم من ذهن يتألم وهو عامر بضروب الحسن الروحى . كم من « بضاعة مادية » تافهة تروج وتجلب لاصحابها أطيب المتع ، فى حين لا يجد اصحاب « البضاعة الذهنية » منفذاً لافكارهم أو متنفساً يخفف الضغط عن صدورهم !

* * *

لا يسع من ينشد العدل إلا أن تثور نفسه أمام هذه المظالم . ولكن هذه الثورة لا تتعدى فى الغالب سناً معينة . ففى عهد الشباب حين يستفزنا كل ما هو جميل ويملك علينا مشاعرنا نحس الحيف الواقع على خدام الفكر والجمال وتتألم نفوسنا لدى المحن التى تصيبهم حتى اذا فعلت الايام فينا فعلها تبلدت مشاعرنا وتيبست عواطفنا وألفنا ما حولنا من صنوف الظلم

ان غضبات الشباب وثوراته الجميلة لا تلبث ان تتحول مع السنين الى رضى بالامر الواقع واستسلام لاحكام الزمان ـ وكم للزمان من حيف وارهاق !

* * *

من هؤلاء المظلومين فئة أود أن أخصها بكلمة وهى فئة الادباء والشعراء . وهل من حاجة الى تبيان شأن هذه الفئة فى حياة الامة ؟ من الناس طائفة عميت قلوبهم إلا عن مطالب الجسم . يسألونك : ما فائدة الادب وما فائدة الشعر ؟ وما سؤالهم هذا إلا كمن يسأل : لماذا خلقت الازهار ولماذا تصدح الاطيار فى الحقول ؟

خلق الانسان وله رجلان يمشى بهما على الارض ، ولكن له أيضا عينان يجوب بهما أطراف السماء ، وله كذلك وجدان يحلق به فى الفضاء غير المتناهى . فالنزوع الروحانى أصيل فى طبيعته وليس بالخبز وحده يحيا الانسان

ثم اسمع قول جوته : ان انحطاط الادب فى أمة نذير بانحطاط تلك الامة

واسمع قول الاخر : الامة التى ليس لها أدب قومى حقيق بأن يعدو حدود بلادها ـ هذه الامة تظل محتقرة لاشأن لها فى نظر الامم الاخرى

فالادب اذن لاتقتصر فائدته على ماينشره فى النفوس من لذة روحية ومتعة ذهنية بل هو عامل خطير فى تعزيز الحياة القومية ورفع شأن الشعوب

* * *

ولو أن النفس تبدو للعين كما يبدو الجسم لتغير نظرنا الى الناس أيما تغير . . فكم من جميل يصبح قبيحاً وكم من قبيح يصبح جميلا

ولكن سواد الناس قلما يحفلون بما يجاوز حواسهم ، فهم يحكمون على ما يرون ويسمعون ويلمسون . . على أن سمة الرجل « المثقف » انه لايقنع بما يبدو له أول وهلة بل ينفذ فكره إلى الباطن باحثاً عن الجمال الخفى ـ جمال الذهن والروح

* * *

حبذا العلم بدون هموم المادة ، وحبذا الفن والادب بدون ارهاق الحاجة ... ولكن الاقدار قد حكمت بغير هذا ، فالعالم والفنان والاديب وسائر خدام الفكر والذهن ، فى حين يقوم على اكتافهم رقى البشر وتقدم الحضارة ، لاينالون عشر معشار مايستحقون

فهل من وسيلة الى تلطيف هذا الحكم القاسى ؟

أمامنا ظالم ومظلوم . فلننظر قليلا فى أمرهما

أما الظالم فهو المجتمع أو بالحرى نظامه الذى قصر عن اعطاء كل ذى حق حقه . فكيف نهديه سبيل الصواب والانصاف

ليس ثمة غير وسيلة واحدة ـ تهذيب الرأى العام ورفع مستواه بحيث تعدل فى نظره قيم الاشياء وقيم الناس فيضع فى الرأس من هو حقيق بالرأس وفى الذنب من كان بالذنب أحرى

واذا كانت الامة كالجسم فرجال الذهن منها بمنزلة الرأس ، هم الدماغ الذى ينبغى أن يسيطر على الاعضاء ويقوم لديها مقام المرشد الهادى

هكذا صور افلاطون جمهوريته الفاضلة فقد وكل امرها للحكماء والعلماء

ولكن الوصول الى هذه الغاية يقتضى أجيالا من التهذيب ـ يجب أن نروض نفوسنا على اكبار العناصر المعنوية واحلالها المحل الأرفع من حياتنا . يجب أن تصبح الثقافة فى نظرنا بمنزلة الحاجة التى لاغنى عنها ـ وما هى اليوم إلا فى عداد الأمور الكمالية

وأما المظلوم فهو العالم أو الاديب أو الشاعر أو غيرهم من صرعى الحقيقة والجمال ـ فهل فى استطاعة الواحد منهم ان يخفف شيئاً من وطأة الظلم الواقع عليه ؟

أجيب بلا تردد : نعم فى استطاعته أن يدبر امره الى حد كبير . لقد ألفنا أن نسمع عن رجال الفن والادب أنهم لايحفلون بالماديات ـ كأن العوز زينة الفنان والاديب ، وعرفناهم يأنفون من النظام والترتيب ، فنفوسهم أبداً متمردة تأبى الخضوع والانقياد

ولكن هل يضرهم لو أنهم حسبوا لهذه الدنيا حساباً ولو ضئيلا ؟ ليقدس الفنان فنه وليقدس الاديب أدبه . . . ولكن هل يستدعى ذلك ان ينسى حقائق الحياة الاولية ؟ كلا . . . يمكنه ان يحفظ فنه أو أدبه فى منجاة من كل درن وفساد ، وفى الوقت نفسه يلتفت الى مقتضيات العيش فيمنحها قسطاً من عنايته ، بل أذهب الى أبعد من ذلك فاقول انه اذا عرف كيف ينظم حياته من الوجهة المادية سهل عليه أن يحتفظ بفنه سليما وبأدبه معززاً نقياً

اذا كان للاديب أو الفنان أن يحتقر الماديات فلا يستعبدن نفسه لها ، فما الحاجة الا نوع من العبودية . فليضمن لنفسه الكفاية أولا ـ بأدبه أو بوسيلة أخرى ـ حتى اذا ضمن القدر الادنى أمكنه أن ينصرف لما يصبو اليه فؤاده من مناجاة آلهة الفنون الرفيعة

والخلاصة ان المجتمع مقصر فى منح رجال الذهن مكانهم الجدير بهم ، ولكن رجال الذهن ـ أيضا ـ كثيراً مايقصرون فى مسايرة المجتمع وادراك مقتضيات العيش

يجب على المجتمع أن يفهمهم كما يجب عليهم أن يفهموه

(عن المجلد الاربعين)

فهرست


Bibliotheca Alexandrina
0409913